باسم فرات: هل نحن في لحظة انتقام تاريخي
إكرام عبدي: جوائز الرواية
ممدوح فراج النابي: نساء مكاوي سعيد ورجاله
هيفاء بيطار: رواية كل نساء العالم
لطفية الدليمي: جبلنا على الكلمات
عمر علوي ناسنا: الشعراء لا يتبعهم أحد
هالة صلاح الدين: الغزو والسلب على مسرح لندني
أمير العمري: قاسم حول وقصيدة سينمائية
ص11 إلى 16

إيفيت أشقر
رسامة المعاني التي تثق بالتجريد
ص 8
عماد الخرسان
أمام مهمة تصفية تركة المالكي الثقيلة
ص 7
جمال الغيطاني
روائي عارض كل رؤساء مصر ووقع في غرام الجيش
ص 9
مايكل ناجاتا
قائد العمليات الخاصة الذي فشل في تدريب المعارضة
ص 10

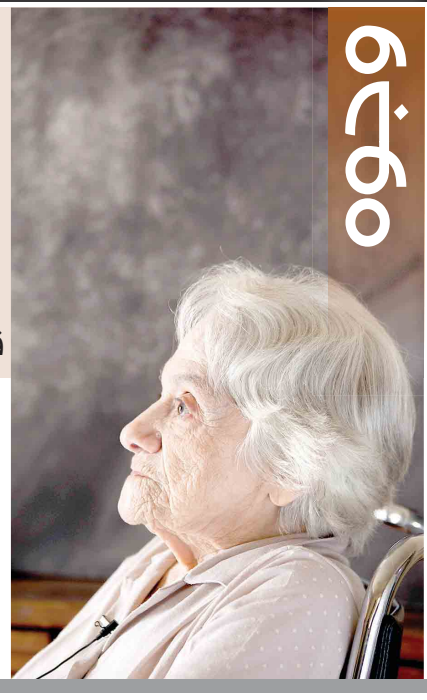

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2015/10/25 – الموافق لـ 12 محرم 1437
السنة 38 العدد 10077
Sunday 25/10/2015
38th Year, Issue 10077

روسيا توسع قاعدة المشاركة لتخفيف العبء على السعودية

● الانفتاح على الجيش الحر أول خرزة في سبحة الحل السوري

❑ **موسكو** – غيرت روسيا من خطابها تجاه الجيش السوري الحر بشكل كامل، وبعد أن كانت تنفي وجوده أصبحت الآن تعرض الحوار معه وتبدي استعدادها لحماية مواقعه من هجمات داعش، فضلا عن دعوته للمشاركة في العملية السياسية التي لا تمانع موسكو في أن تفضي إلى رحيل الرئيس السوري بشار الأسد سواء عبر اتفاق جنيف، أو عبر انتخابات رئاسية تشارك فيها المعارضة المعتدلة.

وتبدو موسكو هنا ساعية إلى الاقتراب من موقف الدول العربية المتفهمة لمبررات التدخل الروسي في سوريا، وأن هذا جزء من استراتيجية الرئيس فلاديمير بوتين الذي يعمل على بناء تحالف روسي عربي في سوريا بمواجهة الولايات المتحدة وتركيا.

ولا شك أن التأكيد الروسي على توسيع قاعدة المشاركة في الحل السوري إلى مصر والأردن ودول خليجية هدفه تخفيف العبء على السعودية كي لا تجد نفسها محشورة في الزاوية بأن تقول نعم أو لا في المسألة السورية، أي أنها لا يمكن أن تتحول من النقيض إلى النقيض بأن تقبل ببقاء الأسد دون أيّ ضمانات أو أفق لحل سياسي.

واستراتيجية بوتين في توسيع قاعدة المشاركة تسمح للمملكة بأن تكون ضمن رأي عربي فيه أصوات تدعو إلى الخروج من دوامة الحرب بلا نهاية في سوريا، وحين تكون الأطراف العربية مجتمعة على تبني خطة مشتركة، فهذا أمر مختلف بالنسبة إلى الرياض وفيه فرصة للخروج من الدوامة.

ورغم أنها لا تريد أن تبدو بمظهر الراضي عن بقاء الأسد، فإن السعودية تدرك أن أي مساحة متروكة على الأرض في سوريا ستكون في فائدة داعش أو إيران، وهو ما يجعلها تقبل بالانفتاح على أفكار بوتين لحل سياسي للأزمة.

وعرض وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف أمس استعداد القوات الجوية في بلاده لتقديم غطاء جوي للجيش الحر لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، فضلا عن تسريع الحل السياسي.

وتمثل تصريحات لافروف تحولا كبيرا في موقف روسيا وتأتي في أعقاب اجتماع في فيينا الجمعة مع الولايات المتحدة والسعودية وتركيا لمناقشة حل سياسي للأزمة في سوريا.

ويبدو أن روسيا استجابت لنصائح عربية بالتخلي عن الأسد ولو بعد فترة مع دمج المعارضة المعتدلة (أساسا الجيش الحر) للحفاظ على مصالحها، ولتجنب موجة العداء لها في المنطقة، فضلا عن الاستمرار بالتعاون الاستراتيجي مع دول المنطقة.

وواضح أن روسيا تضع في الحسبان طمأنة العرب، وخاصة السعودية والإمارات ومصر والأردن، الذين لا يمانعون في بناء جسر ثقة مع موسكو مقابل تفهمها لمصالحهم وأمنهم الإقليمي.

وقد تتجنب الطائرات الروسية قصف مواقع المعارضة في الجنوب لهدف عدم إثارة غضب السعودية والأردن، وجذبهما لتفهم دواعي تدخلها في الشمال ضد المجموعات المتشددة سواء داعش أو تلك التي تحصل على دعم قطر وتركيا، وتضم مقاتلين أجانب، فضلا عن تحالفها مع جبهة النصرة (فرع القاعدة في سوريا)، وتبنيها فكرا متشددا يهدد أمن الأقليات السورية.

وجاء الاهتمام الروسي بالجيش الحر لافتا، ويبدو أن روسيا اختارت ما يصلح أن يكون معارضة، وهو بالتأكيد ليس النسخة القاعدية للنصرة التي تدعمها تركيا وقطر، خاصة أن الجيش الحر على ضعفه يحوز إجماعا على أنه واجهة مقبولة للمعارضة، أي أول خرزة في سبحة الحل.

ويبدو أن روسيا تتجه لترك مهمة فرز مقاتلي المعارضة في الجنوب إلى الأردن والسعودية، وهذا ما يفسر تصريحات لافروف عن تنسيق روسي أردني، وفيها رسالة طمأنة للعرب بأن موسكو لا تعادي مصالحهم في سوريا، وأنها لا تنفذ أجندة إيرانية، وأن ما يحركها هو مصالحها القومية.

ولا يستبعد أن يضغط الكرملين على إيران لتطلب من ميليشيا حزب الله الابتعاد عن مواقع المعارضة في الجنوب والتعاطي معها كجزء رئيسي من المعادلة السياسية القادمة، وربما تشريكها في مرحلة أولى في الحرب على داعش، على أن يتم لاحقا دمجها في الجيش وقوات الأمن بعد إنهاء المرحلة الانتقالية.

ويسود اعتقاد لدى محللين وخبراء بأن زيارة الرئيس السوري إلى موسكو لم يكن هدفها إعادة الاعتبار له، وإنما تأكيد الدور المحوري لروسيا في حل الأزمة السورية، وأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يرفض أن يجبر الأسد على ترك السلطة قبل بدء المرحلة الانتقالية، لكنه طمأن المسؤولين العرب الذين التقى بهم في موسكو بأن الأسد لن يستمر طويلا في السلطة.

حزب الله يحيي عاشوراء ويهاجم السعودية

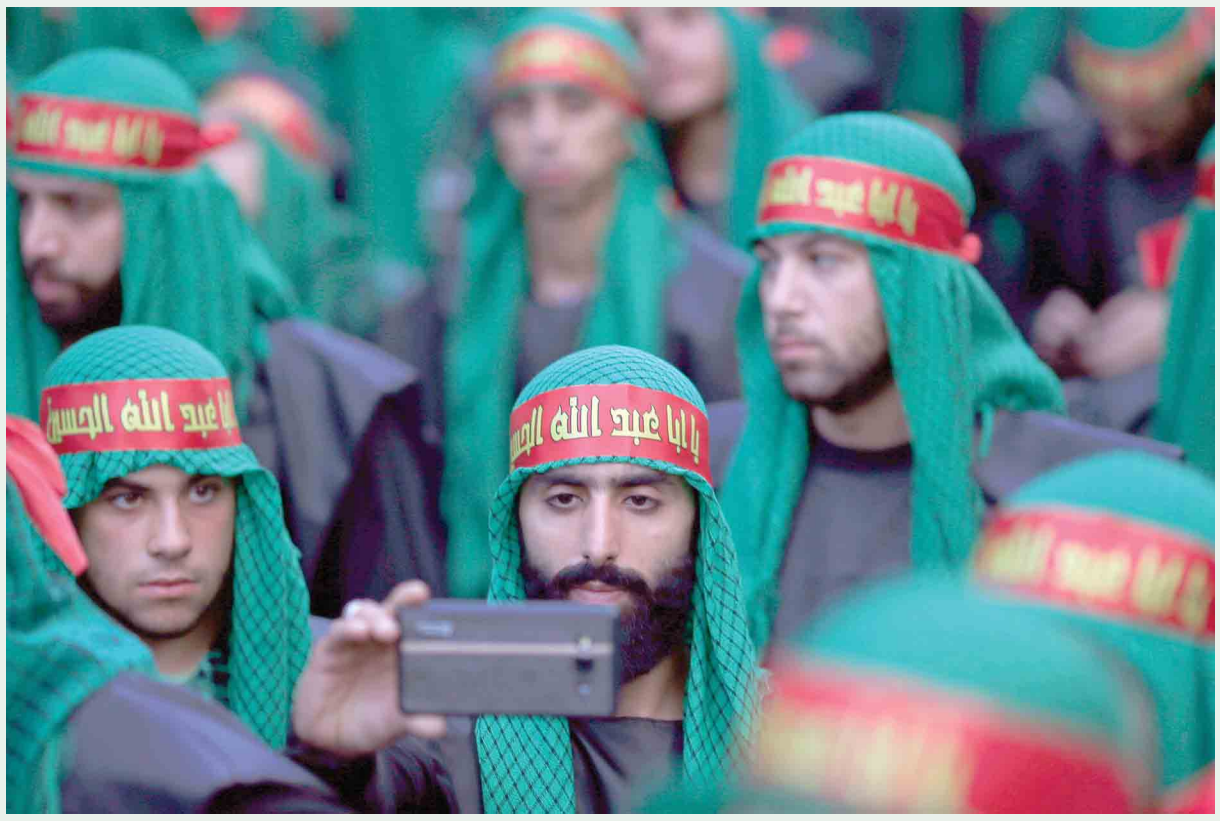

❑ **بيروت** – استغل أمين عام حزب الله اللبناني الاحتفالات بعاشوراء لشن هجوم على السعودية ووضعها، جنبا إلى جنب مع عدويه القديمين إسرائيل والولايات المتحدة مما يظهر تزايد حدة العداء بين المملكة من جهة وإيران وحلفائها من جهة أخرى.

ومنذ الصباح الباكر خرج عشرات الآلاف من الشيعة في مسيرات تجوب شوارع المدن في مختلف أنحاء لبنان وهم يرددون الهتافات وبعضهم يلطم على صدره لإحياء ذكرى يوم عاشوراء وإعلان الحداد على وفاة الإمام الحسين.

بعد اكتشاف بشار أن إيران ليست جمعية خيرية
خيرالله خيرالله
ص 6

تعز تهدد بإفشال جنيف 2

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – قالت مصادر مقربة من الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي إنه قد يعلن عدم الحضور إلى جنيف للمشاركة في المفاوضات المقررة نهاية الشهر لإيجاد حل سياسي للأزمة اليمنية، وذلك بسبب غياب موقف واضح للأمم المتحدة من المجازر التي يرتكبها الحوثيون في محافظة تعز.

وحذرت المصادر من أن التصعيد العسكري للمتمردين قد يتسبب في نسف جهود التسوية التي ترعاها الأمم المتحدة في ظل تزايد عدد الضحايا المدنيين جراء القصف العشوائي الذي يطال أحياء المدينة وكذا تفاقم المعاناة الإنسانية نتيجة الحصار المطبق المفروض على المدينة والذي تسبب في شح حاد بالمواد الغذائية ومياه الشرب.

وكان المبعوث الدولي إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ أحمد قد ألمح في إحاطته المقدمة لمجلس الأمن الدولي أمس الأول إلى إمكانية تعليق مباحثات جنيف المرتقبة فيما يبدو على صلة بالتصعيد العسكري في تعز.

وقال مراقبون لـ"العرب" إن التصعيد الذي تشهده تعز مرتبط بالأهمية الاستراتيجية للمحافظة إضافة إلى رغبة الحوثيين في تحقيق نصر مادي على الأرض يعزز من شروطهم التفاوضية في مباحثات جنيف 2.

ويرى المحلل السياسي اليمني فيصل المجيدي أن بدء أيّ مفاوضات دون إدراج بند تعز كمؤثر حقيقي على الأحداث سيكون بمثابة نقطة ضعف كبيرة للحكومة.

ويضيف المجيدي "لا شك أن للأحداث في هذه المدينة تأثيرا كبيرا لذا وجدنا تلميحا من المبعوث الأممي إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ أحمد من أن استمرار المعارك في المدينة قد يؤثر على انعقاد المفاوضات".

وتواصل قوات التحالف العربي والجيش الوطني اليمني استعداداتها لإطلاق معركة تحرير محافظة الجوف حيث أكدت مصادر "العرب" قيام طائرات التحالف بقصف تجمعات الحوثيين قبيل البدء بعملية برية ستشارك فيها أعداد كبيرة من مقاتلي القبائل.

وقال الصحفي اليمني عبدالوهاب بحيبح لـ"العرب" من مارب إن هناك حشودا يتم إعدادها بغية البدء في معركة الجوف التي قال إنها ستتزامن مع معركة تحرير باقي المناطق التي ما تزال تحت قبضة الحوثيين في مأرب مثل الجدعان ومفرق الجوف الاستراتيجي الذي يربط مأرب والجوف بصنعاء.

وداعا للبكائيات
سلام فياض
ص 5

الانتحاريات ورقة بوكو حرام للاستمرار في الحرب على الجيش النيجيري

❑ **أبوجا** – أعادت التفجيرات التي هزّت ضاحية مولاي بمدينة مايدوغوري، شمال شرقي نيجيريا تسليط الضوء على ظاهرة النساء الانتحاريات، أو ما يطلق عليهن في صفوف الجهاديين بـ"الأرامل السوداء"؛ ودورهن المسكوت عنه في مثل هذه العمليات والدوافع التي تقف وراء تحوّلهن إلى قاتلات.

ولقي أكثر من عشرين شخصا، يوم 16 أكتوبر الماضي، حتفهم في تفجير استهدف مسجد بضاحية مولاي، نسبته التقارير إلى ثلاث نساء نجحن في اختراق المصلين ودخلن المسجد محمّلات بعبوات ناسفة تحت ملابسهن سرعان ما انفجرت في ثاني هجوم من نوعه يطال مدينة ميدوغوري في أقل من ثلاثة أيام.

وذكرت تقارير أن الانتحاريات ينتمين لجماعة بوكو حرام، التي تسيطر على المدينة والمعروفة باستخدامها للنساء بشن الهجمات الإرهابية. وقد تفوّقت الجماعة، التي أعلنت مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية في مارس 2015، على بقية الجماعات الجهادية الأخرى في الهجمات الانتحارية، باستثناء تنظيم الدولة الإسلامية.

لكن، في الوقت الذي يستخدم فيه داعش الانتحاريين الذكور، فإن حوالي نصف الانتحاريين الذين اعتمدت عليهم جماعة بوكو حرام، التي صارت تعرف نفسها باسم "ولاية السودان الغربي"، من النساء. ولم تستخدم أيّ جماعة أو حركة في التاريخ النساء بالشكل الذي استخدمته هي هذا العام.

وفي مفارقة تاريخية، كانت جماعات ماركسية هي من بدأت في استخدام النساء كانتحاريات، خلال النصف الثاني من القرن العشرين؛ ففي لبنان، في منتصف الثمانينات، قامت ناشطات في الحزب السوري القومي الاجتماعي بهجمات عن طريق سيارات مفخخة استهدفت الجيش الإسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي لأنطوان لحد.

أما أبرز الحركات الثورية التي استخدمت النساء في عملياتها المسلحة فكانت حركة نمور التأميل السريلانكية الانفصالية.

وتمكنت إحدى الانتحاريات التابعة للحركة من اغتيال رئيس الوزراء الهندي السابق راجيف غاندي في عام 1991، بعد أن وضعت إكليلا حول عنقه في اجتماع سياسي حاشد.

وفي أواخر التسعينات، شن حزب العمال الكردستاني عدة هجمات ضد أهداف عسكرية وأمنية تركية باستخدام الانتحاريات؛ حيث قام العديد من ناشطات الحزب بتثبيت أجهزة التفجير حول الجزء الأوسط من أجسادهن للإيهام بأنهن من الحوامل.

ومنذ حوالي عقد من الزمن، تبنّت التنظيمات الإسلامية المتشدّدة هذه السياسية الهجومية؛ وكانت البداية مع الجهاديين في الشيشان، بين عامي 2000 و2004، حيث هاجمت الانتحاريات اللاتي غالبا ما يشار إليهن باسم "الأرامل السوداء"، أهدافا عسكرية روسية في الشيشان وعلى المدنيين في روسيا، كما حاولن اغتيال الرئيس الشيشاني أحمد قديروف.

وأشهر عملية انتحارية قامت بها امرأة، "جهادية"، هي ذلك التفجير الذي قامت به العراقية ساجدة الريشاوي، في نوفمبر عام 2005، حين استهدف فندقا في العاصمة الأردنية عمان، ذهب ضحيته العشرات، من بينهم المخرج العالمي مصطفى العقاد.

ووجدت التنظيمات الجهادية في هذه العملية تكتيكا فعالا، خاصة أن الانتحاريات يتمتعن بميزات لا تتوفر لدى الانتحاريين الرجال؛ فالنساء يمكنهن عبور الحواجز الأمنية دون التعرض إلى كثير من التفتيش. كما أن التقاليد الاجتماعية والثقافية في بعض البلدان الإسلامية تمنع تفتيش النساء، وغالبا ما تغطي النسوة وجوههن باستعمال "البرقع" التقليدي أو "النقاب"، وبالتالي يمكن إخفاء المتفجرات بسهولة تحت هذا النوع من الملابس.

ولجأت بعض التنظيمات إلى استخدام رجال يرتدون ملابس نسائية في بعض عملياتهم نظرا لعدم توفر العدد الكافي من العنصر النسائي؛ ومن هنا لجأت جماعات مثل بوكو حرام إلى عمليات اختطاف النساء والفتيات بقصد استخدامهن كحاملات للعبوات الناسفة.

وكانت القضية التي حظيت بتغطية إعلامية مكثفة هي عملية اختطاف 276 تلميذة من شيبوك في أبريل عام 2014 وهي عملية واحدة من جملة العمليات التي تنسب للجماعة.

ويقول خبراء إن ارتفاع عدد النساء الانتحاريات في صفوف الجماعة النيجيرية، والذي قدّر بـ50 امرأة خلال عام، وهو أكثر رقم مسجل إلى الآن، له غرض مزدوج؛ فاستخدام النساء في الهجمات الانتحارية يساعد بوكو حرام على مواصلة حربها، وفي نفس الوقت يقلل من عدد الأفواه التي يجب إطعامها، خاصة بعد أن فقدت الكثير من مناطق النفوذ التي كانت تسيطر عليها وتمدها بالتمويل.

عماد الخرسان ليس هو المشكلة
إبراهيم الزبيدي
ص 6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الصراع على مواقع القرار يعصف بالرباعي الحاكم في تونس

الصيد يواجه معركة تحييد الدوائر الإدارية والسياسية عن التجاذبات الحزبية

تسعى الأحزاب المشكلة للائتلاف الحكومي في تونس إلى كسب مواطن نفوذ لها في المواقع الإدارية بالدولة، الأمر الذي جعلها في مواجهة مباشرة مع رئيس الحكومة الحبيب الصيد الذي يرى بضرورة النأي بمركز القرار عن سلطة الأحزاب.

□ **تونس** – تشهد العلاقة بين رئيس الوزراء التونسي الحبيب الصيد، والأحزاب المشاركة في الحكومة توترا، على خلفية سعي الصيد إلى "تحييد" مواقع صنع القرار بعيدا عن الارتهان الحزبي.

وقد هددت بعض هذه الأحزاب بسحب مساندتها السياسية للحكومة ما لم تستجب لمطالبها بشأن "حصصها" في التعيينات صلب مؤسسات الدولة.

وارتفع منسوب التوتر بعد التعيينات التي أعلنتها الحكومة في سلك المعتمدين (المعتمد مسؤول محلي يعمل تحت إمرة المحافظ). حيث أعربت الأحزاب عن استيائها من القائمة المطروحة.

وبدا الصيد وكأنه يخوض معركة مع الأحزاب المشاركة في حكومته من أجل "ضمان الحد الأدنى من حياد مواقع القرار الإداري والسياسي" ضد "ضغوطات" تهدف إلى "الاستئثار" بأكثر ما يمكن من تعيينات المعتمدين خاصة وأن البلاد مقبلة على انتخابات بلدية تراهن عليها الأحزاب للفوز ومن ثمة إدارة الشؤون المحلية.

واعتبر حزب نداء تونس صاحب الأغلبية البرلمانية والذي يقود الحكومة أن "كفاءاته وكوادره لم تلق نصيبها سواء في التعيينات التي أجراها الصيد على سلك المحافظين أو في قائمة تعيينات المعتمدين".

ويسعى نداء تونس إلى "الاستئثار" بنصيب الأسد في مختلف التعيينات صلب مواقع القرار الإداري والسياسي باعتباره الحزب الذي يقود الحكومة والأكثر نفوذا وثقلا في المشهد السياسي العام للبلاد.

وتقول قيادات النداء إنه من حق الحزب أن يستأثر بالنصيب الأوفر من تعيينات المعتمدين استنادا إلى شرعية انتخابات خريف 2014 التي أظهرت أن النداء هو القوة السياسية الأولى في البلاد.

وتسعى حركة النهضة التي تمثل القوة الانتخابية الثانية إلى "الاستحواذ"، هي الأخرى على أكثر ما يمكن من التعيينات صلب مواقع القرار الإداري والسياسي بما يتلاءم مع ثقلها الانتخابي وهي ترى أن تعيينات المعتمدين تفتقد للتوازن.

وبدا الاتحاد الوطني الحر أكثر الأحزاب "غضبا" من تعيينات المعتمدين حتى أنه قرر "تجميد" مساندته للحكومة في انتظار ما سيفضي إليه اجتماع كتلته البرلمانية مع الحبيب الصيد وتبليغه رسميا احتجاج الحزب.

وكان محسن حسن رئيس كتلة الاتحاد الوطني الحر شدد في تصريحات سابقة بأن "هناك استياء كبير من قبل الحزب ما دفعهم إلى تجميد مساندة كتلته للحكومة" مضيفا أن "تعيينات المعتمدين هي القطرة التي أفاضت الكأس .

ولا تقتصر معركة الصيد فقط عن تحييد المعتمدين عن المنطق الحزبي بل أيضا المساجد التي لطالما لعب الأئمة فيها دورا سياسيا خاصة في عهد حركة النهضة الإسلامية، وقد كان ذلك مثار جدل كبير في تونس.

وعادت معركة التعيينات في المساجد لتطل برأسها، مؤخرا، بعد أن أقدمت وزارة الشؤون الدينية على عزل عدد من الأئمة المتهمين بدعم فريق سياسي معين، واعتماد خطاب ديني متشدد، والاستعاضة عنهم بأئمة ليست لهم انتماءات سياسية ولا يتبنون الفكر المتشدد.

> حرب التعيينات تعكس حقيقة مفادها أن هذه الحكومة ليست وحدة سياسية بل هي خليط حزبي هجين غير متجانس تشقه خلافات حادة

وقد جوبهت هذه العملية بحملة، لمنع الأئمة المعينين حديثا من مزاولة نشاطهم في المساجد، حيث شهد جامع "اللخمي" بمحافظة صفاقس الجمعة، وللأسبوع الثاني على التوالي احتجاجات رافضة لقرار عزل إمام المسجد رضا الجوادي، الذي اعتبره المصلون "قرارًا جائرًا".

وعينت حكومة الترويكا رضا الجوادي في 2012، إماما على مسجد اللخمي.

وعرف الإمام المعزول رضا الجوادي بخطبه التحريضية المنافية لقيم الإسلام المعتدل وسعيه لتسييس المسجد.

ويرى متابعون أن عملية عزل الجوادي وغيره من الأئمة المتشددين، ضرورة حتمية لإبعاد المساجد عن التسييس، وأيضا لوقف مسلسل "دمغجة" الشباب التونسي بأفكار متطرفة، تهدد السلم الاجتماعي في البلاد.

ويقلل محللون سياسيون من أهمية "ضغوطات" الأحزاب، مشددين على أن الصيد، الذي يبذل جهودا من أجل التشاور والتنسيق مع الأحزاب الائتلافية، عازم على النأي بمواقع القرار الإداري والسياسي وحتى الفضاءات الدينية، خاصة وأن الدستور الجديد يكفل هذا الحق.

وينص الفصل 91 من الدستور على أن "رئيس الحكومة دون غيره هو من يحدد السياسة العامة للدولة"، كما ينص الفصل 92 على أنه من صلاحيات رئيس الحكومة "إحداث الوزارات والمؤسسات والمصالح الإدارية وتعديلها وحذفها إضافة إلى إجراء التعيينات والإعفاءات في الوظائف المدنية".

ووفقا لصلاحيات رئيس الحكومة التي ضمنها الدستور فإن "حق" الأحزاب الغاضبة على التعيينات لا يتجاوز إبداء الرأي والتقييم" وليس من حقها دستوريا مساءلته عن أيّ تعيينات تشمل مواقع القرار الإداري والسياسي.

ويقول محللون سياسيون إن "ملف التعيينات" الذي أثار غضب الأحزاب المؤتلفة في الحكومة يعد مؤشرا قويا على أن الحبيب الصيد بدأ معركة جدية لتحييد مفاصل الدولة ومؤسساتها الجمهورية عن التجاذبات الحزبية ومنطق "الغنيمة" بعيدا عن أيّ حسابات حزبية.

ويبدو أن الائتلاف الرباعي الحاكم لا يتعاطى مع الشأن العام باعتباره "وحدة حكومية متضامنة" تترفع عن الحسابات الحزبية الخاصة وتقدم "منطق" الدولة الذي يلامس مبدأ المواطنة على "المنطق الحزبي" الذي يرتهن إلى خلفيات واعتبارات لا تتعدى اهتمامات هذا الحزب أو ذاك ورؤيته لإدارة الشأن العام.

ويشدد محللون سياسيون على أنه لا يمكن فهم "حرب" التعيينات التي تشنها الأحزاب في الحكومة على الحبيب الصيد إلا في إطار نزعة "سطوة" الأحزاب على "القرار الحكومي" باتجاه التعامل مع مواقع القرار الإداري والسياسي على أنها "كعكة" يجب تقاسمها بناء على مدى ثقل الأحزاب ونفوذها السياسي داخل الحكومة وخارجها لا بناء على خيارات دولة المواطنة تقدم مصلحة الشأن العام على مصالح الأحزاب حتى وإن كانت في الحكم.

ويضيف المحللون أن تلك "الحرب" تعد مؤشرا لا فقط على هشاشة الائتلاف الحاكم بل تعكس أيضا حقيقة مفادها أن هذه "الحكومة ليست وحدة سياسية" بل هي خليط حزبي هجين غير متجانس تشقه خلافات حادة كثيرا ما أعاقت الرفع من أداء الحكومة حتى أنها جردتها من أيّ إسناد سياسي كاف.

ويرجع المحللون "ضغوطات" الأحزاب الائتلافية إلى غياب المفهوم السياسي للائتلاف تماما كما تؤكد أن الثقافة السياسية للأحزاب التي حجزت مقاعدها في قصر الحكومة هي "ثقافة حزبية" لم تتحرر بعد من سطوة الخلفيات الفكرية والأيديولوجية والحسابات "الغنائمية" بشأن التعيينات في مواقع صنع القرار.

وتستبطن الضغوطات رفضا لتحييد مواقع صنع القرار الإداري والسياسي عن الاستقطاب الحزبي وهو رفض يستبطن بدوره نزعة خطيرة لا تؤمن بتحييد مؤسسات الدولة على "سطوة" أحزاب يبدو أنها لا تمتلك ثقافة سياسية واعية بأن دولة المواطنة تستبعد ومن الأساس ارتهان قرارها الإداري والسياسي لأيّ حزب من الأحزاب مهما كان نفوذه.

ويقول مراقبون إن "الحرب " حول التعيينات تنذر بتفكك الائتلاف الحاكم في ظل تمسك الأحزاب بـ"سياسة توزيع مراكز القرار، مشددين على أن تلك الحرب ستكون لها تداعيات سياسية مباشرة على أداء حكومة الحبيب الصيد التي تواجه صعوبات بشأن معالجة ملفات سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية لم تعد قابلة للتأجيل نظرا لغياب الإسناد السياسي الكافي.

الأحزاب المشاركة في الحكم لا تملك سلطة مراجعة تعيينات الصيد

الدبلوماسية الناعمة تفتح أبواب شمال أفريقيا أمام الهند

□ **نيودلهي** – تسجل دول شمال أفريقيا حضورا قويا في قمة "منتدى الهند-أفريقيا" الثالث من نوعه، ما يعكس رغبة هذه الدول في تعزيز العلاقات مع أحد أكبر الاقتصاديات نموا على الصعيد الدولي.

ومن المتوقع أن تشارك أكثر من 50 دولة أفريقية في قمة "منتدى الهند-أفريقيا" في الفترة من 26 حتى 29 أكتوبر الجاري.

ويشارك الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي ونظيره السوداني عمر حسن البشير في القمة، فيما تدور أنباء عن إمكانية حضور العاهل المغربي الملك محمد السادس بنفسه القمة.

كما أكدت كل من تونس والجزائر مشاركتها في هذا المنتدى الذي من شأنه أن يعزز العلاقات بين الهند ودول شمال أفريقيا، ويفتح آفاق تعاون جديدة بينهما.

وهذا أكبر تجمع للزعماء الأجانب في الهند منذ ثمانينات القرن الماضي، مما دفع السلطات إلى تحويل أحد الملاعب إلى مركز مؤتمرات مؤقت.

ويتضمن جدول أعمال المنتدى العلاقات الأمنية والسياسية وقضايا توسيع نطاق التبادل التجاري وتعزيز الطاقة وإصلاحات الأمم المتحدة وتغير المناخ.

وتراهن الهند على ديبلوماسيتها الناعمة في طرق أبواب شمال أفريقيا وقد حرصت على مر السنوات على الانفتاح على هذه الدول سياسيا واقتصاديا بخطوات ثابتة وإن كانت بطيئة.

> تعود العلاقات الهندية مع دول شمال أفريقيا إلى خمسينات القرن الماضي وتحديدا عند تشكل "تحالف" دول عدم الانحياز

وفي هذا الصدد أكد سفير الهند في المغرب دينيش باتنيك، مؤخرا، أن العلاقات بين المغرب والهند "ممتازة" وأنها تشهد تطورا ملموسا في عهد الملك محمد السادس.

وأشاد الدبلوماسي الهندي بالتعاون المتنامي بين بلاده والمملكة على مستوى الهيئات الدولية، مشددا على دعمه رؤية المغرب إزاء ملف الصحراء المغربية.

أما بالنسبة إلى مصر فقد أبدت الهند، في عهد الرئيس السيسي حرصا كبيرا على دعم علاقاتها مع القاهرة في مختلف المجالات وبخاصة في المجال الدفاعي.

وتعود العلاقات الهندية مع دول شمال أفريقيا إلى خمسينات القرن الماضي وتحديدا عند تشكل "تحالف" دول عدم الانحياز، والذي أتى في ظرفية دولية تحكمها ثنائية قطبية.

وترى الهند، اليوم، أن ما يعانيه الاقتصاد الصيني فضلا عن سلبية بيكين في التعاطي مع قضايا المنطقة الحارقة، يمنحها فرصة مهمة لدفع العلاقات مع هذه الدول وباقي دول القارة السمراء التي ظلّت على مرّ السنوات الماضية حكرا على الصين خاصة على الصعيد الاقتصادي.

ويقول محللون إن التركيز الرئيسي سيتمثل في مساعي الهند لاقتناص الفرص في أفريقيا من الصين.

وقالت كاترين ماكوكيرا من معهد "الدراسات الأمنية" ومقره بريتوريا إن حجم المشاركة في القمة يعد مؤشرا واضحا على عزم الهند تعزيز دبلوماسيتها في أفريقيا.

وأضافت "تتيح القمة فرصة للبناء على الروابط بين الجانبين التي تشهد طفرة جديدة حدثت مؤخرا في أعقاب تباطؤ الاقتصاد الصيني".

وقالت ريتشا سيخاني أخصائية شؤون أفريقيا بهيئة "أوبزرفر ريسيرش فونديشن" إن الهند يمكن أن تحقق بديلا قابلا للتطبيق للصين بالنسبة إلى الاقتصاديات الأفريقية.

وأضافت أن إفريقيا هي المنطقة الأكثر تضررا بسبب الانكماش الاقتصادي الصيني.

وتعتمد الصين بشكل كبير على القارة الأفريقية في الحصول على مواردها المعدنية ونفطها. وشهدت الأشهر الأخيرة تدهورا في الميزان التجاري لأفريقيا مع الصين.

وتابعت سيخاني "ستكون القمة اختبارا للهند لتحقيق أفضل استفادة من هذه الظروف"

وتستثمر الصين في مشروعات بنية تحتية رئيسية في أفريقيا، وسجلت التجارة الثنائية 200 مليار دولار. لكن تجارة الهند قفزت 20 ضعفا لتصل إلى 70 مليار دولار في الأعوام الـ15 الماضية.

وقال روشيتا بيري من معهد "الدراسات والتحليلات الدفاعية" في نيودلهي إن "الحقيقة تتمثل في أن عدة دول مثل الصين والبرازيل وأميركا وماليزيا ترتبط بعلاقات مع أفريقيا، التي تضم سبعا من أسرع عشر اقتصادات نموا في العالم. وهناك مساحة كافية لجميع الدول لتحقيق تقدم على الساحة الأفريقية".

الهند تزاحم الصين على نفوذها بالقارة السمراء

التعاون الروسي العراقي من تبادل المعلومات إلى التنسيق العملياتي ضد داعش

واشنطن عازمة على القيام بعمليات مماثلة للحويجة رغم الضجة المثارة حولها

تنظر الولايات المتحدة الأميركية بريبة للتعاون العراقي الروسي الآخذ في التطور، ومن شأن إعطاء بغداد تفويضا لموسكو بضرب مواقع داعش على الحدود العراقية السورية، أن يزيد من قلق الإدارة الأميركية التي تخشى من أن يكون الروس بديلا عنها في مواجهة التنظيم المتطرف وبالتالي ضرب نفوذها هناك.

كارتر يستبعد القيام بعمليات برية ضد داعش في العراق

□ **بغداد** – انتقل التعاون الروسي العراقي من دائرة تبادل المعلومات عن تنظيم الدولة الإسلامية ومواقعه، إلى مرحلة التنسيق العملياتي على الأرض.

يأتي ذلك في وقت تشهد فيه العلاقة بين واشنطن وبغداد توترا، على خلفية عملية الإنزال الجوي التي قامت بها قوات أميركية خاصة في قضاء الحويجة التابع لمحافظة كركوك، دون إعلام السلطة المركزية.

وقال رئيس لجنة الأمن والدفاع في البرلمان العراقي، حاكم الزاملي، مؤخرا، إن الحكومة العراقية منحت روسيا الضوء الأخضر لاستهداف أرتال مقاتلي تنظيم داعش القادمة من سوريا، في محاولة لقطع التواصل بين عناصر التنظيم ووقف الإمدادات.

وعدّ محللون هذه الخطوة تطورا لافتا وسريعا في التعاون بين موسكو وبغداد في محاربة التنظيم المتشدد الذي يسيطر على أجزاء واسعة من سوريا والعراق.

وأتى الضوء الأخضر العراقي بعد أقل من شهر عن إعلان موسكو بدء التنسيق الأمني بينها وبين بغداد وطهران ودمشق، عبر بعث مركز معلوماتي مقره العراق.

وأوضح حاكم الزاملي أن "مركز المعلومات الرباعي مازال صغيرا، لكنه ساهم بجزء بسيط في حسم معركة بيجي خلال ساعات قليلة جدا، وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات، وساعد في حصول العراق على معلومات مهمة من سوريا بخصوص مواقع داعش".

واستعادت القوات العراقية مدعومة بعشرات آلاف المقاتلين من الحشد الشعبي ومقاتلي العشائر، الأسبوع الماضي قضاء بيجي الذي يضم أكبر مصفاة للنفط ومناطق محيطة به من قبضة مسلحي تنظيم داعش.

وكانت بيجي مسرحا لمعارك عنيفة على مدى أشهر طويلة بين مسلحي داعش والقوات العراقية، حيث تبادل الطرفان السيطرة على المنطقة عدة مرات، دون أن يتمكن أيّ منهما من إحكام قبضته عليها.

إعلان بغداد عن تفويض عراقي لموسكو بضرب داعش على الحدود العراقية السورية ودورها في تحرير بيجي، من شأنه أن يزيد التوتر القائم بين بغداد وواشنطن التي تنظر بريبة إلى التدخل العسكري الروسي في المنطقة، وما يمكن أن ينجر عن ذلك من ضرب لنفوذها هناك.

وقد كشفت مؤخرا دوائر غربية وتقارير إعلامية عن ضغوط أميركية لثني العراق عن التعاون العسكري مع روسيا. وكشف موقع "غلوبال ريسرش" الكندي، أن الولايات المتحدة باتت تهدد العراق إذا ما تحالفت مع روسيا بدلا منها في مكافحة داعش.

وفي متابعة لتصريحات مسؤولي الإدارة الأميركية في الفترة ما بين 7 و20 أكتوبر، ذكر الموقع أن واشنطن تحاول عبر "سياسة العصا والجزرة" التي تتقنها جيدا إقناع قادة العراق بالابتعاد عن الروس في الحرب على التنظيم المتطرف.

ويرى محللون أن رئيس الحكومة العراقية اليوم يجد نفسه في وضعية صعبة بين الضغوط الأميركية ومجاراة "حلفاء الداخل" والمقصود قادة الميليشيات الشيعية الذين كثفوا من مطالباتهم بإشراك موسكو في العملية العسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

ويقول قادة الحشد الشعبي (ميليشيات شيعية تدعمها طهران) إن الولايات المتحدة غير جادة في قتال تنظيم داعش، وأن ما تقوم به في العراق لا يعدو أن يكون سوى محاولة لإبقاء البلد في حالة ضعف حتى يسهل تقسيمه للسيطرة عليه.

وقد اعتبروا أن ما أقدمت عليه واشنطن هذا الأسبوع، هو دليل على ذلك، حينما أقدمت قوات أميركية خاصة بدعم من قوات البيشمركة التابعة لحكومة كردستان العراق، على إنزال جوي في سجن يسيطر عليه داعش، دون العودة إلى الحكومة الاتحادية.

وقالت حركة عصائب أهل الحق، المنضوية ضمن الحشد الشعبي، إن عملية الإنزال الجوي الأميركي تمثل خرقا للسيادة العراقية ودعما لمشروع تقسيم البلاد.

وأضافت الحركة في بيان لها أن الإنزال "سابقة خطيرة ودليل على عدم صدق الإدارة الأميركية فيما تقول إن دعمها للعراق يقتصر فقط على الدعم اللوجستي والاستشاري".

وذكرت عصائب أهل الحق أن "التصرف الأميركي يكرس مفهوم التقسيم كونه جرى دون علم الحكومة العراقية، في حين جرى التعامل مع حكومة إقليم كردستان رغم أن الحويجة تابعة للحكومة المركزية".

والخميس، أعلنت واشنطن تحرير نحو 70 رهينة كانوا محتجزين في سجن لدى تنظيم الدولة الاسلامية وذلك في عملية شنتها قوات كردية عراقية وأميركية فجر اليوم نفسه في شمال العراق وقتل خلالها جندي أميركي هو أول خسارة بشرية للولايات المتحدة منذ بدأت حملتها ضد الجهاديين في 2014. وصرح المتحدث باسم وزارة الدفاع العراقية العميد تحسين إبراهيم صادق بأن وزارته علمت بعملية تحرير الرهائن من وسائل الإعلام.

وشكل هذا التدخل الأميركي المباشر في معركة برية في العراق تحولا في نمط التدخل المتبع لدى الجنود الأميركيين المتمركزين حاليا في هذا البلد والبالغ عددهم حوالى 3500 عسكري، إذ أن الدور الأساسي لهؤلاء الجنود هو تقديم المشورة والتدريب والدعم للقوات العراقية النظامية وقوات البيشمركة وبالتالي فإن مكانهم هو بشكل عام بعيدا عن ساحات القتال.

ويبدو أن الولايات المتحدة ورغم الضجة التي أثارتها العملية، تتجه لشن المزيد منها خلال الفترة المقبلة، فيما اعتبره البعض تحديا لحكومة العبادي.

وتوقع وزير الدفاع الأميركي آشتون كارتر، الجمعة، تنفيذ مزيد من العمليات البرية في العراق ضد تنظيم الدولة الاسلامية على غرار عملية الحويجة. وقال كارتر في مؤتمر صحافي في البنتاغون "أظن أننا سنقوم بمزيد من هذه العمليات"، مؤكدا أن هجوم الخميس أتاح "إنقاذ حياة" سبعين محتجزا وجمع "معلومات استخباراتية ثمينة".

ولكن وزير الدفاع الأميركي شدد على أن عملية الخميس "لا تعني أن الولايات المتحدة تستأنف مهمة قتالية في العراق، بل هي ببساطة مواصلة لمهمتنا في تقديم المشورة والمساعدة للقوات العراقية".

وذكر الوزير الأميركي بسابقة في هذا الإطار هي العملية البرية التي نفذتها وحدة كوماندوس أميركية في سوريا في مايو 2015 ضد أبو سياف، القيادي الكبير في صفوف الجهاديين.

من جهة أخرى أعلن كارتر عن تجميع العمليات ضد التنظيم المتطرف في سوريا والعراق تحت سلطة جنرال واحد مقابل ثلاثة سابقا. وستكون هذه العمليات بإمرة الجنرال شون بي ماكفارلاند الذي عرف بمشاركته في العراق في دعم الصحوات السنية في مواجهة التنظيمات الاسلامية المتطرفة في 2007. ورغم التشاؤم العراقي

> اعتبرت قيادات من الحشد الشعبي، أن عملية الإنزال الجوي الأميركي هي خرق للسيادة العراقية ودعم لمشروع تقسيم البلاد

يتوقع متابعون أن تكثف واشنطن في الفترة المقبلة من جهودها لقتال داعش، حرصا منها على عدم ترك المجال أمام الروس لتوسيع عملياتهم العسكرية لتشمل العراق، هو "خط أحمر" بالنسبة للإدارة الأميركية لا يجوز المساس به.

انضمام السودان إلى التحالف العربي يستفز إيران

□ **الخرطوم** – هاجم مساعد وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبداللهيان السودان لانضمامه إلى التحالف العربي في اليمن، قائلا إن ذلك "لن يجديه نفعا".

يأتي تصريح عبد اللهيان بعد أن وصلت قوة سودانية معززة بمدرعات وأسلحة ثقيلة إلى عدن على دفعتين مطلع الأسبوع الحالي، وسط تضارب حول المهمة الرئيسية لهذه القوات.

وتشهد العلاقات السودانية-الايرانية نوعا من الفتور برز على السطح بعد أن أعلنت السلطات السودانية، مطلع هذا العام، بشكل مفاجئ إغلاق عدد من المراكز الثقافية الإيرانية في السودان، والطلب من القائمين عليها مغادرة الأراضي السودانية في خطوة عدّها محللون موجهة أساسا لدول الخليج.

وبالتزامن مع خطوة إغلاق المراكز الثقافية، عملت الخرطوم على التقارب مع القاهرة، لتشجيع الأخيرة، بحكم علاقتها الوطيدة مع معظم دول الخليج، على لعب دور الوسيط وفتح أبواب التعامل مع دول الخليج الذين عبّروا سابقا عن تذمرهم من اتساع النشاط الإيراني في السودان.

وقد رأى النظام السوداني في المشاركة بقوات برية في التحالف العربي لإنهاء الانقلاب ضد الحوثيين، فرصة جديدة لتليين الموقف الخليجي، رغم إدراكه بتبعات تأثير ذلك على العلاقة مع طهران الداعمة للشق الانقلابي في اليمن. ووصلت إلى مدينة عدن وحدات عسكرية من القوات المسلحة السودانية يقدر عددها بـ800 جندي، للمشاركة في عمليات التحالف العربي لاستعادة الشرعية في اليمن ودحر الانقلابيين.

وذكرت تقارير إخبارية أن القوات المسلحة السودانية وصلت عبر البحر إلى مدينة عدن، لتعزيز قوات التحالف العربي في المدينة، وقد تم إنزال الوحدات العسكرية في ميناء بحري بالبريقة غرب عدن.

وأعلن السودان، منذ بداية عاصفة الحزم التي تقودها المملكة العربية السعودية عن دعمه للعملية التي يراد منها وضع حد لانقلاب ميليشيات الحوثي وقوات علي عبدالله صالح عليها.

وكان قد أرسل عدد من طائراته الحربية لدعم التحالف العربي، رغم التنديد الإيراني.

ويرتبط السودان بعلاقات قوية مع إيران إلا أن ذلك كلفه على مدار السنوات الماضية ثمنا باهظا حيث تعمقت عزلته العربية كما الدولية، وازداد وضعه الاقتصادي سوءا.

خاصة وأن العلاقة بين الخرطوم وطهران اتسمت بعدم التوازن حيث أن المكاسب كانت في معظمها تصب في صالح الإيرانيين الذين حوّلوا السودان إلى معبر لمرور الأسلحة سواء لحلفائهم بالمنطقة "حماس" أو لدول تشهد اضطرابات.

كما كان السودان بالنسبة إلى إيران الباب الذي يلج منه نحو القارة السمراء، وبمقابل هذه الامتيازات التي مكّنها الأخير لطهران، لم يحصل إلا على "الفتات"، على حد تعبير أحد الساسة السودانيين، وهو الذي كان يطمح لتعاون اقتصادي وثيق يخرجه من الأزمة التي يتخبط فيها منذ سنوات ويخفف من عبء الضغوط الداخلية والخارجية عليه.

ويرى النظام السوداني اليوم أنه لا ضير من وضع مسافة بينه وبين طهران في الظاهر على الأقل مع إبقاء التعاملات بينهما خاصة في المجال العسكري والدفاعي على حالها مع التشديد على طابع السرية. ويسعى السودان اليوم بكل السبل إلى كسب ثقة دول الخليج بهدف الخروج من العزلة السياسية التي تطوقه، وإنقاذ اقتصاده المتهاوي.

> العلاقة بين الخرطوم وطهران اتسمت بعدم التوازن حيث أن المكاسب كانت في معظمها تصب في صالح الإيرانيين

الخرطوم ترى في إرسال قوات برية إلى اليمن فرصة جديدة لتليين موقف دول الخليج حيالها

ويشهد السودان أزمة اقتصادية خانقة لا سيما بعد أن فقد ثلثي إنتاجه من البترول بعد انفصال الجنوب، في الوقت الذي كان النظام قد أهمل القطاع الزراعي والحيواني والصناعي، واكتفى بريع البترول الذي ذهب النصيب الأكبر منه لصالح دولة الجنوب مع استمرار أزمة العملات الصعبة، وتدهور الجنيه السوداني مقابل الدولار ووصوله إلى أدنى مستوياته، وتسجيل معدلات التضخم لأعلى نسبة خلال شهر يونيو الماضي.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العمل السياسي يحتاج مرونة وتنازلات لا يقبلها المنهج السلفي

حزب النور يلملم خسارته ويستعد للمرحلة الثانية من الانتخابات المصرية

أعلن حزب النور السلفي في مصر الاستمرار في خوض الانتخابات النيابية في جولة الإعادة بالمرحلة الأولى، والمرحلة الثانية، وبرّر المنتمون إليه خسارتهم بالهجوم على أجهزة الدولة والحديث عن عمليات تزوير وخروقات طالت العملية الانتخابية؛ في خطوة اعتبرها خبراء وسيلة ضغط للسماح بتواجدهم في البرلمان، وتسهيل مهمة مرشحيهم في جولة الإعادة والمرحلة الثانية من الانتخابات.

النتائج التي حققها حزب النور في الانتخابات متوقعة في ظل الرفض الشعبي لأي أحزاب دينية

محسن عوض الله

❑ لم يأخذ المراقبون تهديدات حزب النور السلفي بعدم خوض جولة الإعادة من الانتخابات البرلمانية المصرية، على محمل الجدّ مشيرين إلى مجرّد تصريحات على خلفية الخسارة التي مني بها الحزب، الذي يعتبر نفسه خليفة الإخوان، ويحمل على عاتقه المشروع الإسلامي، باعتباره الممثل الوحيد لهذا التيار على الساحة السياسية المصرية، اليوم.

وكشفت مصادر سياسية لـ"العرب" أن تلويح حزب النور بعدم استكمال الانتخابات البرلمانية، قوبل بامتعاض شديد، من قبل بعض أعضاء الدعوة السلفية، لأنه يعني الدخول في مواجهة صريحة مع أجهزة الدولة، وإيذانا بمواجهة مفتوحة، لن تصلح معها المهادنة أو الأساليب غير المباشرة، التي سادت خلال الفترة الماضية.

وقالت المصادر إن أجهزة الأمن المصرية تلقّت هذا التلويح بقدر كبير من الضيق، ولوّحت بفتح ملفات قديمة، ارتكب فيها الحزب وعدد من قياداته تجاوزات، تضعهم تحت طائلة القانون، كما أن مرحلة الاغتيال المعنوي يمكن أن تبدأ على نطاق كبير، لا سيما أن هناك مشاهد، بدت فيها قيادات

> سياسة الخوف لا يمكن أن تصنع حزبا سياسيا وسيبقي النور حزبا بلا هوية، وعاجزا عن اتخاذ موقف قوي خاصة في ظل التداخل بين الاتجاه السياسي والدعوي وسيطرة الدعوة السلفية

النور ملتصقة بالإخوان، وقريبة من خطابهم السياسي. وعلمت "العرب" أن التلويح بفتح ملفات جنائية وسياسية لعدد من قيادات الحزب، كان رادعا بعدم التمادي للنهاية في عدم استخدام ورقة الانسحاب من الانتخابات البرلمانية.

وجاءت نتيجة الجولة الأولى من الانتخابات البرلمانية المصرية لتعلن عن سقوط مدوّ لحزب النور السلفي، الذي يعد الممثل الوحيد الرسمي للإسلام السياسي.

ويقول مراقبون إن فشل الحزب الواضح في المرحلة الأولى من انتخابات مجلس النواب المصري، تسبّب في صدمة قوية لدى قيادات الحزب وقواعده، خاصة بعد فشله في حصد مقاعد قائمة الدلتا، التي كان يراهن عليها.

وأخفق الحزب في حصد أيّ مقعد بالجولة الأولى من الانتخابات البرلمانية، فيما سيخوض 22 من مرشحيه جولة الإعادة.

ودفعت صدمة الفشل قيادات الحزب لشن هجوم على أجهزة الدولة وتوجيه اتهامات مباشرة بتزوير الانتخابات، ووصل الأمر بيونس مخيون، رئيس الحزب، إلى حد وصف الانتخابات البرلمانية بأنها الأسوأ في تاريخ البرلمان، معتبرا أنها ستظل "نقطة سوداء مظلمة في جبين هذا العهد".

ولم يتوقف الأمر عند رئيس الحزب، فقد شن ياسر برهامي، نائب رئيس الدعوة السلفية، الذي يوصف بأنه المرشد الأعلى عند السلفيين في مصر، هجوما على الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي متهما إياه بترك أجهزة ومسؤولين داخل الدولة تشوّه صورة حزب النور، رغم سابق تأكيده أن حزب النور فصيل وطني.

في المقابل طالب الشيخ محمد سعيد رسلان الدعوة السلفية أن تحل ذراعها السياسي (حزب النور) وتتبرأ مما كان منها، وتعود إلى شيوخها، وتطهر نفسها من الأفكار التكفيرية والإخوانية.

في خضم هذا التصعيد أوضح يونس مخيون أن الحملة الانتخابية للحزب تعمل على قدم وساق في كل الدوائر التي بها مرشحون للحزب، في محافظات المرحلة الثانية (13 محافظة) من الانتخابات البرلمانية.

واجتمعت الهيئة العليا لحزب النور الخميس الماضي لمناقشة نتيجة الجولة الأولى للانتخابات، وقررت بالإجماع "الاستمرار في الانتخابات، استكمالا للمهمة التي تحمّلها الحزب، وخاض الانتخابات من أجلها، وهي الإصلاح ومواجهة الفساد في كل صوره، وعدم الاستسلام لمحاولات الإقصاء من المشهد السياسي"، بحسب بيان الحزب الذي وصلت "العرب" نسخة منه.

وفي تعليقهم على ردة فعل الحزب، أكّد خبراء في الحركات الإسلامية لـ"العرب" أن تصريحات قيادات النور وهجومها على أجهزة الدولة وسيلة ضغط للسماح بتواجدها في البرلمان، وتسهيل مهمة مرشحيها في جولة الإعادة والمرحلة الثانية من الانتخابات.

وقال متابعون إن النتائج التي حققها حزب النور في الانتخابات كانت متوقعة، في ظل الوضع السياسي الجديد بمصر، والرفض الشعبي لأيّ أحزاب دينية. وأوضح أحمد بان، الخبير في شؤون الحركات الإسلامية، أن تصوير سقوط النور على أنه مفاجأة تدليس للحقيقة، لأن الحزب السلفي لم يكن يتوقع لنفسه أكثر من 10 بالمئة من المقاعد.

وأضاف بان، لـ"العرب"، أن أزمة حزب النور في طبيعة تكوين الحزب الذي يتحرّك دائما من قاعدة الخوف وليس الطمع، وأن الحزب تأسس بعد الثورة خوفا من الإخوان المسلمين، وشارك في خارطة الطريق، خوفا من النظام.

وأشار إلى أن سياسة الخوف لا يمكن أن تصنع حزبا سياسيا، وسيبقي النور حزبا بلا هوية وعاجزا عن اتخاذ موقف قوي، خاصة في ظل التداخل بين الاتجاه السياسي والدعوي وسيطرة الدعوة السلفية على مقاليد الأمور بالحزب.

وكشف أحمد بان أن الكثير من قواعد النور رفضت التصويت للحزب في الانتخابات، بسبب وجود أقباط على قوائمه، معتبرا أن الحزب حتى الآن لا يستطيع إيجاد حل وتبرير شرعي لإقناع قواعده بضرورات الاستجابة لمتطلبات العمل السياسي، الذي يحتاج مرونة وتنازلات كثيرة لا يعرفها المنهج السلفي.

وتوقع الباحث ألا يزيد عدد مقاعد السلفيين بالبرلمان المقبل عن 10 مقاعد، إذا استمرت المنافسة بهذا الشكل. وكان حزب النور حقق 22.4 بالمئة من مقاعد برلمان 2012. وحصل على 112 مقعدا، منهم 90 مقعدا عن القوائم، و22 مقعدا فرديا، ليحل ثانيا في الانتخابات، بعد حزب الحرية والعدالة، الذراع السياسي للإخوان في ذلك الوقت.

من جانبه، اعتبر ماهر فرغلي، الخبير في الحركات الإسلامية، أن نتيجة حزب النور لا يمكن اعتبارها فشلا، لأن الحزب حصد 450 ألف صوت في المرحلة الأولى أمام 500 ألف تقريبا لقائمة حب مصر، وباقي الأحزاب (حوالي 45 حزبا). وتوقع أن يشهد الحزب تطوّرا على مستوى الممارسة السياسية بعد أن يجري مراجعات فكرية لسياسته.

وأرجع فرغلي عزوف الناس عن التصويت للنور، إلى استخدمه لنفس الآليات القديمة، مثل الهوية والشريعة وغيرها، مشددا على أن النور في عام 2015 مختلف تماما عن النور عام 2012، فالأول سيظل يلعب السياسة ولا يهمه عدد الفائزين من مرشحيه، وسيستثمر أيّ عضو في التصعيد السياسي، فدخول البرلمان لدى السلفيين أحد أساليب الدفاع عن الحركة وعن حضورها وتمددها، منوها إلى أن معركة البرلمان معركة علوية لا علاقة لها بتحركات السلفيين على الأرض، التي تسعى للسيطرة على المستويات الشعبية الهامشية التي لا تعرف الحكومة عنها شيئا.

ضريح الحسين يفتح الباب لأزمة بين مصر والعراق وإيران

قيادي شيعي لـ«العرب»: نظمنا حفلات العزاء بالمنازل

❑ **القاهرة** – بوادر أزمة دبلوماسية بدأت ملامحها تلوح في الأفق بين القاهرة وكلّ من بغداد وطهران، على خلفية التصريحات المسيئة لمصر التي أطلقها رجل الدين العراقي مقتدى الصدر، بعد إعلان وزارة الأوقاف المصرية إغلاق ضريح الإمام الحسين خلال ذكرى عاشوراء.

ودعا مراقبون مصريون الحكومة لتقديم مذكرة احتجاج عاجلة لدى الحكومة العراقية، اعتراضا على تصريحات الصدر التي يهدد فيها مصر بالإرهاب، وتحذير إيران من مغبة تدخلاتها غير المباشرة.

وكان مقتدى الصدر زعيم التيار الصدري في العراق، انتقد قرار السلطات المصرية إغلاق ضريح الحسين بالقاهرة، في ذكرى عاشوراء، مشبها ذلك بـ"غلق بيت المقدس أمام المسلمين".

وقال الصدر إن "إغلاق السلطات المصرية للضريح سيكون بداية نهاية النظام، كما حدث أيضا في العراق خلال عهد صدام حسين"، ومعتبرا المنع بالبوابة التي سيعود منها الإرهاب إلى مصر.

وكانت وزارة الأوقاف المصرية أعلنت غلق ضريح الإمام الحسين من الخميس وحتى السبت، وجاء في بيان لها أن القرار جاء "منعا للأباطيل الشيعية التي تحدث يوم عاشوراء، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من مشكلات".

واعتبر القيادي المصري الشيعي أحمد النفيس أن إغلاق ضريح الحسين خلال احتفالات عاشوراء "أضر بصورة الدولة والنظام أمام العالم". وشدد على أن ما يحدث من الشيعة المصريين في عاشوراء يختلف تماما عن نظرائهم بالعراق وباكستان، فلا يتعدى الأمر مجرد زيارة الضريح، دون احتفالات أو طقوس. ورفض القيادي الشيعي التعليق على تصريحات مقتدى الصدر، لافتا إلى أنه لا علاقة له بالموضوع.

ويعيش الشيعة المصريون وسط تضييق أمني، وحملات تكفير سلفية، حيث تركز الأجهزة الأمنية جهودها لمنع انتشار الفكر الشيعي في ظل محاولات إيرانية لنشر المذهب بالمحافظات المصرية.

وقال الطاهر الهاشمي، القيادي الشيعي، لـ"العرب"، إن قرار إغلاق ضريح الإمام الحسين بالقاهرة "مخالف لسياسة وتوجيهات الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، ومخالف للدستور الذي كفل حرية العقيدة للجميع ".

ودعا الهاشمي، الذي يوصف بولي الشيعة المصريين، الرئيس السيسي للتدخل لوقف ما أسماه بـ"الانتهاكات ضد حقوق الشيعة بمصر" الذين وصفهم بـ"أنهم دعاة وسطية ويمثلون شريحة من الشعب لهم حقوق شأنهم شأن كل المصريين".

وكشف القيادي الشيعي لـ"العرب" أن إغلاق ضريح الحسين دفعهم إلى إقامة مجالس العزاء في بيوتهم. ورفض الهاشمي أيضا التعليق على تصريحات مقتدى الصدر دون أن يقدم سببا منطقيا لهذا الرفض.

وكانت تصريحات الصدر المناهضة لمصر، قد استفزت دوائر رسمية وسلفية وشخصيات عامة بالأوساط المصرية. فناصر رضوان، الباحث في الشأن الشيعي، وصف تصريح مقتدى الصدر بأنه نوع من الإرهاب الشيعي، مشيرا إلى أن "مصر أقوى من أن يهددها حفنة من المرتزقة".

ودعا جهاد عودة، أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان (جنوب القاهرة)، مصر لتقديم مذكرة احتجاج رسمية لوزارة الخارجية العراقية مع تحميل مقتدى الصدر المسؤولية عن أيّ أعمال إرهابية تشهدها البلاد خلال الفترة المقبلة.

وأوضح عودة لـ"العرب" أن الخطورة في تصريحات الصدر أنها تتعدى الاحتجاج العادي إلى التهديد بتنفيذ عمليات إرهابية، وهو ما يتطلب وقفة من الخارجية المصرية لدى نظيرتها العراقية لاستيضاح الأمر.

ويرى سعد الزنط، مدير مركز الدراسات الاستراتيجي، أنه ليس من المناسب أن تدخل مصر في مهاترات مع الصدر، ومن يمثله، أو ينقل عنهم رسائله، وهم الإيرانيون، معتبرا تصريحاته تأتي في إطار محاولات طهران المستميتة للتحرش السياسي بمصر.

وأكد الخبير الاستراتيجي لـ"العرب" أن مصر لا تحتج على كلام صادر عن جهات من غير المؤسسة الرسمية، منوها إلى أن هذه التصريحات تأتي ضمن الملفات التي يفضل أن يظل مسكوتا عنها حاليا.

وهو ما رفضه جهاد عودة، الخبير في العلاقات الدولية، مؤكدا أن مقتدى ليس من آحاد الناس، بل هو قيادة من القيادات العراقية المؤثرة.

بدوره انتقد الشيخ محمد عبدالرازق، رئيس القطاع الديني بوزارة الأوقاف، تصريح المرجع الشيعي مقتدى الصدر، منوها في تصريحات صحفية مساء الجمعة، إلى أن القرار شأن داخلي يهدف لعدم استغلال المقام بشكل خاطئ. وأكد رفض الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف لأيّ مد شيعي في مصر أو استغلال المساجد لأيّ توجهات دينية أو مذهبية حفاظا على قدسيّتها.

وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة لتصريحات مقتدى الصدر، إلا أن هناك مصريين أعربوا عن رفضهم لقرار وزارة الأوقاف إغلاق ضريح الحسين، باعتباره انتهاكا للحقوق الدينية لأقلية مصرية.

سعد الدين إبراهيم، رئيس مركز بن خلدون للدراسات الإنمائية وصف في تصريحات لـ"العرب" قرار وزارة الأوقاف بـ"الخائب الذي لا يمكن أن يصدر سوى من وزارة متخلفة".

وقال إبراهيم، وهو أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأميركية، إن القرار يصادر حق مصريين في ممارسة شعائرهم.

وحول تعداد الشيعة في مصر أكد الخبير الحقوقي أنه لا يوجد إحصاء رسمي بعدد شيعة مصر، لافتا إلى أن مركز ابن خلدون المهتم بحقوق الأقليات رصد وجود 3 ملايين مصري يعتنقون المذهب الشيعي.

وزارة الأوقاف المصرية تغلق ضريح الحسين بمناسبة عاشوراء منعا لأي ممارسات شيعية فيه

وداعا للبكائيات

سلام فياض

❑ كتب الكثير وقيل أكثر حول روح ومنسوب الرفض الفلسطيني للاحتلال الإسرائيلي، وتعميقه الممنهج للشعور العميق لدى الفلسطينيين بالظلم التاريخي الذي حل بهم منذ استهداف فلسطين لتكون وطنا قوميا لليهود في ظل احتضان دولي تام، وخاصة إبان الاستعمار البريطاني لفلسطين، ومرورا بالنكبة وما واكبها وتلاها من تشريد وحرمان وجهد لإنكار حتى حقيقة الوجود الفلسطيني وارتباط الفلسطينيين بأرض آبائهم وأجدادهم تاريخيا ودينيا وثقافيا.

وأذكى هذا الشعور بالظلم الإسناد منقطع النظير من قبل معظم القوى المؤثرة دوليا، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، لإسرائيل حتى بعد احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967، وحتى في إطار الرعاية الدولية لما اصطلح على تسميته بعملية السلام، في الوقت الذي كان فيه من الضرورة بمكان إدارة هذه الرعاية على نحو يستهدف تصويب الاختلال في ميزان القوى بين القوة المحتلة، والشعب الواقع تحت الاحتلال.

على خلفية هذا الاستعراض السريع لتطور مكنون الغضب الفلسطيني، ومع الأخذ في الاعتبار طبيعة رد الفعل الشعبي على ذلك، لا غرابة في ميل البعض، وإن بقدر من التردد، لاعتبار حالة الغليان الحالية، والتي بدأت في القدس منذ جريمة حرق الفتى محمد أبو خضير في تموز 2014 وامتدت في أعقاب تصاعد وتيرتها منذ مطلع الشهر الحالي، انتفاضة حقيقية.

ومع التفهم لدواعي هذا التردد أو حتى ميل البعض الآخر لاعتبار أن ما يجري لا يمتلك بعد من المقومات أو السمات ما يكفي لوصفه بانتفاضة، إلا أن السياق التاريخي للأمور يرجح اعتبارها بالفعل كذلك، إن لم يكن لشيء فلكونها ليست سوى حلقة في سلسلة شبه متصلة من الاحتجاجات والإضرابات وحتى الثورات الفلسطينية المتعاقبة على مدار زهاء قرن من الزمن.

صحيح أنه لم تتوفر للانتفاضة الثالثة بعد حالة من الإسناد والمشاركة المجتمعية كما حصل إبان الانتفاضة الأولى، وهذا أمر بالغ الأهمية، وأنها لم تأخذ الطابع العسكري الذي طغى على فعاليات الانتفاضة الثانية، إلا أن فيها الكثير مما يُذكر بجوهر سابقتيها.

وتنسحب المقاربة هذه أيضا، بطبيعة الحال على الحراك الشعبي الذي انطلق في بلعين في بداية عام 2005 وامتد ليشمل العديد من مناطق التماس والمواجهة مع مشروع الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي بكافة أشكاله ومكوّناته، وغير ذلك الكثير من أوجه الرفض الفلسطيني للخنوع، بما انعكس في روح بذل وكفاح وتضحية مستلهمة من ملحمة الاستشهاد لعطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي وسلفهم وتابعيهم ليومنا هذا من شهداء فلسطين، ومن عذابات الأسر والإبعاد والتشريد في مخيمات اللجوء والمنافي، وغير ذلك من صنوف والاضطهاد التي انسابت في الوعي الفردي والجمعي لجيل بعد آخر وصولا إلى جيل اليوم، جيل ما بعد "أوسلو"، من فتية فلسطين الذين أضاؤوا شعلة الانتفاضة الثالثة.

فمَن من هؤلاء الفتيات والفتيان من ليس على صلة مع واحد أو أكثر من أوجه النضال والمعاناة التي مارسها وعايشها الفلسطينيون، والتي في مجملها تمثل المرتكزات والأبعاد القومية للقضية الفلسطينية إما بشكل مباشر أو من خلال حكايات الأجداد والجدات؟

ومن منهم ليس نتاج حقبة شهدت تحولات مجتمعية وثقافية جارفة اختلطت فيها عناصر الجاذبية الهائلة لبريق العودة إلى الأصول، وخاصة في ظل الإحباط الناجم عن فشل الأيديولوجيات التي سادت في فلسطين والعالم العربي خلال خمسينات وستينات القرن الماضي، مع المظاهر المختلفة لثورة المعلوماتية التي وضعتهم على اتصال مباشر مع أقرانهم في أصقاع المعمورة كافة وبما بعث فيهم الشعور بأن لهم من الملكة والقدرة ما للآخرين، ولكن

> ينبغي الإحجام عن تحميل الانتفاضة الحالية ما لا طاقة لها به، سواء بالترويج لإمكانيتها على تحقيق أهداف غير واقعية على المدى القصير أو من خلال الدفع في اتجاه عسكرتها

دون إمكانية التعبير عن ذلك في وجه القدرة الهائلة للوضع القائم على مقاومة التغيير؟

نعم، فلنقل إنها الانتفاضة الثالثة، وإن كان هنالك تباين في تشخيص ماهية التعاظم في منسوب الغضب الفلسطيني في هذه الأيام، فليس هنالك الكثير من التباين فيما يتصل بالأمل، إن لم يكن بالقناعة، بإمكانية هذه الانتفاضة إحداث تغيير إيجابي على مجريات الأمور في فلسطين، ليس فقط بشكل مباشر، وإنما أيضا من خلال إثارة الاهتمام مجددا بالقضية الفلسطينية على الصعيدين الإقليمي والدولي المتخمين بالانشغال بما آلت إليه الأمور في أعقاب الربيع العربي وما أسهمت به التداعيات المتصلة بذلك في تشكيل حالة غير مسبوقة من العنف والتطرف وعدم الاستقرار السياسي والأمني وحتى المجتمعي في العديد من دول المنطقة.

وكذلك، إن كانت هنالك كوابح متصلة بالتخوف الطبيعي من المجهول أو التوجس من خسارة البعض للمنافع والمزايا المرتبطة بالوضع القائم، بما يبعث على التردد في الرهان على الانتفاضة أو الانخراط في الإسناد المجتمعي لها، فهنالك الكثير من القنوط من الوضع القائم وتعاظم في الشعور بعدم الرضا إزاء توفر ما يكفي من المنافع والفرص وعدالة توزيع ما هو متاح منها في ظل الاحتلال والانقسام وضعف عام في الأداء.

وهنالك، وربما ما هو أهم، تلاش في قدرة النظام السياسي الفلسطيني على تقديم إجابات مقنعة للجمهور، وخاصة لفئة الشباب، في إطار فكر سياسي متكامل. وعليه، وكمحصلة نهائية، من الواضح أن هنالك شعورا واسعا بأهمية توفير الظروف المواتية لاستدامة الانتفاضة الحالية وتعظيم قدرتها على تحقيق المزيد من التأثير الإيجابي. والسؤال يكمن بطبيعة الحال في كيفية تحقيق ذلك؟

كمدخل للنقاش حول هذه المسألة الجوهرية، ربما يكون من المفيد البدء بتناول ما ينبغي تجنبه. أولا من المستحسن التوقف والإحجام عن محاولة قولبة الانتفاضة الحالية بما يحشرها في زاوية متطلبات الانسجام مع تصور مسبق لدى الأوساط القيادية السياسية للتماشي مع رؤية هذه الأوساط لما ينبغي أن تكون عليه الانتفاضة لجهة الأهداف والوسائل.

فمن جهة، لا أعتقد أن هنالك رؤية موحدة، أو ما يكفي من الوضوح، لدى القيادات السياسية حول هذه المسألة، الأمر الذي قد يؤدي، في حال الإصرار على إسقاط القولبة الفوقية على واقع الانتفاضة، إلى التجاذب والتشرذم، وربما إلى الانتقاص من مكانة الانتفاضة وواقعها كعنوان نضالي موحد لكل الفلسطينيين.

ومن جهة أخرى، عندما تطغى روح الادعاء بالفضل من منطلق سياسي تنافسي ويصبح إصدار البيان أهم من مضمونه، فإن من شأن ذلك أن يؤدي إلى وضع يصبح فيه هدف تحقيق الاستمرارية مبررا للوسائل أيًا كان شكلها، وحتى لو اشتملت على الإلقاء بأنفس الشباب إلى التهلكة. وبالإضافة إلى كون هذا المآل غير مقبول إنسانيا أو أخلاقيا، فإن من شأنه أن يؤدي أيضا إلى إجهاض الانتفاضة عوضا عن إذكاء روحها.

ثانيا ينبغي الإحجام عن تحميل الانتفاضة الحالية ما لا طاقة لها به، سواء بالترويج لإمكانيتها على تحقيق أهداف غير واقعية على المدى القصير أو من خلال الدفع في اتجاه عسكرتها.

وأخيرا، وليس آخرا، يجب توخي عدم الوقوع في مطب محاولة احتواء الانتفاضة، والامتناع حتى عن مجرد التفكير باللجوء للقوة لغرض لجمها أو احتوائها. وبخلاف ذلك، لا يمكن أن يؤدي مثل هذا التوجه إلا إلى تعميق الهوة بين القيادة والشعب، لا بل وربما إلى خلق حالة من التوتر الداخلي وعدم الاستقرار بما لا تحمد عقباه.

التعامل مع واقع الانتفاضة

فيما سبق تأكيد على ما ينبغي تجنبه في إطار محاولة التعامل مع واقع الانتفاضة الثالثة ومستقبلها. وأما بشأن ما يتعين عمله، فيكمن أساسا في محاولة الاستفادة سريعا، وبشكل جوهري واستراتيجي، من الفرصة التي تتيحها هذه الانتفاضة لوضع جوهر العلاقة الفلسطينية مع القوة المحتلة على أسس مغايرة تماما لما تم اعتماده وممارسته على الأقل منذ التوقيع على اتفاقيات أوسلو.

وللتأكيد، ليس المقصود هنا الاسترسال في إطلاق الدعوات، لا من قبيل التلويح ولا من باب تكرار التأكيد، لإلغاء اتفاقيات أوسلو، وتحت عناوين تراوحت بين رفع كلفة الاحتلال على القوة المحتلة وتحميلها المسؤولية الكاملة عنه، علما بأن التداول بهذه الأفكار كان قد بدأ إبان ذروة الانتفاضة الثانية بعد اجتياح جيش الاحتلال لمدن الضفة الغربية وعودة ما يسمى بالإدارة المدنية لتولي زمام إدارة شؤون المواطنين بصورة مباشرة، ثم امتد بعد سنوات ليصل إلى مراكز صنع القرار وليتم التعبير عنه رسميا في مناسبات ومحافل عدة وصولا إلى الرسالة التي وجهها الرئيس محمود عباس للعالم في خطابه الأخير من على منبر الأمم المتحدة. وعلى أهمية ذلك كله، لم تتم لتاريخه، وعلى مدار نحو عقد ونصف من الزمن، بلورة موقف يقضي بالشروع فعلا في تنفيذ إجراءات عملية في إطار مفهوم جديد للعلاقة الفلسطينية الإسرائيلية قائم في جوهره على أساس مبدأ الندية والتكافؤ.

في سياق التسلسل المنطقي للأمور، فإن عملية صياغة مفهوم جديد للعلاقة بيننا وبين القوة المحتلة تتطلب أولا اعتماد برنامج وطني يحظى بالإجماع، أو بدرجة عالية من التوافق، من قبل أبناء وبنات الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات. ولتسهيل السعي لتحقيق ذلك، قد يكون من المفيد الاسترشاد بتجربة الفلسطينيين أنفسهم من خلال استعراض سريع للأهداف أو الأهداف المحتملة للمراحل المختلفة للنضال الفلسطيني منذ مطلع عشرينات القرن الماضي، حين كان جل الاهتمام الوطني مكرسا ليس لإقامة دولة فلسطينية وإنما لمنع اليهود من إقامة دولة على أرض فلسطين التاريخية.

تحولات في الفكر السياسي

أمام الواقع الراهن، الذي ازداد تعقيدا، وبشكل مطرد، على مدار العقد الفائت نتيجة لحالة الانقسام والتشرذم التي ألمّت بالنظام السياسي الفلسطيني وأضعفت أداء مختلف مكوناته، وأيضا لتطورات إقليمية ودولية أقصت القضية الفلسطينية عن دائرة الاهتمام المباشر على هذين الصعيدين، لا يبدو من المجدي الآن السعي لبلورة رؤية سياسية تحظى كافة مكوناتها وعناصرها بدرجة كافية من التوافق الوطني، لا لجهة أسس ومنطلقات هذه الرؤية ولا لجهة الآليات والأدوات اللازمة لتنفيذها.

وعليه، لا يبدو من الواقعية بشيء توقع الوصول إلى مثل هذه الصيغة في الظروف الراهنة أو بالسرعة المطلوبة للاستفادة مما تتيحه الانتفاضة الحالية من فرص لوضع جهد الكل الوطني على مسار يبعث الأمل مجددا. ففي إمكانية هذا الجهد تصويب مسيرة النضال الفلسطيني وتعزيز قدراتها.

وعليه وعوضا عن الاستمرار في توخي السعي لتحقيق الأمثل، الأمر الذي، وللأسف، لم ينعكس لتاريخه سوى بالحديث عنه والتبشير بمزاياه، وبما أفضى إلى تدهور خطير في مكانة ومصداقية مختلف مكونات النظام السياسي الفلسطيني، قد يكون من الضرورة المبادرة ببلورة برنامج سياسي يُعبَّر عنه ليس بلغة حمّالة أوجه، كما حصل سابقا، وإنما بدرجة عالية من الوضوح والتحديد في إطار جامع ومتفق عليه لبرنامج عمل لا يتطلب الشروع في تنفيذه الموافقة الفورية من قبل جميع الأطراف على كافة أسسه ومكوناته وتحديدا، فإنني أقترح ما يلي:

● أولا، من منطلق الحرص على تبديد أيّ شك على الساحة الداخلية بشأن ما آل إليه موقف منظمة التحرير الفلسطينية في ضوء ما اعترى مرجعيات "عملية السلام" من تآكل خطير بعد ما يزيد عن عقدين من فشل جولات متكررة من المفاوضات مع إسرائيل، يتم التأكيد من قبل المنظمة على التمسك التام بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني كما عرفتها الشرعية الدولية، وفي مقدمتها الحق في عودة اللاجئين إلى ديارهم، والحق في تقرير المصير وفي دولة كاملة السيادة على كامل الأرض الفلسطينية المحتلة في عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

ويوفر مثل هذا التأكيد، ودون إجحاف لموقف الأطراف الفلسطينية المعارضة حاليا لمفهوم حل الدولتين، أداة لتحقيق هدف مزدوج، يتمثل الشق الأول منه في إرسال رسالة واضحة مفادها أن لا استمرار في التفاوض على أساس المنهج القائم، وإنما، وبما يمليه مبدأ الندية والتكافؤ، على أساس الاعتراف بحقوقنا الوطنية كمدخل لا يمكن القفز عنه.

أما الشق الثاني للهدف من التأكيد على التمسك بحقوقنا الوطنية كافة، فيكمن في أنه يمثل مدخلا هاما للشروع الفوري في إنهاء حالة الانقسام والتشظي في النظام السياسي الفلسطيني.

● ثانيا، بالرغم من الانشغال الآني في مقتضيات التعامل مع الوضع الناشئ عن الانتفاضة الحالية، لا بل من أجل أن تكون منطلقات هذا الانشغال إيجابية لجهة الحرص على توفير كل الظروف المواتية لتعظيم قدرة الانتفاضة على النجاح يجب الشروع في اتخاذ إجراءات عاجلة كفيلة بوضع حد نهائي لحالة الانقسام في النظام السياسي الفلسطيني. ويتطلب هذا بالضرورة البدء من العنوان الأكثر أهمية في الوقت الحاضر، ألا وهو قطاع غزة.

هذا هو الخيار الصحيح لسببين، وهما الحاجة الملحّة للتعامل مع الأوضاع الإنسانية الكارثية في القطاع، وكذلك من منظور استراتيجي، نظرا للحاجة إلى إعادة إدماج قطاع غزة كجزء لا يتجزأ من النظام السياسي الفلسطيني، كشرط أساسي على درب السعي لنيل حقوقنا الوطنية.

تتطلّب إعادة الإدماج هذه اتخاذ خطوات جادة نحو الشروع في إدارة التعددية الفلسطينية بطريقة ناجعة، فيما يتعلق بمتطلبات إدارة الشأن الداخلي الفلسطيني والعلاقات الدولية، على حد سواء. وهذا بدوره يتطلّب الدعوة لانعقاد وتفعيل إطار القيادة المؤقت لمنظمة التحرير بصفة فورية، وضمان تمكّن حكومة ممثلة لكافة مكونات الطيف السياسي من ممارسة صلاحياتها كاملة، وكذلك إعادة انعقاد المجلس التشريعي...

يجب أن تُكلف الحكومة، المخولة بممارسة كامل الصلاحيات الممنوحة لها بموجب القانون الأساسي والمدعومة بمشاركة جميع الأطياف والقوى السياسية، بشكل أساسي بالمهمة المزدوجة، لجهة إعمار غزة وإعادة توحيد المؤسسات الفلسطينية والأطر القانونية في الضفة الغربية وغزة. ويجب أن يتم ذلك في ظل المساءلة الكاملة التي تتأتّى بالانعقاد الفوري للمجلس التشريعي، والذي من شأنه أيضا أن يسهم بشكل مباشر كرافعة أساسية لمنظومة متكاملة من الحكم الرشيد والإدارة السليمة.

إذا أخذنا هذه الإجراءات ككل متكامل، إضافة إلى التزام قطعي بتنظيم انتخابات حرة ونزيهة وتضم الجميع في أجل لا يتجاوز ستة أشهر، فإن من شأن ذلك أن يمثل خطوة في تحقيق التمكين الذاتي الفلسطيني.

وهذه الخطوة يمكن أن تكتسب قدرة تحوّلية كافية في اتجاه معالجة، على الأقل، بعض مكامن الضعف الأساسية المتأصلة في النهج الذي تم اعتماده في التعامل مع إسرائيل في إطار اتفاقيات أوسلو، وخاصة فيما يتعلق بمسألة التمثيل الفلسطيني في ضوء تعاظم مكانة فصائل سياسية غير ممثلة بعد في منظمة التحرير.

● ثالثا، بالتوازي مع كل ما ذكر أعلاه، لا ينبغي التوقف، ولو للحظة، عن الانخراط التام، وعلى كل المستويات الرسمية والأهلية والشعبية، في دحر الاحتلال وبسط واقع الدولة الفلسطينية على الأرض بالرغم من الاحتلال وعلى درب إنهائه.

ويعني هذا بالضرورة تركيز الجهود على تعزيز القدرة على البقاء المقاوم في وجه الاحتلال وممارساته، وخاصة في القدس والمناطق المسماة "ج"، بما فيها الأغوار. وبالإضافة إلى المنطق الذي لا يحتاج إلى الكثير من البيان بهذا الشأن لكونه ليس إلا ترجمة عملية لشعار الصمود الذي يتبناه الفلسطينيون كافة، فإن فيه أيضا تنفيذا لمطلب الانعتاق من أوسلو التي قضت باستثناء القدس من النشاط الرسمي للسلطة الوطنية وبقيود مكبلة جدا تصل إلى منع نشاطها في حوالي 60 بالمئة من مساحة الضفة الغربية، بما يشمل منطقة الأغوار.

وكذلك، فإن الانخراط في بسط واقع الدولة وتجسيدها على الأرض يمثل في جوهره، وكمكون أساسي لرؤية سياسية متكاملة، تجسيدا عمليا للمفهوم الأساسي للانتفاضة، والمتمثل في إذكاء روح المشاركة الشعبية لاستنهاض الجهود والطاقات على كافة المستويات وتسخيرها لدعم البقاء الفلسطيني المقاوم على أرض فلسطين وصولا إلى دولة المؤسسات وسيادة القانون، دولة احترام الفكر والمعتقد، دولة ديمقراطية تزهو بتعدديتها ويسودها العدل وتكافؤ الفرص، دولة تحرص على كرامة مواطنيها ويصون دستورها الحريات والحقوق الفردية والجماعية وتتكيف أنظمتها وقوانينها وفق المستجدات ومتطلبات الحداثة، دولة عصرية تطلق العنان لإعمال العقل والإبداع والتميُّز، وتوفر الرعاية والحماية لفئات المجتمع الأقل حظا.

هذا هو طريق الإسناد الفعلي للانتفاضة، وهكذا يُجسّدُ شعار "الوحدة والعدالة والنظام" الذي طالما نادى به المناضل حيدر عبد الشافي كشرط لإنهاء الاحتلال واسترداد الحقوق. إنها لحظة الحقيقة التي لا مجال للهروب منها.. وفي هذا التوقيت بالذات وعلى خلفية الشك والتشكيك بمصير كياننا الوطني ووحدة حالنا، هناك رسالة أخرى في منتهى الأهمية مفادها "إنا هنا باقون".

* رئيس الوزراء الفلسطيني السابق

يجب توخي عدم الوقوع في مطب محاولة احتواء الانتفاضة، والامتناع حتى عن مجرد التفكير باللجوء للقوة لغرض لجمها أو احتوائها

> هناك حاجة إلى إعادة إدماج قطاع غزة كجزء لا يتجزأ من النظام السياسي الفلسطيني، كشرط أساسي على درب السعي لنيل حقوقنا الوطنية

... بعد اكتشاف بشار أن إيران ليست جمعية خيرية

خيرالله خيرالله

أخيرا اكتشف بشّار الأسد أنّ إيران ليست جمعية خيرية. لم يكتشف ذلك إلّا عندما طالبته بتسديد كلّ دولار ساعدت به نظامه، هو الذي كان يعتقد أن كلّ أموال العالم لا تكفي لمكافأته على ما فعله من أجل خدمة المشروع التوسّعي الإيراني، بما في ذلك تغطية الجرائم التي نفّذت عبر أدوات إيرانية معروفة، خصوصا في لبنان.

استخدمت إيران بشّار الأسد وعصرته بعدما اعتبرت أنه أفضل أداة لها من أجل استيعاب سوريا وتحويلها مستعمرة. كانت سوريا جسرا لدعم "حزب الله" الذي كان بشّار شديد الإعجاب به من منطلق أنه أقام "توازنا استراتيجيا مع إسرائيل"، على حساب لبنان واللبنانيين طبعا. لم يدرك في أيّ لحظة أن الحزب الذي كانت إيران، ولا تزال تدعمه من منطلق أنه تابع لها، مجرّد ميليشيا مذهبية تخدم مشروعا يستهدف تحويل لبنان محميّة واللبنانيين، بمن فيهم أبناء الطائفة الشيعية الكريمة، شعبا فقيرا بائسا يبحث عن طريقة للتخلّص من النفايات أو مكانا يهاجر إليه بأيّ طريقة من الطرق.

لم يتعلّم الأسد الابن من خبرة والده شيئا. لم يعرف أنّ حافظ الأسد كان يعتقد أن في استطاعته استخدام إيران واستيعابها خدمة لنظامه عموما وللدور العلوي في سوريا بشكل خاص وامتداداته اللبنانية وسعيه إلى قيام حلف الأقلّيات.

كان الأسد الأب يحسن اللعب على التوازنات. لذلك عزّز العلاقة بين دمشق وطهران ووقف مع إيران في حربها مع العراق، لكنه لم يقطع يوما العلاقة بالعرب الآخرين. كانت إيران بالنسبة إليه ورقة يبتز بها العرب. أما بشار الأسد فكان بالنسبة إلى إيران ورقة تبتز بها العرب..

قبل نحو سنة تقريبا، بدأ بشّار الأسد يستفيق إلى خطورة إيران، خصوصا بعدما بدأت تطلب ضمانات محدّدة، بشكل عقارات في سوريا، من أجل الاستمرار في توفير المساعدات المطلوبة.

في بداية الثورة السورية، في آذار ـ مارس من العام 2011، أي قبل ما يزيد على أربع سنوات ونصف سنة، كان الدعم الإيراني لنظام الأسد دعما غير محدود ومن دون شروط. بدأ يتبيّن لإيران مع مرور الوقت أنّ الثورة السورية ثورة حقيقية وأنّ الشرخ المذهبي أعمق بكثير مما يعتقد. عندئذ بدأت تعيد حساباتها، خصوصا إثر اكتشافها أنّ لا حدود لمطالب النظام السوري الذي يحتاج أول ما يحتاج إلى كمّيات كبيرة من الأسلحة والمقاتلين... والأموال.

لعلّ أكثر ما جعل إيران تعيد حساباتها الحقائق القائمة على الأرض. في مقدّم هذه الحقائق أنّ الحرب السورية حرب طويلة وأنّ بشّار ليس قادرا على خوضها، خصوصا أنّها حرب على الشعب السوري الذي يقف ضدّه بأكثريته الساحقة.

> لم تنفع حملات التشييع التي قامت بها طهران في صفوف العلويين الذين توصلوا في نهاية المطاف إلى أن بشار الأسد ليس حاميا لهم وأن الطرف الوحيد الذي يحميهم هو الطرف الروسي

الحقيقة الثانية أن سوريا ذات الأكثرية السنّية لم تعد تتحمّل النظام العلوّي الذي سخّر البلد لخدمة مصالحه الضيّقة طوال ما يزيد على خمسة وأربعين عاما.

الحقيقة الثالثة والأهمّ أن إيران دولة من دول العالم الثالث لا تستطيع تمويل حروب مكلفة من نوع الحرب السورية إلى ما لا نهاية. عانت إيران من هبوط أسعار النفط والغاز. تبيّن لها أنّ ليس أمامها سوى التوصّل إلى اتفاق في شأن ملفّها النووي.. من أجل رفع العقوبات الدولية المفروضة عليها.

اعترفت إيران بتوقيعها الاتفاق أنّها ليست سوى دولة من العالم الثالث، نصف شعبها تحت خط الفقر، لا أكثر ولا أقلّ. لا تستطيع إيران معالجة أزماتها الداخلية المستعصية، حتّى لو سطت على قسم من ثروات العراق فكيف تستطيع تمويل الحرب الطويلة الخاسرة التي يشنّها النظام السوري على شعبه؟

كان على إيران التراجع عن مشروعها السوري والاكتفاء بمشروع ذي طابع مذهبي يربط الريف الدمشقي وقسم من سوريا بالدويلة التي أقامها "حزب الله" في لبنان، في سهل البقاع تحديدا.

الحقيقة الرابعة أنّ العلويين يفضّلون الروس على الإيرانيين. لم تنفع حملات التشييع التي قامت بها طهران في صفوف العلويين الذين توصّلوا في نهاية المطاف إلى أن بشّار الأسد ليس حاميا لهم وأن الطرف الوحيد الذي يحميهم هو الطرف الروسي.

كانت نقطة التحوّل في موقف الأسد الابن من إيران مطالبتها بضمانات في مقابل أيّ مساعدات جديدة. أرادت إيران الاستيلاء على أراض سورية. هيّأت لتسجيل هذه العقارات. وجدت الأسماء العربية اللازمة لتغطية هذه العملية التي أرادت عبرها التعويض عن كلّ ما كلفّتها الحرب السورية في السنوات الأربع الأخيرة.

كلّ هذه العوامل، التي يمكن وصفها بحقائق، جعلت بشّار يعيد حساباته أيضا، على غرار إعادة إيران لحساباتها. بات عليه أن يقول للعلويين ولمسيحيي اللاذقية إنّ الحليف الوحيد الصادق "الذي يمكن الاتكال عليه" هو روسيا.

في الواقع أراد رئيس النظام السوري القول إن لديه أوراقا أخرى يلعبها، خصوصا في ظل التوتر الذي شهدته العلاقات بين ضباط الجيش السوري، الذين بقوا موالين له من جهة، والضباط الإيرانيين والقادة العسكريين لـ"حزب الله" من جهة أخرى. لا يمكن عزل إحراق اللواء رستم غزالي، رئيس شعبة الأمن السياسي، الذي قتل لاحقا في ظروف غامضة، لقصره في قرفا، عن هذا التوتر. تبيّن أن إحراق القصر كان لمنع عناصر "حزب الله" و"الحرس الثوري" من تحويله مركز قيادة لهم في تلك المنطقة القريبة من درعا.

هل تنفع الورقة الروسية بشار الأسد؟ هل ينفع استدعاؤه إلى موسكو لترديد الدرس الذي تلقنّه حرفا حرفا في شيء؟

استهلكت إيران ورقة بشار الأسد. يكفي أنها ورثت سوريا في لبنان وذلك بفضل غباء الرجل الذي قبل تغطية عملية اغتيال رفيق الحريري ورفاقه.

جاء دور روسيا الآن. لم يدرك الأسد الابن أنّه لا يصلح أن يكون أكثر من ورقة. كان والده يتلاعب بالآخرين. دخل إلى لبنان بموافقة أميركية إسرائيلية من دون موافقة موسكو. توصّل قبل ذلك إلى فك الارتباط مع إسرائيل في الجولان

> الأسد الأب يحسن اللعب على التوازنات. لذلك عزز العلاقة بين دمشق وطهران، لكنه لم يقطع يوما العلاقة بالعرب الآخرين. كانت إيران بالنسبة إليه ورقة يبتز بها العرب. أما بشار الأسد فكان بالنسبة إلى إيران ورقة تبتز بها العرب

عبر "العزيز" هنري كيسنجر وليس عبر أيّ طرف آخر. لم يتنبّه بشّار إلى أن إيران وروسيا على شبه وفاق في شأن سوريا وأنّ الجانبين وقّعا أخيرا اتفاقات في مجالات مختلفة بمليارات الدولارات..

هل يكون حظّ بشّار مع روسيا أفضل من حظّه مع إيران؟ في كلّ الأحوال، وبغض النظر عن النتائج التي أسفر عنها اجتماع فيينا بين وزراء الخارجية الأربعة (الولايات المتحدة وروسيا والمملكة العربية السعودية وتركيا)، هناك مرحلة جديدة بدأت في سوريا. مرحلة ما بعد بشّار الأسد الذي وجد أخيرا أن إيران ليست جمعية خيرية. لا يزال عليه اكتشاف أنه لم يعد سوى ورقة روسية في خدمة سياسة دولة تبحث عن أوراق خارجية لتغطية مشاكلها الداخلية وأزماتها التي لا تقل عمقا عن تلك التي تعاني منها إيران..

* إعلامي لبناني

عماد الخرسان ليس هو المشكلة

إبراهيم الزبيدي

يعلم رفاقنا في المعارضة العراقية السابقة أن أميركا، قبل الاحتلال الأميركي بزمن طويل، مدت جسورا خفية تارة، ومعلنة تارة أخرى، مع تجمعات المعارضة العراقية الإسلامية الشيعية، رغم أنها تعرف منذ أيام جورج بوش الأب ثم كلينتون وبوش الابن، أن قادتها وأغلب أعضائها موالون لإيران، أو مولّدون ومحصّنون من قبل مخابراتها.

كما كانت الإدارات الأميركية المتعاقبة تنسق مع نظام حافظ أسد وخليفته بشار، وهو إيراني الهوى والمصلحة أيضا، في تأهيل تلك المعارضات، وإدخالها إلى بيت الطاعة الأميركي الإيراني السوري (المتحد)، للعمل معا على إسقاط نظام صدام، وإقامة نظام جديد يكون قادة تلك التجمعات سادته وقادته الكبار.

وحين قررت أميركا العسكرية أن تخرج من العراق، توفيرا في النفقات المالية والبشرية والسياسية، كانت تعتقد أن حلفاءها وكلاءَ إيران العراقيين الذين تفضلت عليهم ومنحتهم وطنا غنيا مترامي الأطراف لكي يتصرفوا به كما يشاؤون سوف يحفظون لها الجميل، ويستمرون في ولائهم المزدوج الإيراني الأميركي، وعدم خيانة الأمانة.

ثم دارت الأيام، وتكشّفت المواقف، خصوصا بعد أن تمكنت أميركا وحلفاؤها العراقيون والعرب والأوروبيون من تأجيج النقمة على الوكيل الإيراني المعتمد نوري المالكي، وحرمته من دورة ثالثة، مُحرجة إيران ومنتزعة، على مضض، موافقتها على خلعه، ولكن بشرط أن يخلفه أحد قادة حزب الدعوة، فكان حيدر العبادي هو رئيس وزراء التسوية بين الطرفين.

وبسبب وقوف الشارعين، السني الناقم على المالكي، والشيعي المُحبَط والمتضرر من فساده وفساد معاونيه وأقربائه، إلى جانب خليفته الجديد، أملا في إصلاح، ونكاية بالسلف، لم يجد المالكي بدّا من خوض حربه الاستباقية مع حيدر العبادي لعرقلة محاولاته الإصلاحية التي توقع أن تبدأ به، وبالمقربين منه، بدعم قويّ من أميركا، ومن مرجعية السيد السيستاني الكارهة أصلا لسياسات المالكي المسؤولة عن كل الخراب الذي حل بالبلاد والعباد، والمصرة على محاسبته وعدم الصبر عليه.

وهنا لم يجد الوليّ الفقيه بُدّا من أن يحمي المالكي من قبضة العدالة العراقية، فاستقبله في طهران استقبال الفاتحين، ومنحه بركاته ورضاه، الأمر الذي أوحى لقادة ميليشيات قاسم سليماني، والحشد الشعبي، وأحزاب التحالف الوطني، بواجب الالتفاف حول المالكي، وحماية المنجزات الإيرانية في العراق.

فهل صحيح أن حيدر العبادي أميركي الولاء، كما يشيع عنه إخوته ورفاقه في حزب الدعوة والتحالف، أم هو حليف الساعة الأخيرة، اضطرارا، لحماية مستقبله السياسي من حبال المالكي الملتفة حوله في كل مكان، حتى في داخل قصره في المنطقة الخضراء، وديوان رئاسة الوزراء؟

وفي خضم هذه التجاذبات المعقدة على الساحة السياسية العراقية جاء التدخل الروسي لإنقاذ بشار الأسد، بعد فشل الجهود الضخمة الفاشلة التي بذلتها إيران وحزب الله والميليشيات العراقية على مدى أربع سنوات، ليجعل روسيا، في اعتقاد الإيرانيين ووكلائهم العراقيين، حليفا أفضل من الأميركي، وأقدر على حماية النفوذ الإيراني من طغيان الهيمنة الأميركية التي تحاول تقليصه في العراق وسوريا، خصوصا بعد أن مارست ضغوطا كبيرة لمنع الحشد الشعبي من دخول الرمادي، وعرقلت وجوده في صلاح الدين، وسلحت العشائر السنية، وشجعتها على إعلان الإقليم السني، للحيلولة دون تمكين القبضة الإيرانية من إسقاط الحدود العراقية السورية أمام قوافل سلاح الحرس الثوري ورجاله، وربطت زيادة مشاركتها في محاربة داعش بتقليص المد الميليشياوي، وتسييد سلطة الدولة العراقية.

وبإعلان تشكيل التحالف الرباعي بين العراق وسوريا وإيران وروسيا، واتضاح الطموح الروسي للمشاركة في معارك إيران في العراق، رفع التحالف الدولي الأميركي سخونة حربه ضد داعش، فقام، لأول مرة، بإنزال جوي مباغت وناجح وتحرير رهائن عراقيين في الحويجة، كما ضاعف ضرباته في بيجي والرمادي، لتبدأ حرب باردة علنية بين المعسكر الإيراني العراقي، وبين المعسكر الأميركي العراقي الحكومي والشعبي دون هوادة.

ورغم أن حوادث عديدة ومواقف كثيرة اتخذها حيدر العبادي بالضد من جماعة المالكي ومناصريه عمّقت الخلاف بين الفريقين، إلا أن الذي أخرجه إلى العلن، وبأشد مظاهره تعنتا وتشددا وعصبية، هو إقدام العبادي على تعيين عماد ضياء الخرسان أمينا عاما لديوان مجلس الوزراء، دون استشارة حزب الدعوة أو التحالف. فقد تسارع جميعهم إلى معارضة هذا التعيين، برغم أن عماد الخرسان ليس غريبا عليهم، فهو صديق قديم لأكثرهم، وشيعي نجفي مزكّى من مرجعية السيد السيستاني. فقد أدركوا أن هدف العبادي من هذا التعيين هو طرد جميع الموالين للمالكي والابتعاد عن محور إيران السياسي، والاقتراب من المعسكر الأميركي أكثر من سواه، باعتبار أن عماد أميركي الجنسية، وذو علاقة حميمة بالإدارة الأميركية، وقريب جدا من أوساط العلمانيين العراقيين والعرب.

فإذا كانت منظمة بدر وكتلة الأحرار والمجلس الأعلى ودولة القانون، أعلنت، كلها، أنها مع المتظاهرين ومطالبهم العادلة، ومع أوامر المرجعية في محاربة الفساد، وعابت على حيدر العبادي تأخره في إجراءاته الإصلاحية، فلماذا نهضت بقوة وحماس، كلها أيضا، ضد استعانة رئيس الوزراء بعراقي مستقل، ونزيه، ومحارب شديد للفساد، ومسلح بالعلم والخبرة والإرادة، ليعينه على تسريع عملية الإصلاح؟

والسؤال الآن، هل صحيح أن الروس أفضل من الأميركان، وأكثر حبّا بسواد عيون العراقيين؟

إن أغلب الظن أن عماد الخرسان ليس المقصود في حملة (إخوته) القاسية عليه، بل هو حيدر العبادي الذي أصبح في نظرهم عميل أميركا (الكافرة)، وعدو الشقيقة روسيا المحبة للخير والعدالة والحرية وبشار.

ولكن هل صحيح أن حيدر العبادي يمكن أن يصبح عميلا لأميركا، وخصما معارضا لإيران؟

* كاتب عراقي

أين ذهب الحلفاء؟

> عماد الخرسان ليس المقصود في حملة (إخوته) القاسية عليه، بل هو حيدر العبادي الذي أصبح في نظرهم عميل أميركا (الكافرة)، وعدو الشقيقة روسيا المحبة للخير والعدالة والحرية وبشار

تكنوقراطي قوي للخلاص من التصور الإيراني للعراق

عماد الخرسان أمام مهمة تصفية تركة المالكي الثقيلة

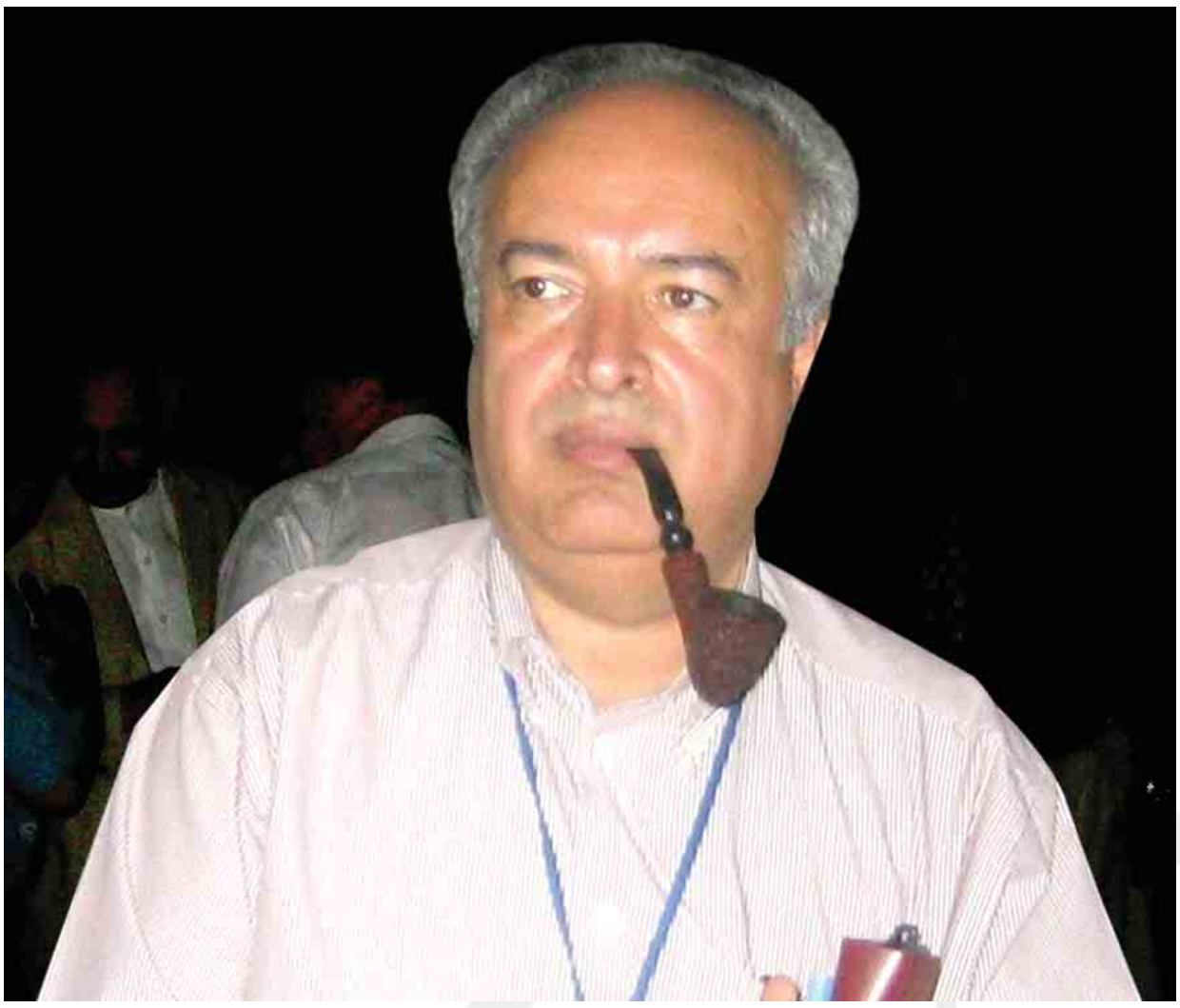

إبراهيم الجبين

الاجتماع الأول الذي يعقده عماد الخرسان في منصبه الجديد، يفتتحه بالقول «إنني حرفي أمضيت معظم حياتي في بناء المشاريع، وبأعلى المواصفات الهندسية والتكنولوجية والعلمية، وأغلبها، في آخر عشرين سنة، مشاريع كبرى، أحب الناس جميعا بدون إستثناء، ولست منتميا الى أي حزب أو مجموعة سياسية، وحزبي الوحيد هو العراق»

❑ **برلين** ـ كان متوقعا أن يثير تعيين عماد ضياء الخرسان أمينا عاما لمجلس الوزراء ما أثاره من ردود أفعال متباينة، غاضبة أشد الغضب، ومهددة بمواقف مناهضة في البرلمان، صدرت عن أحزاب الدين السياسي الموالي لإيران، وأخرى متفائلة ومؤيدة ومرحّبة اتخذتها أوساط مستقلة وديمقراطية وعلمانية عديدة، في تعليقاتٍ عديدة على مواقع التواصل الاجتماعي، توقّع أصحابها أن يستطيع الخرسان منع بعض الظلم وبعض الفساد، وتحقيق بعض العدالة وبعض النزاهة.

وتوقع مراقبون سياسيون ومحللون عراقيون مستقلون أن يباشر الخرسان بإعادة بناء كادر الأمانة العامة لمجلس الوزراء وتطعيمه بعدد من أصحاب الخبرة والكفاءة وحسن السلوك.

متحمس للدولة المدنية

الإعلامي والسياسي العراقي إبراهيم الزبيدي، المعروف بعلاقته الوثيقة والطويلة مع الخرسان، علق للعرب على تكليف الأخير بمنصب أمين عام مجلس الوزراء، بالقول إنه "لو كان عماد متدينا ومؤمنا بولاية الفقيه، ومحسوبا على أحد أطراف التحالف الوطني الشيعي الحاكم، لحل الرضا مكان الغضب، ولسمح الدستور والقوانين بتعيينه، حتى لو كان مزدوج الجنسية، كما يعيب عليه خصومه اليوم متناسين العشرات من الوزراء والنواب الذين يرفضون التخلي عن جنسياتهم الثانية". وأضاف "ألم يكن هوشيار زيباري بريطاني الجنسية، والسفير محمد الحكيم أميركي في نيويورك؟ ألم يعيّنوا الأردنية صفية السهيل سفيرة عراقية في الأردن؟".

يصف الزبيدي عماد الخرسان بأنه "رجل علم وخبرة واختصاص، ديمقراطي مستقل، ومتحمّس للدولة المدنية، ومحارب شديد للفساد والطائفية، ولذلك فإنه من الطبيعي أن لا يؤيد تعيينه في هذا المنصب سوى المستقلين والديمقراطيين".

مصدر مقرب من رئيس الوزراء حيدر العبادي، قال للعرب بأن من عيّن عماد الخرسان في هذا المنصب، ليست المرجعية ولا أميركا، بل هو العبادي نفسه، بحكم صداقة قديمة بينهما، ولحاجته إليه في مواجهة مراكز القوى التي تعرقل إصلاحاته، خصوصا من داخل حزبه ذاته، حزب الدعوة، ومن التحالف الوطني (الشيعي).

وبرّر المصدر حدة الغضب التي أبداها نواب ائتلاف دولة القانون الذي يتزعمه نوري المالكي، والتيار الصدري والمجلس الأعلى، بأن دخول شخص مستقل ومحايد ومعروف بالاستقامة والنزاهة، ويصعب استغلاله، لا يناسبها، بل يهدد مصالحها وعلاقتها بديوان رئاسة الوزراء.

التغيير الجوهري المنشود في العراق يتطلب تغييراً في توازن القوى داخل هيكل الأجهزة الحكومية، وليس على مستوى الأداء السياسي فقط، فكان المجيء بالخرسان، ليكون رأس حربة لمشروع التغيير كله من داخل البنية، الأمر الذي يدرك أبعاده ائتلاف دولة القانون بقيادة المالكي ولذلك سارع إلى التنديد بتعيينه

عمل عماد الخرسان سابقاً، أمينا عاما لديوان رئاسة الوزراء، ومستشارا لإبراهيم الجعفري عندما كلف برئاسة الوزراء عام 2005، لكنه لم يصبر كثيرا على الفوضى والتدخلات الطائفية والعمليات المشكوك في نزاهتها، والتي كانت تمرّر على رئيس الوزراء، فاستقال وعاد الى منزله في ولاية ميتشغان الأميركية، بصمت وهدوء.

رغم إقامته الطويلة في الولايات المتحدة، وعلاقته الوثيقة مع الأميركيين، والتي ظهرت في العام 2003، بعد تكليفه من الإدارة الأميركية بتولي هيئة إعادة إعمار العراق، بأمر مباشر من جاي غارنر وبول برايمر، إلا أن الخرسان يعدّ ليبراليا يساري التوجّه، لم يترك إرث عائلته الديني يسيطر على حياته وبوصلته، وكان في الوقت ذاته قريباً من الحزب الشيوعي العراقي في شبابه.

ولعل إشارة إلى العمق العائلي في شخصية الخرسان، تقود إلى فهم التموضع الجديد لحركة أمين عام مجلس الوزراء الجديد، فعمته هي فاطمة الخرسان الطبيبة العراقية، وزوجة حسين الصدر عمّ مقتدى الصدر، وكانت قد أعدمت في السبعينات بتهمة المشاركة في مؤامرة لقلب نظام الحكم، إشارة تقود إلى علي الصدر، الرجل القوي وثيق الصلة بمقتدى، ما يوحي بأن الخرسان قادم ليس فقط بثقل الولايات المتحدة، بل بالبعد الصدري في المشهد العراقي أيضاً.

يضاف إلى ذلك، علاقة شقيق الخرسان، رجل الأعمال والمقاول المعروف، برئيس الجمهورية فؤاد معصوم والتي تعود إلى عهد تولي ابنة الرئيس جوان معصوم لحقيبة وزارة الاتصالات، حينها نفّذت شركات الخرسان غالبية مشاريع الوزارة، دون أن يرافق ذلك أيّ شبهات فساد.

العراق ومجلس التعاون الخليجي

اسم عماد الخرسان تردّد كثيراً في الأروقة السياسية، حين جرى تسريب اتفاق أميركي يرضي دول الخليج العربي، لاختيار رئيس وزراء جديد يخلف العبادي، الاتفاق يسعى إلى إعادة صياغة المشهد السياسي العراقي، وتخليصه من الهيمنة الإيرانية، الأمر الذي التقطه لاعبو السياسة في العراق، فقدّموا الخرسان خطوة ليتولى منصبا يكون حجر أساس للتغيير القادم.

إعادة تكوين المشهد السياسي في العراق، لا يمكن لها أن تكون منفصلة عن إعادة رسم الخارطة السياسية في المشرق العربي كلّه، بما في ذلك الفضاء الخليجي في الإقليم، والذي أكدت مصادر وتقارير، عن نوايا جادة فيه، لتوسيع مجلس التعاون الخليجي، ليضم اليمن والعراق، بعد إجراء حسمين أحدهما سياسي في العراق وآخر عسكري في اليمن.

من هنا تصبح الخطوات الإصلاحية، والمحاسبية التي تم الإعلان الصريح عنها، وتوقيف ومنع سفر العديدين من مسؤولي عهد المالكي، وتعيين مسؤولين ثقيلين في مواقع حساسة في الدولة العراقية، طريقاً واضحة المعالم للتوصل إلى حكومة مدعومة عربياً دعماً كفيلاً بانتزاعها من المخلب الإيراني.

ويبدأ هذا كلّه، بإجراء المصالحة الوطنية الموسّعة، التي ستضم جميع الأطراف التي تهميشها في الماضي، لا سيما العرب السنة في غرب العراق.

الخرسان واتحاد الولايات العراقية

يبدو أن الأميركيين في حالة نقاش متواصل مع الجهات العراقية، وعلى رأسها المرجع الشيعي علي السيستاني، لدعم من يقوم بترشيحهم في المرحلة القادمة، مرحلة التغييرات الكبيرة، بهدف استعادة وحدة العراق والحرب على تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

علاقات السلام، هي الهدف الذي يتوجّه نحوه الخرسان، في مشروعه الخاص، الذي تردّد أنه يقوم على إعلان اتحاد للولايات العراقية، تتمتع بعلاقات متقدمة مع المحيط العربي، وخصوصاً دول الخليج العربي، بعد أن تسبب انخراط العراق في المحور الإيراني بتفتيت البلاد وإضعاف اقتصادها وانتشار الفساد بدرجة كبيرة، وانخفاضٍ الخدمات وانعدامها في مناطق كثيرة، بالإضافة إلى سقوط مساحات واسعة من العراق ومدن عريقة مثل الموصل بيد التنظيمات الإرهابية، الأمر الذي يصفه الخرسان بأنه "استثمار بلا عوائد".

كل ذلك لا يمكن أن يحدث في ظل السيطرة الكلية لإيران على مفاصل الدولة العراقية، والتي شهدتها فترة حكم نوري المالكي، وبدأت تظهر ملامح الإرادة الشعبية بالتخلص منها تدريجياً، مع تولي حيدر العبادي منصب رئيس الوزراء بالطريقة التي رآها العالم، رغماً عن المالكي الذي حاول التمسك بمنصبه، ويحاول باستمرار خلخلة عمل الحكومة الحالية.

الاجتماع الأول الذي عقده عماد الخرسان الأمين العام الجديد مع المدراء العامين في الأمانة العامة لمجلس الوزراء، افتتحه بالقول "إنني حِرَفيٌ أمضيت معظم حياتي في بناء المشاريع، وبأعلى المواصفات الهندسية والتكنولوجية والعلمية، وأغلبها، في آخر عشرين سنة، مشاريع كبرى"، وأضاف "أحب الناس جميعا دون استثناء، ولست منتميا الى أيّ حزب أو مجموعة سياسية، و حزبي الوحيد هو العراق".

ويتساءل معلقون على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، عن قدرة العبادي على التمسك بهذا التعيين، في مواجهة معارضة المعسكر الإيراني ومَواليه، وكيف سيواجه الخرسان دسائس ومؤامرات الفاسدين، فهو اليوم بالإضافة إلى صعوبة مهماته، إلا أنه أمام فرصة عراقية جديدة وثمينة لاستعادة الدولة والرجوع إلى العالم العربي، العمق الاستراتيجي الحقيقي لبلاد الرافدين، بعد أن جرّب العراقيون شكل التصوّر الإيراني للعراق خلال السنوات الماضية.

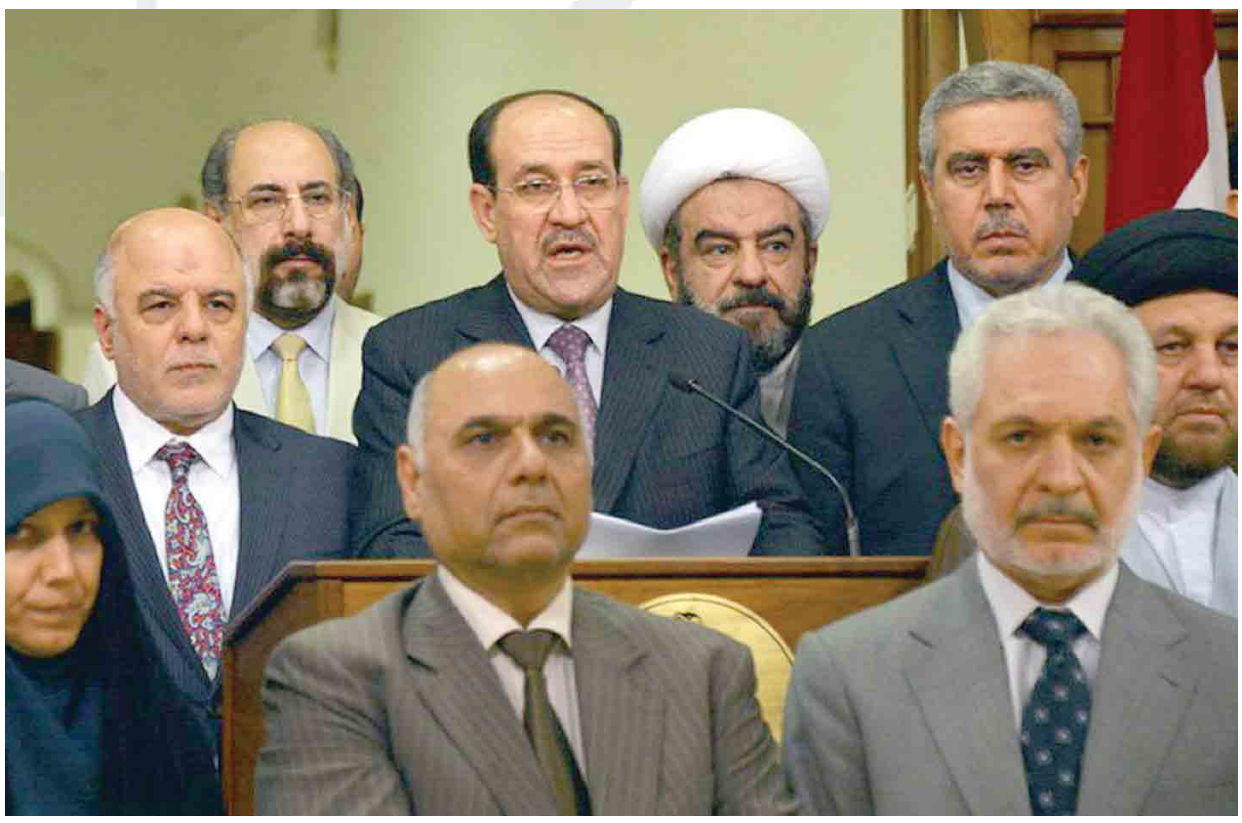

وفرة في الأهداف

فنانة ترسم لتتذكر وتتذكر لتمحو

إيفيت أشقر
رسامة المعاني التي تثق بالتجريد

فاروق يوسف

❑ **ستوكهولم** – مطلع ستينات القرن الماضي، ظهر في لبنان جيل فني جديد جلبت رغبته في تجديد الأساليب الفنية حيوية مختلفة إلى الحياة الثقافية الحافلة بالأمل. كان ظهور ذلك الجيل بمثابة نهاية لمرحلة مهمة عمادها التأسيس للحداثة الفنية والبدء بمرحلة جديدة كان البحث المتأني والجريء في تنويعات وتجليات الفن التي لا تحصى هدفها ووسيلتها لخلق فن جديد. وهو ما جعل تجاور الأساليب والمدارس الفنية أمرا ممكنا بل ومطلوبا لذاته.

الرسامة الطليعية

من رموز ذلك الجيل يمكننا أن نذكر: عارف الريس وحليم جرداق وشفيق عبود وإيلي كنعان وميشال بصبوص وسلوى روضة شقير وفريد عواد وبول غيراغوسيان. جيل من الفنانين الذين قدر لكل واحد منهم أن يكون في ما بعد علامة شاخصة في تاريخ الفن التشكيلي في لبنان، وكان من حسن حظ إيفيت أشقر أن تكون ابنة ذلك الجيل المُغيّر.

ابنة ساوباولو (البرازيل) التي ولدت هناك في العام 1928 ودرست الفن في الأكاديمية اللبنانية (ألبا) وجدت نفسها منذ البدء في مواجهة اختبار حقيقي. فقد كان ظهورها فنيا في تلك الحقبة المكتظة بالفنانين الحداثويين والساعين وراء التحول، قد وضعها في مواجهة تحد، لم يكن من اليسير اختراقه. لم يكن السؤال الرئيس يومها "كيف نرسم؟" فقد كان سؤال الحرفة والتمكن والإتقان محسوما. كان السؤال الملح يومها "كيف يتمكن الفنان من أن يكون طليعيا؟"، وهو سؤال يمكن تبسيطه "لماذا نرسم؟". لقد اختط كل واحد من أبناء ذلك الجيل الذي كان يهذي بالعالمية الطريق التي يظن أنها ستصل به إلى هدفه وكان أن اختارت إيفيت أن تتخذ من الأسلوب التجريدي طريقا لها لتصل من خلاله إلى تعريف العالم الذي تراه والتعريف به من خلال إيقاع شاعري أضفت عليه الأنوثة الكثير من رقتها وصفاء حكمتها.

لقد صنعت أشقر عالما لا شكليا تستحضر مفرداته لغة تكاد تكون غائبة لشدة شفافيتها. وكما أرى فإن ظهور إيفيت أشقر وروضة سلوى شقير في تلك الحقبة التاريخية كان قد شكل مؤشرا على تقدّم وعي المجتمع اللبناني ورقيّ هواجسه الحضارية.

يومها بدا واضحا أن المجتمع قد تحرر من قيود كثيرة، بحيث صارت المرأة تلعب دورا طليعيا في صنع ذائقته الجمالية وتحولاته الثقافية.

لم تخف إيفيت تأثرها بالتجارب التجريدية الرئيسة التي صنعت منعطفات أساسية في تاريخ الفن الغربي، وهو ما لم تجده مناقضا لشغفها بالفن الشرقي، بنزعاته وميوله التجريدية. من بين التجريديين الكبار كان أثر هارتونغ ونيقولا دو ستايل وسولاج واضحا على أعمالها. فهي مثلهم اختارت أن تهدم الشكل ولا تكترث بالموضوع ولم يشغلها شيء بقدر ما شغلها الإنصات إلى الموسيقى التي تنبعث من الداخل. كان السطح لديها يمتلئ ويفرغ عبر عمليات الإضافة والحذف تبعا لانفعالها بالوقائع اليومية التي تكتسب حين تمرّ بيدها الملهمة الكثير من الإبهام الذي يضع المتلقي في مواجهة معان افتراضية متعددة.

عن طريق الموسيقى ذهبت إيفيت إلى احتمالات الشكل التي لا تحصى. وهو ما أضفى على رسومها قدرا هائلا من الحساسية التي تستجيب لأمزجة مختلفة. كان لدى الرسامة ما يجعلها قادرة على استشعار ولادة الشكل قبل أن تقدم على هدمه. لذلك تتحرك رسومها بخفة بين الهدم والبناء في جدل غير سكوني، يمتحن المتلقي من خلاله قدرته على الإبقاء على لذة المشاهدة، كما لو أنها تتجدد كل لحظة. فرسوم إيفيت أشقر تتجدد كل لحظة نظر.

حرية المزاج الفالت

أكسبها تأثرها بالفن التجريدي الغربي حرية تنسجم مع روحها المتمردة ومزاجها المتقلب، غير أنه لم يقطع الدرب عليها في اتجاه ما كانت تعتبره قاعدة روحية لها. تراث الشرق الذي يمكنها الالتفات إليه واستيعاب جمالياته من مواجهة الفكر المادي الذي صار يهيمن على وصف الأشياء وتركيب المفاهيم بطريقة عقلانية جافة. كان هناك الكثير من العاطفة في دفاعها عن عالم تكون فيه الروح حاضرة ميزانا، يمكن من خلالها المضي بالأشكال إلى مستقرّها اللاشكلي. في كل ما فعلته هناك دهشة كلاسيكية تسيّج المرئيات برفعتها. يشعر المرء وهو ينظر إلى لوحاتها بأنها بعد أن هضمت كل دروس الطبيعة صارت تستعمل ما ألهمتها تلك الدروس من حالات متضادة في صناعة عالمها الذي يهمها أن يقف باعتداد إلى جوار عالمنا.

نجاتها من تقليد الطبيعة صوريا لم يكن القصد منه الهروب من قوانين الطبيعة. ففي رسوم إيفيت أشقر تعيد الطبيعة تأثيث ذاتها.

رؤى بصرية

لا تكرر إيفيت أشقر نفسها. ما من لوحة من لوحاتها تشبه أخرى. أعتقد أنها في ذلك تفوقت على معلّميها الأوروبيين. هل تستخرج الفنانة رؤاها البصرية من عدم لا يكرر صوره؟ تستلهم الفنانة الواقع وهي في الوقت نفسه تتجرد منه. معجزة فنها تكمن في أنها نجحت في تحويل انفعالاتها بما يجري من حولها إلى موجهات تقود إلى عالم لا يمكن المرور إليه إلا من خلال تنظيف التأثير من أسبابه. قوة ذلك العالم تقع في قدرته على فرض احتمالاته الجمالية. لم تمارس إيفيت أشقر التجريد باعتباره تقنية لتخفيف العبء عن العالم، بل مارسته باعتباره خلاصة روحية، يمكننا من خلالها فهم الطبيعة الداخلية لذلك العالم. ولأنها اعتبرت العالم من حولها مجالا حيويا فقد ارتأت أن لا تفارقه إلا مظهريا. جوهر عملها يقع في اللحظة التي يكتشف فيها الإنسان العالم. لقد لعب الزمن دورا أساسيا في تكوين مفاهيم أشقر بما يتعلق بصلة الإنسان بالعالم الذي لم يعد مكانا مطلقا. كانت ترسم لتتذكر ولكن بأسلوب تجريدي.

> ظهورها فنيا في الحقبة المكتظة بالفنانين الحداثويين والساعين وراء التحول، يضع إيفيت أشقر في مواجهة تحد، لم يكن من اليسير اختراقه. فلم يكن السؤال الرئيس يومها «كيف نرسم؟» بل «كيف يتمكن الفنان من أن يكون طليعيا؟»

زهد لوني

مريح فن إيفيت أشقر. هناك زهد واضح في الألوان والأشكال والمساحات. كل ما يمكن أن يقع يحظى بالرضا والقبول، ذلك لأن توتر السطح قد لا يسمح لأي شيء بالظهور. عالم هذه الرسامة مكتظ بكائناته التي لا تسمح لها مشاعرها المتدفقة بالظهور. شيء يمكننا أن نفهمه حين نقيم مقاربة بعجز المرء عن التعبير بالكلمات بسبب ذهول يصيبه فجأة. وبالرغم من أن إيفيت لا ترسم مرتجلة فإنها سعت إلى أن تبقي تلك الـ"فجأة" قوية وصلبة كما لو أنها وقعت لتوها.

رسوم أشقر تفاجئ بعفوية جمالها كما لو أنها رسمت للتو. في العام 2004 نجحت نادين بكداش في أن تقيم معرضا استعاديا لإيفيت أشقر في قاعتها جنين أربيز ببيروت. المفاجئ في ذلك المعرض أنه لم يبد استعاديا. بدت اللوحات كما لو أنها رسمت من أجل إقامة معرض شخصي جديد. جديدة إيفيت أشقر دائما. لا لأنها لم تتكرر حسب، بل أيضا لأنها تفرض على متلقي أعمالها طريقة أحادية في النظر. إنها تحترم حرية المشاهد الذي سينظر باحترام إلى حريتها. بالنسبة إلى إيفيت أشقر فإن الحرية رسالة. لذلك فإنها تسعى من خلال كل ما تفعله إلى تحرير مشاهدها من التعلق بالصورة. "عليك أن تنساها لتكون لديك صورتك الخاصة عن العالم" تلك هي وصيتها. وهي الوصية التي يتعلم المشاهد من خلالها شيئا من أسرار الفن التجريدي. ذلك الفن الذي أخلصت إليه إيفيت أشقر ووهبته حياتها.

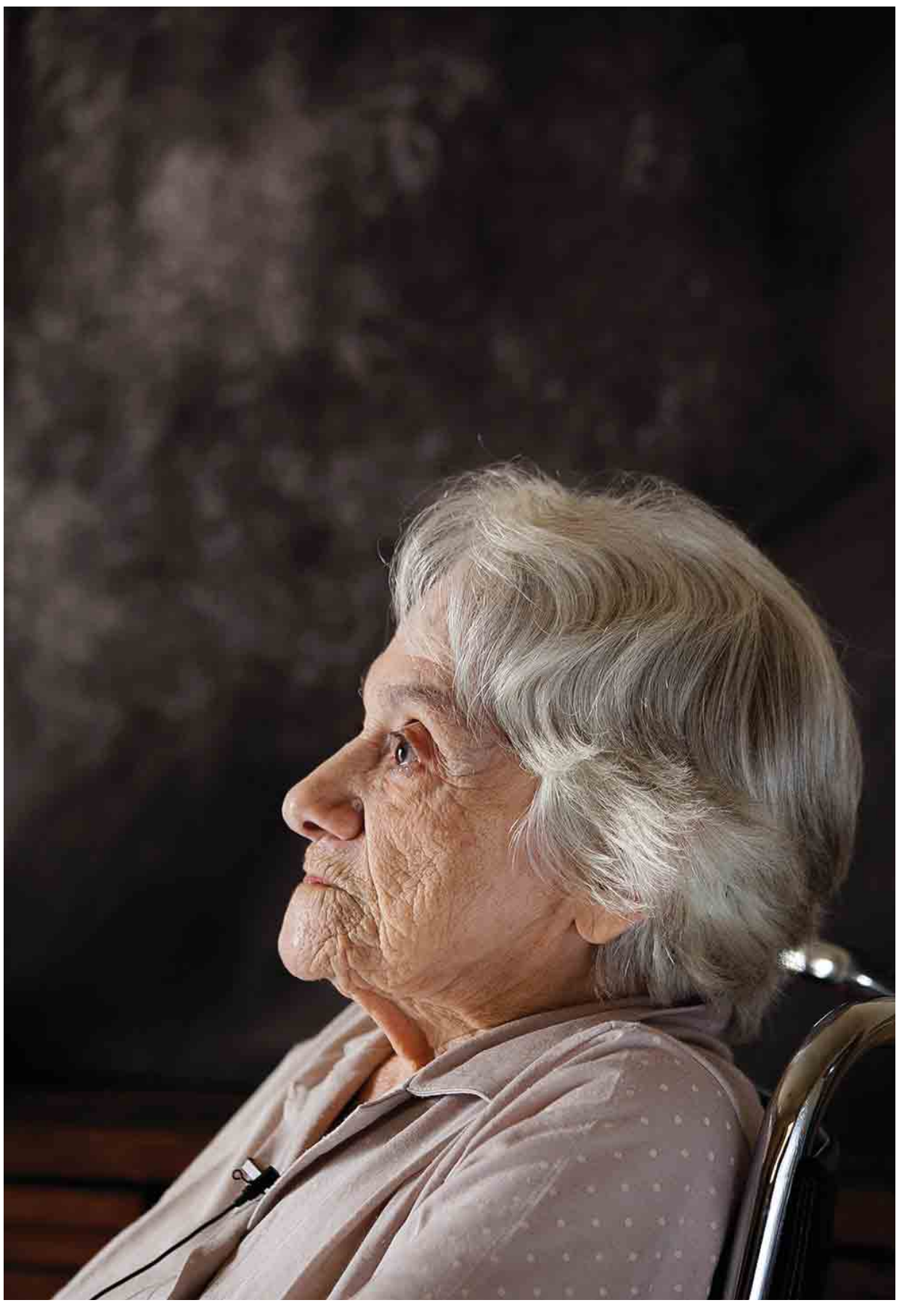

مراسل حربي مات وهو يتباهى بأن دماء عروقه بلون الزي العسكري

جمال الغيطاني

روائي عارض كل رؤساء مصر ووقع في غرام الجيش

بهاء الدين يوسف

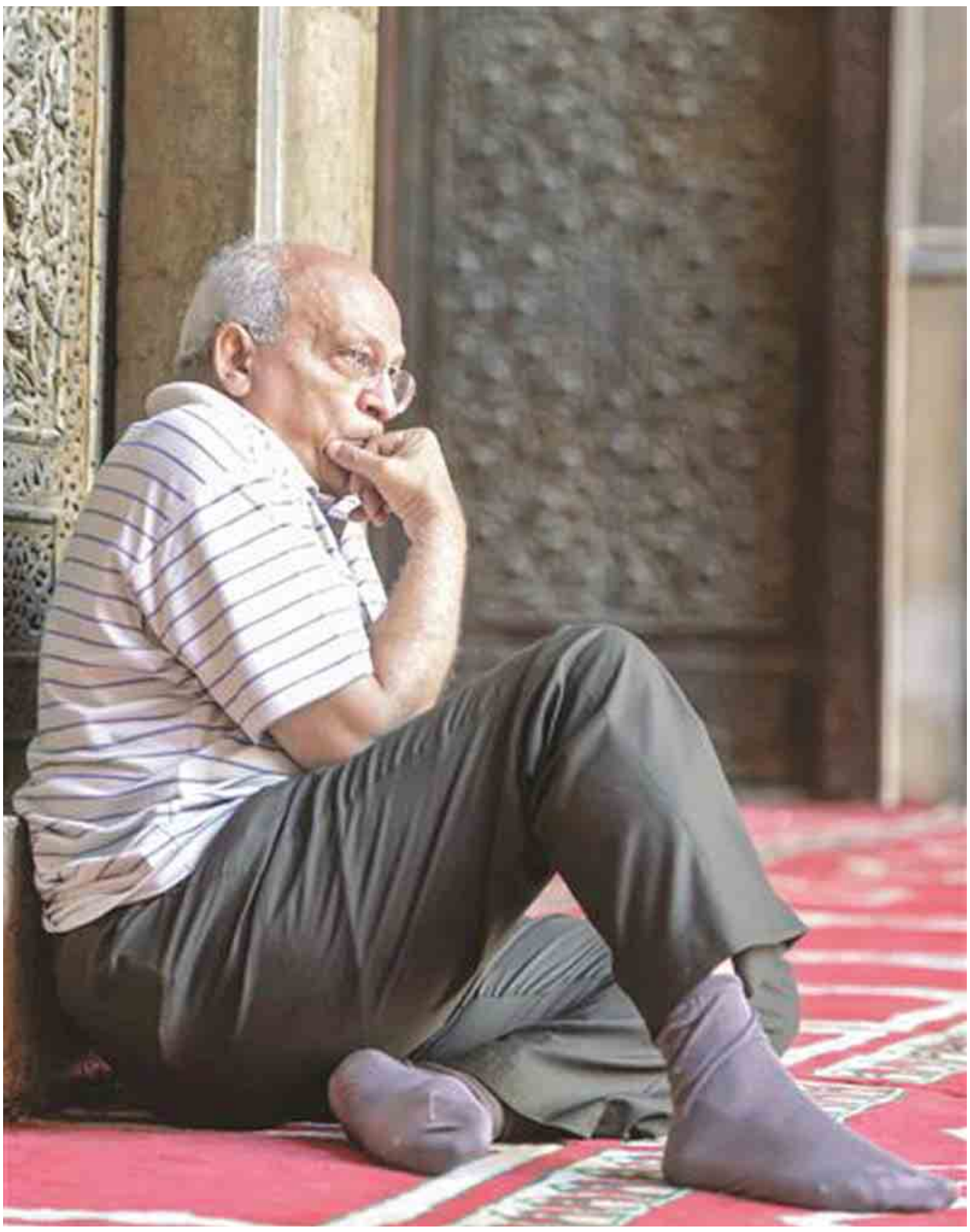

❑ **القاهرة** – من يتأمل حياة الروائي المصري الكبير جمال الغيطاني يلمس فيها العديد من المفارقات، فقد التحق بالعمل في الصحافة بسبب رواية له نالت إعجاب الكاتب محمود أمين العالم الذي كان وقتها في نهاية الستينات من القرن الماضي رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم.

في المقابل، كان لعمله كمراسل عسكري للجريدة في فترة حرب الاستنزاف وحتى نصر أكتوبر 1973 دور كبير في شهرته الأدبية، بعد أن نجح في لفت الأنظار بقوة إلى الجانب الإنساني في المعارك والجنود عبر ما كان يسطره قلمه طوال فترة عمله على الجبهة بين عامي 1969 و1974 في صحيفة الأخبار المصرية.

لكن وسط المفارقات المتعددة كانت هناك حقيقة واحدة ثابتة في عقيدته الحياتية هي ارتباطه الوثيق وإيمانه الذي لا حدود له بوطنية وعظمة الجيش المصري فيما بدا أنه حب متبادل.

الغيطاني الذي اختار له القدر أن يرحل عن عالمنا قبل أيام، في الذكرى الثانية والأربعين لمعركة العزة والكرامة، اعتاد أن يقول متباهيا بعلاقته مع القوات المسلحة "لو سمح المجاز لي، سأقول إن دمائي التي تسري في عروقي كاكية اللون (لون زي الجيش المصري)، فإيماني بالعسكرية المصرية مطلق وبغير حدود".

وقد حمل البيان الذي أصدرته القوات المسلحة لنعي الكاتب الراحل، في واحدة من المرات النادرة التي يصدر فيها الجيش المصري بيانا مماثلا، مشاعر حزن نبيلة بين سطوره، تتجاوز رسميات العزاء المتعارف عليها لتعكس إدراكا واعيا لما قدمه الغيطاني بقلمه من خدمات للوطن وحرّاسه.

كلمات البيان يشعر من يقرأها بصدق مشاعر من كتبها، سواء عندما توقف عند مفارقة أن روح الأديب المحارب، كما وصفه، أبت إلا أن تلحق برفاقها المقاتلين وفي الشهر نفسه شهادة له بصدق النية واستجابة -ربما- لدعواته عندما سطّر أروع كتاباته من على خط النار عن شهدائنا في أكتوبر، وتمنى أن يلحق بهم، أو عندما اختار أن يختم بعبارة قاطعة تقول إن "الرجال أمثال جمال الغيطاني ترحل ولا تموت" وهي عبارة تستخدم عادة في نعي القادة العسكريين.

تصوف أدبي

❑ الكتابة العابرة عن علاقة الغيطاني بالجيش، قد تتوقف عند الكثير من الهوامش أو المظاهر البعيدة عن الواقع، لكن قراءة أكثر تعمقا لفترة عمله كمراسل وكتاباته عن حصيلة ما اختزنته ذاكرته من تلك الفترة تقود إلى تفهم حالة التماهي الكاملة بين الأديب والعسكري.

فهو رأى خلال تلك الفترة الموت والحياة في صورتهما البدائية، فمكنه ذلك من الارتحال عبر آلاف السنين، متجاوزا العديد من مراحل تطوّر البشرية، وكان ذلك الارتحال، في ما بدا لاحقا، هو خطوته الأولى نحو التصوّف الأدبي الذي سيميّز رواياته فيما بعد ويخلق منه نمطه الفريد الذي كان عليه.

خلال تلك الفترة أيضا، وجد أعظم المكنونات البشرية في الجنود البسطاء الرابضين على الجبهة، ينتظرون الموت بنفس البساطة التي يقبلون بها على الحياة مع إشراقة كل صباح، أدرك أن الحقيقة الكاملة التي ينفق الكثيرون أعمارهم في البحث عنها دون جدوى موجودة في روح كل جندي مصري قضى أجمل أيّام شبابه داخل خندق لا صديق له سوى سلاحه وكتابه المقدس، سواء كان قرآنا أم إنجيلا.

ورغم أن الغيطاني عاش الموت طوال سنوات تجنيده الخمس بالقوات المسلحة المصرية، إلا أن موقفا واحدا ظل مسيطرا على تفكيره طوال 42 عاما الماضية، الموقف حدث في أحد أيام حرب الاستنزاف، نهاية ستينات القرن الماضي، في المقهى الوحيد بمدينة السويس التي كان قد تم تهجير سكانها عقب نكسة يونيو 1967 مثلما حدث مع سكان مدينتي الإسماعيلية وبورسعيد وهي المحافظات الثلاث المطلة على قناة السويس.

في ذلك اليوم ذهب إلى المقهى متأخرا، فلم يجد سوى مقعد بلا ظهر، فجلس عليه مستسلما، حتى قام جندي إطفائي من مقعد مواجه له، وأصر عليه أن يتبادلا مكانيهما، وعندما حاول الغيطاني الاعتذار فوجئ بالرجل يسحبه تقريبا من يديه ليجلسه مكانه.

وما هي إلا لحظات حتى فوجئ كل من في المقهى بالرجل يسقط مكانه دون حراك، فهرع الجميع وبينهم الغيطاني نحوه لاكتشاف ما حدث ليجدوه قد فارق الحياة، ولاحظوا نزيفا خلف أذنه فعرفوا أن رصاصة إسرائيلية خائنة اخترقت رأسه لتفجّر مخه.

هذا الحادث الذي كان يفترض أن يكون الغيطاني ضحيته، لولا شهامة الجندي البسيط، أجبره على التوقف أمام العديد من حقائق الحياة والقدر، وزاد ارتباطه بالجيش ورجاله حتى لفظ أنفاسه الأخيرة بين أيدي عدد منهم داخل مستشفى الجلاء العسكري.

جنرال الرواية

❑ التواصل الإنساني المميز ترك أثره على مواقف الغيطاني وآرائه السياسية في ما بعد، ورسّخ داخله قناعة تصل إلى درجة الإيمان أن الجيش المصري العمود الفقري للدولة المصرية، هو مؤسسة حضارية وليست عسكرية فقط، وتراث وطني طويل جدًا منذ عصور الفراعنة، وهي قناعة جعلت حكمه على أيّ رمز أو زعيم سياسي مبنيا على موقف هذا الرمز من الجيش المصري، يهاجم من ينتقدون القوات المسلحة، مثلما فعل مع محمد البرادعي، مدير وكالة الطاقة الذرية سابقا، ونائب رئيس الجمهورية المصري السابق، الذي قال عنه: لو كان ثائرا حقيقيا لأصبح مثل سعد زغلول أيقونة للثورة المصرية وزعيما لها، لكنه بدأ يهاجم مؤسسات الدولة فنفرت منه الجماهير.

كذلك هاجم عمرو موسى الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، ورئيس لجنة الخمسين التي أعدت الدستور المصري الجديد، وانتقده بقسوة محمّلا إياه مسؤولية تراجع الآمال عقب ثورة 30 يونيو 2013، لأنه أراد عمل دستور يناسب ذاته المتضخمة، ويتيح له (إذا قدر له أن يصبح رئيسا للبرلمان) أن يمتلك صلاحيات تفوق تلك التي يتمتع بها الرئيس المصري.

لم يخف الغيطاني امتنانه البالغ للجيش وقائده (رئيس الجمهورية فيما بعد) عبدالفتاح السيسي للدور الذي لعبه خلال ثورة 30 يونيو من أجل إعادة مصر التي اختطفتها جماعة الإخوان، فالروائي الذي عاش دائما على يسار أيّ نظام سياسي تعاقب على حكم مصر، كان عداؤه الأبرز لجماعة الاخوان التي كان يراها تنظيما أجنبيا اعتبر توليه لحكم مصر بمثابة الاحتلال، وأن وصول جماعة الإخوان إلى سدة الحكم ليس هزيمة لحسني مبارك إنما للدولة المصرية الحديثة التي بناها محمد علي باشا قبل حوالي مائتي عام.

تأججت حالة العداء بعد أن استقبل نجاح الرئيس الأسبق محمد مرسي في الانتخابات الرئاسية صيف عام 2012 بمقال انتشر وقتها على نطاق واسع بعنوان "وداعا مصر التي نعرفها" نعى فيه التعددية والليبرالية وغيرها من السمات التي تجذرت في المجتمع المصري على مدى آلاف السنين.

> تشاؤمه المبكر في وقت كان فيه المصريون منتعشين بالأمل عقب نجاحهم في إسقاط نظام مبارك، يفسره الغيطاني بأن مشهد يوسف القرضاوي الهرم المخرف، وهو يحرض على الجيش المصري والحضور البارز للإرهابي عاصم عبدالماجد الذي قتل 122 جنديا، جعلاه يوقن بأن الثورة تم اختطافها

> الغيطاني لا يبني مواقفه انطلاقا من فساد أو بناء على مصلحة شخصية، ولم يجمع ثروة في حياته تدفع الناس للتساؤل عن مصدرها، ولم يكن ربيبا لأي حاكم أو نظام سياسي تعاقب على مصر

الحرب مع الإخوان

❑ صدامه الأول مع الجماعة حدث خلال أول تظاهرة عقب تنحّي مبارك حين اعتلى الشيخ يوسف القرضاوي منصة ميدان التحرير ليحرّض على الجيش والمجلس العسكري الذي كان يدير الفترة الانتقالية، وقتها علق الغيطاني على المشهد لإحدى الفضائيات معتبرا أن ذلك يوم أسود على مصر.

في تفسيره لتشاؤمه المبكر في وقت كان المصريون فيه منتعشين بالأمل والتفاؤل بالمستقبل عقب نجاحهم في إسقاط نظام مبارك، قال الغيطاني إن "مشهد القرضاوي وهو رجل هرم مخرّف، يحرّض على الجيش المصري وسط تصفيق أعضاء الجماعة الذين رموا شباب الثورة من على المنصة، والحضور البارز للإرهابي عاصم عبدالماجد الذي قتل 122 جنديا مصريا عام 1981 جعلني أوقن بأن الثورة تم اختطافها".

العداء الطويل بين الروائي الراحل والإخوان دفع العديد من المواقع المحسوبة عليهم للتشفي في موته متجاهلين ما أمرنا به ديننا الإسلامي من أنه لا شماتة في الموت، وكتب الكثيرون تعليقات من عينة "في ستين داهية وعقبال كل الكتّاب الفاسدين" و"الحمد لله الذي جعلنا نرى هلاك هؤلاء الظالمين".

معارض دائم

❑ ما أغفله أعضاء جماعة الإخوان والمتعاطفون معها، أن عداء جمال الغيطاني لهم كان مبنيا على منطلقات دينية وإنسانية تخشى من ثقافة التخلف والراغبين في إعادة مصر إلى الوراء، حيث كان يرى أن التخلف مفتاح المآسي الموجودة الآن في الساحة العربية، وهو السبب الذي يعطي الغرب وأحفاد الاستعمار فرصة للتدخل، ومحاولة فرض المفاهيم أو الوجود، وهو تخوف كان يعتقد أن الفرصة الوحيدة لدفعه عبر إيجاد مجددين شجعان يدخلون بنا إلى صميم العصر، وإلا سيكون المصير مخيفاً.

المؤكد أن الغيطاني لم يبن مواقفه يوما ما انطلاقا من فساد أو بناء على مصلحة شخصية، خاصة أنه لم يجمع ثروة مثلا في حياته تدفع الناس للتساؤل عن مصدرها، ولا كان ربيبا لأيّ حاكم أو نظام سياسي تعاقب على حكم مصر.

عارض الغيطاني جمال عبدالناصر ودخل السجن ستة أشهر تقريبا في العام 1966 بسبب انتمائه لتنظيم ماركسي، رغم أنه لم يكن يخفي حبه للزعيم الراحل وحزنه على رحيله، وهو حب تجاوز علاقة الرئيس بواحد من أبناء شعبه إلى مشاعر صوفية متداخلة، فقد وصف عبدالناصر في تصريح له بأن العيد لم يكن يكتمل إلا برؤيته، حيث كان يصلّي العيد في مسجد الحسين، وكان الغيطاني من سكان منطقة الجمالية القريب من الحسين في حي يعرف بالقاهرة الفاطمية، فكان يخرج مع أقرانه من الأطفال "لكي نقابله ونراه فجمال عبدالناصر لن يتكرر"، كما يقول.

حتى انتقادات الغيطاني لعبدالناصر تعكس مشاعره الصوفية له، فهو يرى أن الرجل أحد مآسي العالم العربي، لأنه بعد رحيله تصور حكّام بعض الأقطار العربية أنه يمكنهم أن يصبحوا جمال عبدالناصر، ونسوا أنه محصلة تاريخ وجغرافيا، يعني لو وجد في العراق لم يكن سيصبح هو عبدالناصر الذي عرفته مصر.

على العكس من ذلك كان موقفه من الرئيس الراحل أنور السادات الذي لم يتعرض للأذى في عهده، لكنه اعتبر أن فترة حكمه مسؤولة عن كل ما حاق بالبلاد من فساد وخراب.

ضيق الروائي الراحل بسياسات السادات انعكس في العديد من كتاباته، ومنها ما ذكره في رواية "رسالة البصائر في المصائر" على لسان الراوي الذي يجسده هو، حيث قال واصفا فترة حكم السادات "اعلموا أن ما مر بنا ثقيل، وأن ما عرفناه مضن، وما قاسيناه صعب، مرٌّ، هذه السبعينيّات من زماننا الكدر عَقد انقلاب أحوال، وأمور غريبة، وبلايا ثقيلة، وتحولات شملت جُلّ القوم، كذا ما تلاها، وقد عاينتُ ذلك، قاسيته تضاعف همي، ناء وقتي بما عرفته".

في لقاء متلفز في بداية الألفية الثالثة قال الغيطاني مفسرا موقفه المتناقض من الرئيسين الراحلين "مع عبدالناصر كنت تختلف على نفس الأرضية، وخلاف مع فتوّة عادل كبير وجميل، لكن مع أنور السادات، أنا مرّت عليّ أيام في حكمه كانت أسوأ من أيام المعتقل أيام عبدالناصر".

رحل جنرال الرواية العربية، كما أطلق عليه بعض المقربين منه، بسبب حبه للمؤسسة العسكرية المصرية، وإبداعه الأدبي، الذي تميز بطعم خاص، برع فيه باقتدار، وهو ما سيجعله في ذاكرة المصريين والعرب بمثابة "الميت الحاضر".

جنرال أميركي يعترف بعجزه عن فهم الإرهاب

مايكل ناجاتا

قائد العمليات الخاصة الذي فشل في تدريب المعارضة السورية

خالد سميسم

❑ **واشنطن** – أوقفت الولايات المتحدة رحلة "بحثها" عن مقاتلين سوريين معتدلين، بعد الحديث عن مغادرة الجنرال مايكل ناجاتا المسؤول عن برنامج تدريبهم منصبه، و"الفشل" هذه المرة هو العنوان الذي طفا على سطح الرؤية الأميركية المتعلقة بآليات وطرق دعم المعارضة السورية المسلحة، فالطرق الأخرى ربما أسهل، وربما أقل كلفة من برنامج ناجاتا الذي عمل على تدريب مقاتلين يعدّون على أصابع اليد، وبعد الخطط الكبيرة للإدارة الأميركية بتدريب 50 ألفا أو أكثر، سيصبح عديدهم في العام القادم 15 ألف مقاتل.

خبر مغادرة الجنرال المسؤول عن التدريب أصبح اليوم في محل أخذ ورد ونفي وتأكيد في حين كشفت صحيفة نيويورك تايمز الخبر الذي يختصر الفشل، نعم الفشل لا أكثر ولا أقل، تقول الصحيفة: الجنرال مايكل ناجاتا المكلف بتدريب المعارضة السورية سيغادر منصبه في غضون الأسابيع القليلة المقبلة، ومن المحتمل أن يرقى ويعين كمسؤول عن مكافحة الإرهاب حسب مصادر أميركية مسؤولة.

ولفتت الصحيفة إلى أن ناجاتا سيترك منصبه كرئيس لقوات العمليات الأميركية الخاصة في الشرق الأوسط، وهو المنصب الذي سمح له بأن يكون مسؤولا عن برنامج تدريب وتجهيز المقاتلين السوريين، البرنامج الذي لم يستطيع استقطاب سوى بضع مقاتلين سوريين، وكان المفترض أن يكون وحسب الخطة مسؤولا عن تدريب آلاف المقاتلين خلال فترة ثلاثة أعوام.

وقال مسؤول أميركي لصحيفة نيويورك تايمز إن الإدارة الأميركية قررت عوضا عن الاستمرار في هذا البرنامج دعم مقاتلين داخل الأراضي السورية بالأموال والذخائر.

الرد على الأخبار الصحفية حول مغادرة ناجاتا منصبه كان من وزارة الدفاع الأميركية التي نفت مراراً استقالة الجنرال المسؤول عن برنامج الجيش الأميركي لتدريب وتجهيز قوات المعارضة السورية وقالت إنه لن يترك وظيفته خلافا للتقارير الإعلامية الأخيرة.

وقال بيان صادر عن القيادة المركزية الأميركية إن الجنرال مايكل ناجاتا سيستمر في قيادة الجهود العسكرية الأميركية لتدريب المعارضة السورية وتجهيزها بالعتاد، وإنه لا وجود قطعيا لأيّ جهد لكي يحل محله أيّ مسؤول آخر، كما أكد البيان أن التكهنات حول ذلك كانت غير دقيقة.

رؤية البنتاغون وماكين

الجهود التي تحدثت عنها وزارة الدفاع غير واضحة حقيقة، خصوصا أن الرؤية الأميركية لدعم المعارضة السورية المسلحة لم تتضح ملامحها، فقد كشف وزير الدفاع الأميركي أشتون كارتر في مؤتمر صحفي مع نظيره البريطاني مايكل فالون، إنه "غير راض عن جهود التدريب السابقة"، ونعتقد أنها "جهود الجنرال ناجاتا المسؤول عن التطبيق". وأضاف كارتر أن الولايات المتحدة تسعى الآن للبحث عن طرق مختلفة "لتحفيز القوى الموجودة على الأرض على استعادة السيطرة على المناطق التي ضمها تنظيم الدولة الإسلامية".

ومن هنا يبدو التضارب والخلاف حول جدوى تدريب مقاتلين سوريين معتدلين ومدى دقة تطبيق البرنامج من قبل المسؤول عنه.

أما جون ماكين أحد أبرز صقور الحزب الجمهوري في الكونغرس فعلق على المعلومات التي تشير إلى مغادرة الجنرال ناجاتا منصبه بأنه فشل إضافي لسياسة إدارة أوباما، باعتبار ناجاتا هو من وضع خطة تدريب المعارضة السورية "المعتدلة".

الجنرال مايكل ناجاتا فشل إذن في برنامج تدريب المعارضين السوريين وفشل أيضاً، حسب رأي بعض المتابعين، في محاربة داعش في العراق وسوريا، وكل ذلك يعيدنا إلى الهجوم الذي تعرض له من الصحفيين في الولايات المتحدة، وخاصة بعد مقتل أسامة بن لادن في باكستان حين اتهم بهدر عامين من القصف الذي لم يكن يقدم ولا يؤخر في الحرب على القاعدة في باكستان.

المحقق الصحفي الاميركي جيرمي سكاهيل، الذي شغل لفترة طويلة منصب منسق العمليات الخاصة عندما كان ناجاتا يقيم في باكستان، يتحدث عن الجنرال مايكل ناجاتا من خلال كتابته لتقرير سري يهاجم سكاهيل وسيمور هيرش بعد أن نشرا مقالات تفضح عمليات عسكرية أميركية سرية داخل باكستان. لكن فيما بعد دعمت وثائق مسربة النتائج في التقارير التي نشرها كل من سكاهيل وهيرش.

> الصحفي جيرمي سكاهيل ينتقد تكليف الجنرال ناجاتا بمهمات كبيرة، ويقول "إذا بحثت عن اسمه على غوغل (ن ا ج ا ت ا) فستجد أنه الشخص الذي تلقى مديحا من أشخاص مثل الجنرال جيمس ماتيس، الذي كان واحدا من الأشخاص الرئيسيين الذين أداروا الحرب في العراق، وأشرف على معركة الفلوجة"

عمليات عسكرية سرية

ماذا يقول الصحفي جيرمي سكاهيل عن ناجاتا حين عيّن في مسؤولا عن تدريب المعارضين السوريين؟ يقول "سأكون متفاجئا جدا لو عرفت إن كان أيّ شخص تقريبا قد سمع بهذا الرجل، الجنرال مايكل ناجاتا، الذي عيّن للتو مسؤولا عن تدريب السوريين على القتال ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، إنه مسؤول العمليات الخاصة المخضرم. كان لي تقاطع غريب مع ناجاتا عندما كان يشغل منصب الملحق العسكري الأميركي في باكستان، فهو الشخص المسؤول عن تلطيخ سمعتي أنا وسيمور هيرش في لجنة الاستخبارات في مجلس النواب الأميركي، عندما بدأنا الإبلاغ عن عمليات عسكرية داخل باكستان لقيادة العمليات الخاصة المشتركة هناك، حين كانت تنفذ غارات داخل باكستان على مدار عامين كاملين قبل مقتل بن لادن".

ويضيف سكاهيل "الرجل الذي عمل على تلطيخ سمعتي أنا وسيمور هيرش أمام لجنة الاستخبارات في مجلس النواب بسبب انتقاداتنا قد أصبح الآن في وضع المسؤول عن تدريب القوات السورية لمكافحة داعش"، ويتابع "إذا بحثت عن اسمه على غوغل "ن ا ج ا ت ا" ستجد أنه الشخص الذي تلقى مديحا من أشخاص مثل الجنرال جيمس ماتيس، الذي كان واحدا من الأشخاص الرئيسيين الذين كانوا يديرون الحرب في العراق، وأشرف على معركة الفلوجة.

كذلك حصل على إشادة من الجنرال مايكل فلين، الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات في وزارة الدفاع، والذي كان ذراعا لقيصر الاستخبارات ستانلي ماكريستال، في قيادة العمليات الخاصة المشتركة في ذروة عمليات القتل في العراق. هذا الرجل، مايكل ناجاتا حاز على الإشادة والمديح من كل هؤلاء، إنه الرجل الذي عمل على تلطيخ سمعتي أنا وسيمور هيرش وقال إن كل ما ذكرناه في تقاريرنا عن الحرب في باكستان والعراق كانت ادعاءات كاذبة".

خيبة المعارضين السوريين في التدريب والتسليح مستمرة، وكل المعلومات تشير إلى لقاءات أجراها الجنرال ناجاتا مع بعض قيادات الجيش الحر في العاصمة التركية، بالمقابل لم يكن هناك قرار واحد في دعم جيش المعارضة أو جعله حجر الأساس في الجيش الوطني المنشود، عدا عن الشروط الصعبة التي وضعتها الإدارة الأميركية لبرنامج التدريب وأولها ضرورة موافقة "المقاتل" المعتدل على قتال "داعش" فقط دون الأسد، وكذلك التدقيق الأمني المتشدد، ما جعل المشروع "هشا" وغير قابل للحياة، في ظل عدم توفر "الشروط" عند معظم المقاتلين على الأرض السورية والذين يرون أن نظام بشار الأسد هدفهم وبوجوده واستمراره بالحكم ستسمر داعش في التمدد أيضا.

> جون ماكين أحد أبرز صقور الحزب الجمهوري في الكونغرس يرى أن المعلومات التي تشير إلى مغادرة الجنرال ناجاتا منصبه تعبر عن فشل إضافي لسياسة إدارة أوباما، باعتبار ناجاتا هو من وضع خطة تدريب المعارضة السورية «المعتدلة»

البحث عن الفكرة

❑ بعد سنوات من محاربة الولايات المتحدة لتنظيم القاعدة، نشرت صحيفة نيويورك تايمز تسريبات من لقاء سري عبر الفيديو بين الجنرال مايكل ناجاتا قائد قوات العمليات الخاصة الأميركية في الشرق الأوسط، مع مجموعة من الخبراء، حيث أقر أن الغرب لا يفهم طبيعة تنظيم داعش، لذا فلن يمكنه هزيمته.

قال ناجاتا "لا نفهم طبيعة هذا التنظيم، وحتى يتم هذا، لن نستطيع هزيمته". وأضاف "لم نستطع هزيمة الفكرة. إننا حتى لا نفهم الفكرة". وبحسب الصحيفة الأميركية، فإن هذا الإحباط يتشارك فيه العديد من مسؤولي الولايات المتحدة.

وإذا كانت "فكرة" تنظيم داعش غير واضحة تماما للجنرال ناجاتا بعد كل تلك السنوات من الحرب وبعد كل ما أقدمت عليه داعش من فعل وتصريحات، فلن يكون هناك فهم واضح لمفهوم دعم المعارضة السورية، سواء كان ذلك من حيث التدريب أو الدعم بالأسلحة والذخائر، ولذلك ربما سنتابع في الأشهر القادمة سياسة جديدة للولايات المتحدة، تقضي "برمي" أسلحة وذخائر لمجموعات من المعارضة السورية عوضا عن التدريب، وهي فكرة إذا ما استمرت بالتأكيد ستكون كل الخطط والبرامج التي وضعتها الولايات المتحدة لتدريب المعارضين السوريين مجرد فكرة، تفاعلت مع الجنرال ناجاتا وذهبت معه أيضا، فكرة غير كافية لتغيير الوضع على الأرض بالنسبة إلى المعارضة، وبالنسبة إلى الإدارة الأميركية التي اختصر أداء الجنرال مايكل ناجاتا في التدريب كل سياستها تجاه المأساة السورية.

رغم وحشية داعش، والحرب الأميركية الطويلة على القاعدة، إلا أن الجنرال ناجاتا يقول إن الغرب لا يدرك طبيعة تلك التنظيمات ولن يتمكن من هزيمتها

جوائز الرواية

قبلة الموت أم شراع للحياة

إكرام عبدي

❏ لا نحتاج إلى التأكيد على المكانة التي صارت تستأثر بها الرواية مقارنة مع أشكال تعبيرية أخرى في راهن الثقافة العربية؛ فالرواية بوصفها جنسا أدبيا مفتوحا وغير مكتمل، يتيح لنا إمكانية لصوغ رؤية تتجاوز الكائن إلى ممكن يستشرف أسئلة الذات، وسراديبها الباطنية على نحو جمالي مفارق، انطلاقا من مساحات التخييل القادرة على تصوير هشاشة العالم ونقصه في حيوات قد لا نستطيع أن نعيشها أبدا في واقع يتعدى واقعيته العنيفة.

فالرواية تسعفنا في قول "كل شيء" بتعبير الكاتب المغربي محمد برادة لإمكاناتها السردية اللانهائية؛ ولأنها غابة تخيلية متشعبة بتعبير أمبرتو إيكو، فهي تمنحنا الفرصة لتشكيل الحياة ونسجها وفق أهوائنا، مسائلة الأيديولوجي، ومقتحمة في الوقت نفسه المسكوت عنه في الحياة السياسية والاجتماعية، مع اجتراحها المناطق الصعبة للوجود الإنساني.

لهذا بدأت الرواية تتدفق وتتناسل بشكل كبير في مشهدنا الثقافي، باتجاه إثبات ذاتها وهويّتها، زادتها الطفرة الرقمية، وفضاء النشر الإلكتروني زخما وانتشارا وحرية، كما زادتها الجوائز سعارا وهرولة وهوسا، لتلغي أحيانا جوهرها الوجودي، وتصادر إمكاناتها في الامتلاء تعبيريا وكيانيا ووجوديا وروحيا، فينسج الروائي -المبهور بالجائزة- عوالم روائية وفق قوالب ومعايير يحدس وضعها من طرف اللجنة المشرفة على الجوائز ذات القيمة المالية العالية، بل يكتب روايته مستبعدا "القارئ الافتراضي" أو ظلّ الكاتب كما سمّاه نيتشه ودعا إلى احترامه، لتصير لجنة التحكيم ظله الهلامي المفترض، يجاهد كي لا يخيب أفق انتظارها وتلقيها، معلنا تبعية طيعة لإملاءاتها المفترضة، ومؤكدا على نجابة "التلميذ الروائي" وحسن استيعابه، فتتبارى الروايات في أجواء من الشد والجذب والغليان والجدل، وفي كواليس ملغومة، ويزج بها في معتقل سرّي لا يخلو من جلادين وحراس وأمزجة وتصنيفات وتراتبية..، مع أن المخيلة أكبر من أن تعتقل.

صارت الروايات تغذيها وتثريها للأسف الآمال المعلقة على الجوائز، وتشحذها أعطاب المرحلة ومراراتها، وتذعن لمواصفات "السوق الروائية"، تستظل بالنموذج الروائي والشخصية الروائية الأكثر جماهيرية، فلا نغدو نجد شخصية الدكتاتور انبجست على حين غفلة، وكذا شخصية المتطرف، والحريم، والثوري..، شخصيات تطبخ بتوابل ونكهات مشرقية، وعربية تثير شهية المترجم، سعيا إلى كونية روائية وعالمية. أيّ كونية في ظل روايات انتقائية للأسف، تحتضن كل إثنية، وقومية، وطائفية..، تعيد إنتاج الصراع والتناحر المجتمعي والسياسي، وتنتصر لجماعة على حساب أخرى، وترتهن لمقولات نهائية ومغلقة حول الواقع والمجتمع والتاريخ والهوية.

ألا يمكن للزمن الثقافي أن ينتج أديبا مثل الروائي والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر الذي رفض جائزة نوبل معتبرا إياها "قبلة للموت"، خوفا على عزلته الكيانية والروحية من الأضواء وأغلال السياسة، وحرصا على مجده الأدبي من أن يقبر في وهم الجائزة، مع وفائه المكين لنعمتي الحلم والخيال أكثر من إذعانه لإغواءات السياسة والمصالح، وقبله الكاتب والمسرحي الأيرلندي برناردشو الذي رفض الإقامة في "جلباب" نوبل، معتبرا إياها "صكوك غفران"، كما رفض خوان غويتيصيلو الكاتب الأسباني المقيم بالمغرب "جائزة القذافي العالمية للأدب" مبررا رفضه بأنّه لم يلهث أبدا وراء الجوائز، وإن قبل بعضها فمن باب التأدب مع مانحيها، مضيفا أنه يرفض جائزة من أنظمة مستبدة ودكتاتورية.

ولماذا نشتط بعيدا؛ وهناك كتّاب عرب رفضوا الجوائز تعبيرا عن مواقف سياسية، كالروائي المصري صنع الله إبراهيم المبدع الشامخ بكتاباته ووطنيته، والذي طالما أبهرنا بكتابات ارتادت أعماق الخيبة والأسى العربيين، سعيا لوميض يلتمع في الأفق، ورفض"جائزة القاهرة للإبداع الروائي" شاقا عصا الطاعة على النظام كعادته، مبررا موقفه باحتجاجه على نظام يضع يده في يد دولة تنسف كل القيم الإنسانية، وكاتب القصة المصري يوسف إدريس الذي رفض مقاسمة الجائزة مع كاتب إسرائيلي، وأحمد بوزفور شيخ القصة القصيرة بالمغرب الذي رفض "جائزة المغرب للكتاب" لاعتبارات عدة منها الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي المزري بالمغرب، وكذا محنة المثقفين، ووضعية الكتاب الذي يعيش في مناطق ظليلة من التجاهل، والنسيان، سواء أكان حكوميا أم مجتمعيا.

كتّاب ومبدعون لم يسعوا بمواقفهم هذه إلى فرقعة مبهرجة، ولا احتجوا عن رؤية شوفينية ضيقة، ولا رفضوا الجوائز عن اعتداد ونرجسية، وإنّما لتصفية حسابات مع شراسات كونية بعصا ضوئية ضئيلة عاشقة حالمة تم قدها من الصور، والأخيلة، والمجازات والاستعارات، لم تغرهم حبائل السلطة، بل ظلوا منتصرين لنهجهم التحرري التنويري، وملتزمين بقضايا المجتمع العربي، واستطاعوا بمتخيل إبداعي ثري معانقة واقعهم مع حفاظهم على ماء وجههم الإبداعي، وكان رفضهم وخزا حادا لوعي كتّاب وأدباء سابقين تسلموا جوائز من أنظمة دكتاتورية وابتهجوا بها، ليتجرعوا فيما بعد مرارة الندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

فلم يعد الجحيم هو الآخر كما أقنعنا ذات عزلة وجودية سارتر، فلا غرو أن يسعى الروائي إلى الانتشار، والانفتاح على الآخر، وتوسيع دائرة التلقي، عبر جوائز ذات قيمة عالمية أو عربية إبداعية وعلمية، لكن شريطة أن يكون هذا السعي تحت شرط إبداعي موغل في القيعان السحيقة لجمال العالم، لا هرولة براغماتية، أو تجارية، أو انتهازية سافرة.

فالمبدع العربي لم تعد تسعفه تلك العبارة المسكوكة القديمة "أصابته حرفة الأدب" التي وصف بها العرب من أفلس بعد غنى، في ظل إكراهات العصر وماديته، ووضع ثقافي ينفطر له القلب، يعجز فيه الكاتب عن استرجاع حتى ثمن طبع كتابه في حين أن مبيعات الجزء الأول من روايات هاري بوتر تجاوزت مئة وخمسين مليون نسخة، لكن لا شيء يضاهي عزلة المبدع، ولا خلوته تلك اللوعة المستعرة التي تضيء أرض الكتابة؛ حيث الخضوع والولاء لجوهر الإبداع الحر الفريد فقط لا غير.

* شاعرة وكاتبة من المغرب

جُبلنا على الكلمات ونموت دونها

لطفية الدليمي

1

❏ اعتقد السومريون أن الكلمة الأولى ولدت "متخفية" بين نبات القصب والبردي في الأهوار وكانت الكلمات في رؤى السومري وتخيلاته مختبئة بين أنين القصب وحفيف الصفصاف ومختلطة مع شدو طيور الماء وأصوات الطبيعة، فعزم على اقتناصها وتحريرها من فوضى الطبيعة وتطويعها، فقام أول كاتب في العالم بقطع رأس القصبة بشكل مثلث وهيأ قطعة طين طريّ من شاطئ الفرات، ورسم على الطين أول حرف أو رمز في تاريخ البشرية، ومن تلك اللحظة ولدت الكتابة مع أول شكل رسمه ذلك الكاتب المجهول على هيئة صورة في نحو (3500) قبل الميلاد ثم طور الصورة إلى رموز ليكون بوسعها استيعاب الأفكار المجردة والعواطف والصيغ الروحانية، واستطاع بهذه الطريقة تدوين نوازعه ورؤاه وكتابة أول سلم موسيقي وأولى قصائد العشق، ثم استخدم الكلمات في الطقوس السحرية والدينية وأدعية الضراعة لاعتقاده في الطاقة العظيمة التي تنطوي عليها كلمات اللغة.

كان السومريون والفراعنة وأقوام المايا والأزتيك ومعظم الحضارات التي ساهمت بابتكاراتها في الهند والصين، ينسبون إلى الكلمات قوى سحرية خارقة ويستخدمونها غالبا في الطقوس والشعائر لاستجلاب المطر والنصر والحب والخصب والوفرة، حتى أن التقليد البابلي والسومري كان يؤكد على قوة الاسم وقدرته على التسبب في الخير والشر لصاحبه، فكانوا يطلقون أسماء علنية على الأبناء للاستخدام بين الناس ويخفون الاسم الحقيقي المسجل في أختام العائلة، ليحولوا دون استخدام الاسم في السحر الشرير، فنجد لديهم أسماء مزدوجة من أجل اتقاء الشرور.

2

كتب دوستويفسكي في إحدى رسائله "..نعم إنهم منعوني من الكتابة، وأفضل أن أسجن خمسة عشر عاما، شرط أن أحتفظ بقلمي في يدي".

لا يدرك وجع هذه الكلمات ومرارتها سوى كاتب سُرقت من روحه الكلمات، لا يحسّ آلام فقدان الكلمة سوى شاعر عجز عن قطف الكلمات اليانعة من شجر اللغة، وحيل بينه وبين اقتناص المعاني من رحابة المخيلة، أن يسجن كاتب عظيم مثل دوستويفسكي ويحول السجانون بينه وبين الكتابة، ويسلبونه أداة وجوده وجدواه، فمعنى ذلك أنهم بتروا وشائج الحياة مع روحه، لكنه لا يستسلم فله في الكلمات أمان القلب والروح وشهوة عبور الغد، فيكتب "لم أفقد الأمل.. فأنا مسكون بالخوف من أن يُصاب حبي الأول للعمل بالفتور، قبل انطلاقه على الورق..." لم يكن يخشى الموت، بل فتور الهمّة ومخاصمة الكلمات لقلمه وحبه الطاغي للكتابة ذلك الحب الذي شكّل شخصيته وكرّس أسلوب حياته ووهبه سرّ البقاء.

نحن جميعا نحيا بالكلمات بل نحن الكلمات التي قيلت والتي سوف تُقال إلى الأبد، فبالكلمات صاغ الإنسان مفردات الحضارة ومبتكرات العقل وبها صرنا نرسم وحدتنا وأحزاننا، وبالكلمات يُدان أحدنا ويسجن أو ينال سواه البراءة وبها نمتلك مبررات أفعالنا، وبها نُغوى وبسحرها تغمرنا النشوات أو نركن إلى الآمال العظيمة، وعندما ينطق طفل أولى كلماته نحتفل بالنطق المتعثر واللثغة الفاتنة ونعترف به إنسانا بإمكانه التواصل مع الناس في حياته، فالكلمات سرّنا الأول ووسيلتنا في عبور الزمن نحو مبتغانا، وطواعية الكلمات لتجسيد أفكارنا إنما هي هبةٌ ثمينة لا يمسك بها غير الشاعر الفنان والكاتب الرائي والروائي المنضبط، مثلما يمسك المؤلف الموسيقي بالنغمة الصحيحة متفاديا خلل النشاز، فجمال الكلمات لا يقدح شررُه دونما فن مقتدر في القول وبراعة في استخدام المفردة لإطلاق موسيقاها الخبيئة وسحرها الكامن في ذاكرة البشر ومخيّلاتهم.

* كاتبة من العراق مقيمة في عمان

الشعراء لا يتبعهم أحد

عمر علوي ناسنا

❏ الشعر يموت، هكذا يصرخ البعض، لكن الشاعر الحقيقي يعرف أن الشعر يأتي من موته، وحتى لو أعدمنا جميع الشعراء فالملل والإفلاس الوجودي، كفيل بإنجاب المزيد منهم، نعرف أن قليلا من الشعراء هم من يكتبون الشعر، وكثير من الشعر لا يكتب. إنما الشعر ينكتب ولا يكتب فهل آن الأوان لنصرخ الزموا أدبكم مع الشعر؟

يقود الشعر معركة شرسة ومؤامرة لذيذة كي يجعل الحياة مقبولة، يطرح الشعر اليوم أكثر سؤال جدواه، وبشكل استعاري لهذا الهاجس الأنطولوجي للشعر اليوم، يمككنا أن نقول إن الشعر يبحث عن جدواه في شارع يصرخ فيه ضجيج الإلكترونات. الشعر يصنع للقصيدة سمّاعتين وللمجاز نكهة الفانيلا، الشعر يشرح في مدرجات الجامعة: كيف تدين له بالوجود الفلسفة الحديثة وسيارات اليابان؟ الشعر يُعَلّم الشاعرَ تقنيات الصورة ويفتح في روحه ورشة لاستعارات الفوتوشوب. هذه تحديات الشعر اليوم، وهي تحديات وجوده وجدواه.

يمكنك اليوم أن تجلس لتراقب هشاشة العالم وترى الشعراء يدخنون منتظرين باص الأفكار وشقراوات المجاز، ثم على مرمدة يدفنون أوهاما وشعرا وأعقاب سجائر متعبة، لكن الذي يعذّبهم أكثر هو موقف الشعر من مساحة الدم وشهوة القتل ورعونة الرصاص. المعارك اليوم التي تقطع أوصال السؤال وتنكل بالحياة وتسحل الإنسان فوق نتوءات اللامعنى هي ما يدمي الشعر وينكت جراحه.

قبل أن تبلغ الرصاصة موقعها من القلب يكون الشاعر قد خرج، هو يعرف كيف يقف بين الرصاصة وموضعها في الجسد، كما عرف قديما كيف يقف بين الوردة وعطرها، وبين الشجرة وثمرتها.

في تلك المسافة التي يصنعها السؤال يقف الشاعر شوكة في حلق اللامعنى، لذلك تترصّده دائما مذاهب اليقين، تلك التي تريد أن تبيع الناس في العلب والأوهام في أكياس البلاستيك.

لا يستطيع الشعر أن يصرخ ضد الحرب دون أن يكون حربا ولا يفلح في أن يسرق النار دون أن تلتهب أصابعه. أما الشعر الذي يريد أن يذهب للمجازر بياقات مكوية ومشاعر تشبك بالقلب كما تشبك مشاب الذهب بالقمصان، فهو شعر قد يربح الضوء المستعار الذي يُربّى في الحاضنات لكنه لن يفلح في كسب صداقة الشمس.

كل احتجاج على الوجود لا يخرج إلا من فم الاستعارة ، لأنها بطبيعتها تركيب يولد من نسف وهدم وتفجير، وحيث يكون السلام لا يكون الشعر، السلام هنا بمعنى حالة التثاؤب الوجودي التي يجري تسويقها اليوم كي لا يمارس الشعر دوره مع العواصف والزلازل والبراكين وحتى الفيروسات والأوبئة.

الشعر مقاتل شرس وتقليم أظافره ليكون جديرا بالصالونات أو خياطة ملابسه وفق مواصفات السقف الجمالي كي لا تغضب الأيديولوجيا هو أكبر جريمة يمكن أن تمارس في حق الشعر.

إذا أردنا للشعر أن يكون جزءا من الحرب لاستعادة الجمال فلا ينبغي أن نتحالف مع القبح، ذلك أن كثيرا من الدول اليوم تحارب الجمال لأن وجودها قائم على استثمار القبح، حينها يحتل الشاعر موقعه بحسب درجة الولاء للقبح.

يحب الشعر السماء لأنها سقف يعلو دائما كلما حرك طير المجاز أجنحة استعاراته، لكنه يموت بالأسقف التي تنكّل بالروح والجسد، إن ذلك وحده يجعلني أخاف من أن يأتي يوم حيث الشعراء لا يتبعهم أحد.

* شاعر من المغرب

نساء ورجال تائهون

مكاوي سعيد وروايته «أن تحبك جيهان»

ممدوح فرّاج النابي

❏ مكاوي سعيد روائي مصري صدر له من قبل مجموعة قصصية بعنوان «الركض وراء الضوء» ثم رواية «فئران السفينة»، لكن النقلة الحقيقية له كانت بعد روايته «تغريدة البجعة»، التي دخلت القائمة القصيرة لجائزة البوكر 2007. من أعماله أيضا «مقتنيات وسط البلد» و«عن الميدان وتجلياته»، صدر له حديثا رواية «أن تحبك جيهان» عن الدار المصرية اللبنانية 2015. يعود في روايته الجديدة إلى منطقة وسط البلد من جديد، فمعظم أحداثها تدور فيها، خاصّة الجزء الأخير عند قيام الثورة، وتمركز الأبطال؛ أحمد الضوي، وجيهان العرابي، وبسمة وخيري، وإبراهيم وفريد وإمبابي في الميدان والذي يشهد أيضا نهاية أحمد الضوي بطل الرواية قبل أن تتحقّق أمنيته بأن «تحبه جيهان».

الرواية التي تتألف من 706 صفحات، محورها الأساسي أحمد الضوي المهندس المعماري الذي تحوّل إلى مدني بفضل زوجته الأولى جليلة، التي تزوّجها رغم أن إناءها مثقوب، وهو الأمر الذي لفت انتباه أمه فلمّحت له، لكنه تغاضى عنها إلى أن اعترفت له هي، فقبل الزواج منها ليؤكّد حالة انفصاله عن بيئة الصعيد التي ينتمي إليها، وهو ما أكمله بتنازله عن ميراثه لأبناء عمه بعد وفاة والده. يرتبط أحمد الضوي بعلاقتين متناقضتين مع ريم مطر وجيهان العرابي، وقد دخل فيهما بالمصادفة، الأولى عبر مشهد سينمائي بامتياز، فبعد المشادّة التي حدثت معها في الفندق استغلّ الموقف للاقتراب منها ونجح بمساعدة صديقه عماد الذي أعاد لها حقّها المسلوب، فتبدأ بعدها علاقة بينهما لا حدود لها تبدأ بالحب وتنتهي بالعدوانية، والثانية هي جيهان العرابي ابنة المستشار والعائلة ذات الوضعية الاجتماعية المرموقة، يحدث اللقاء عبر بحثها عن فيلا لتصوير بعض المشاهد في فيلم، ويتمّ التعارف بينهما وإن كانت مشاعرها تجاهه متذبذبة.

أحمد الضوي هو واسطة العقد بين هاتين الشخصيتين اللتين يدور في محيطهما، ومن حدود هاتين الشخصيتين تدخل السّرد شخصيات لا حصر لها، كثير منها مرتبط بريم مثل: ملك ابنتها وزوجها علي المنصوري وأصدقائها استلا وهايدي ومصطفى صلاح ثم إمبابي السمسار، وإبراهيم أبوالعيش المغرم بالطبيعة والموسيقى. ومن ناحية جيهان تدخل شخصيات رنا وتميم وبسمة وريتاج ورحمة، وأحمد الوشاحي وداوود عبدالسيد ومحسن أحمد وغيرهم من الفنانين الذين لهم مرجعية واقعية. على كثرة هذه الشخصيات إلا أنها جاءت كهوامش أصابت الأحداث بالترهل والدخول في تفصيلات وتفريعات لم تدعم حركة السّرد. الشخصيات الرئيسية في علاقاته مع بعض أخذت علاقة ضدية، فتقع جيهان الواقعية والعاقلة في مقابل ريم الحسية والمجنونة، وعماد النزق في مقابل أحمد الضوي المتزن والدقيق.

الرواية مع طولها وكثرة شخصياتها، إلا أنها خالية من الحدث الجوهري الذي تدور الشخصيات في فلكه على اختلاف تنوعاتهم وطبقاتهم وأيديولوجياتهم وأيضا معتقدهم الديني. فالرّجال والنساء على حدّ سواء في صراع في ما بينهم، ويعيشون في دوائر من الوهم، تنتهي بجميعهم إلى اليأس وافتقاد الطريق الصحيح، وهو ما آل بالشخصيات لتكرّر واقعها ولا تتجاوزه، ريم بعد كلّ ما حدث تعود إلى زوجها القديم، ورنا بعدما حاربت من أجل موهبتها ترجع إلى زوجها فؤاد، وتميم يكرّر وفاة حسام اليساري دون زيادات، وجيهان بعدما لانت لأحمد، كان أحمد قد مات دون أن تتنازل وتقبل به دون أن يقول لها «أنا بحبك يا جيهان» وهو الشرط الذي وضعته لتقبل بمن يتقدّم إليها، وبالمثل تعود كارولين لعماد بعد الأزمة التي تعرّض لها بعد الثورة.

ينهض بناء الرواية على التعدّد، حيث تنتمي إلى رواية الأصوات، وكل شخصية تسرد بضمير الأنا، وفي أحيان كثيرة تسرد الشخصيات عن بعضها، ويميل السّرد إلى جانب انسيابيته إلى الوصف، حيث عين السّارد تصف كل ما تقع عليه عيناه، من أفعال وحركات وغمزات وأيضا تعبيرات الغضب والوله والشبق، مثلما كان التنوّع هو قرين الرواية جاء الزمن ـ أيضا ـ متنوّعا بين الماضي والحاضر، فكل شخصية تذهب إلى النقطة الأبعد؛ النقطة الكاشفة لتكوين الشخصية، أحمد الضوي يذهب إلى علاقة أمه وأبيه وزواجهما في أدفو، ثم انتقالهما إلى القاهرة، وحكاية الخال حسام، وريم تعود لطفولتها وعلاقتها بوالدها الذي كانت سببا في انفتاحها، ثم موته في السجن وهو ما سبب عارا لهم، وجيهان تعود لوالدها القاضي الذي كان يقيم العدالة الزائفة على نفسه، متطهرا بالصّلاة والحج، وبداية علاقتها بمعهد السينما ودور أمها في الأمر، وإن كان الزمن يبدأ من نقطة حاضرة، تتمدّد رويدا رويدا لتتصل بالأحداث الكبرى التي مرّت بها مصر منذ تفجير كنيسة القديسين في رأس السنة الجديدة من عام 2011، وصولا إلى الثورة، وهي الأحداث التي لفّقت للرواية دون مبرّر.

ثمة تعدّد أيضا على مستوى الشريط اللغوي الذي مرّره الكاتب بين الفصحى الغالبة على السّرد والعامية المسيطرة على الحوارات، وإن كانت اللغة العامية تميل إلى الفجاجة في بعضها خاصّة في نوبات انفعال عماد ضابط الشرطة، وموجات غضب ريم. ومع هذا فمع طول النص إلا أن السارد كان متحكما في شخصياته وفي تنقلاته السردية، بين أزمات شخصياته وتوتراتها، ومرحها وصخبها، وكذلك غنجها ودلالها. فقد كان ممتلكا لناصية السرد ورسم الشخصيات داخليا وخارجيًا، وهو ما يحسب له.

محنة اليسار

تتعرض الرواية في أحد جوانبها لأزمة اليسار المصري، وقد مرّرها هنا عبر شخصيتي خاله حسام محمد التركي، وجاره شريف الذي كان امتدادا له، وهو ما جعل أحمد متعاطفا معه لحد بعيد، لأنه كان يذكره بخاله. في تناول مكاوي سعيد لأزمة اليسار كرّر ذات الأخطاء التي رصدتها السينما (السفارة في العمارة) والدراما (أستاذ ورئيس قسم) في نظرتهما لليسار، وركّز على حالة الفوبيا التي أصيب بها اليسار من الدولة وأجهزتها الأيديولوجية كأن يرفض الخال حضور حفل الزفاف لأنه سيجرى في إحدى النوادي التابعة لهذه الأجهزة. والأهم حالة الفوبيا الخاصة بالقتل والتربص كما في حالة شريف، مكرّسا لشخصية نمطية، تبدو صورتها مهزوزة ومصابة بأمراض نفسيّة تودي بحياتها في النهاية، تاركا تاريخا حافلا من تجربة اليسار ودوره المهم في الحراك السياسي وعلى الأخص النقابي. كما تجلت في شخصيات ممثلة لليسار مثل الدكتور إسماعيل صبري عبدالله وأحمد عبدالله رزه والدكتور فؤاد مرسي الذي أسّس مع الدكتور إسماعيل صبري عبدالله الحزب الشيوعي المصري، ويوسف درويش والمحامي وميشيل كامل وأحمد الهلالي.

الشيء اللافت على مدار الرواية وتعدّد شخصياتها، أنه لا توجد صورة إيجابية للمرأة سوى شخصية كارولين التي كان يطاردها الضابط عماد للزواج منها، ما عدا ذلك فصفة الأمومة منعدمة من جميع الشخصيات على مستوى الجيل الأكبر (أم أحمد الضوي، وأم رويدا وريم) أو الجيل الأصغر (ريم / رنا / بسمة / رحمة)، افتقاد الأمومة كان نتاجه غياب الشخصية القدوة في الرواية، فلا فرق بين الأب أو الأم، فكلاهما غائبان، والد الضوي كان يصطحبه إلى البارات والحانات، ووالد ريم كان يأخذها لصالات القمار، ووالدة أحمد كانت في غيبوبة مع أخيها الذي فقد الأم فصارت أما وتركت ابنها، أو والدة ريم التي تفرغت لعملها وأهملت بنتيها ريم ورويدا للخادمة.

قدم الكاتب صورة للوسط الأدبي والفني، وإن بدأت سلبية بعض الشيء، بأنه وسط منشغل بالمؤامرات والغيرة والحقد والأنانية والخيانة، العجيب أنه كرّر هذه الصّورة المشوّهة عن الوسط الفنيّ والأدبيّ عبر ثلاث شخصيات رنا وعلاقتها بزوجها فؤاد وحالة الغيرة بينهما، وريم التي تركت التمثيل في مصر لأن الجميع يريدونها مطيّة في غرفهم الخاصّة قبل إسناد الدور لها، ولهذا قرّرت أن تعمل معهدا للتمثيل، والنموذج الثالث كان عبر شخصية تميم، وحالة الحقد التي آلت به إلى مرض نفسي قضى عليه.

لم يكن حضور الثورة وأحداثها مبرّرا، فالأحداث في مجملها بعيدة عنها والشخصيات ليست محمّلة بجينات التمرّد باستثناء ريم وإن كانت حذّرت أحمد من المشاركة، ورنا التي انحازت للسلطة، ومن ثم جاءت الثورة كنوع من الرفاهية، فالمشاركة في التظاهرات جاءت كنوع من المجاملات، بسمة تحاول أن ترضى خيري وأحمد الضوي لبسمة وخيري وجيهان لبسمة التي دعتها للمشاركة، وليس بناء على إيمان حقيقي بالثورة ومطالبها، ومثلما كان حدث الثورة غير مبرّر، فإن انفصال ريم عن أحمد ثم اتصالها به وقبول ردّ أحمد غير مبرّر، نفس حالة ترددات جيهان في قبول أحمد كشخص يحبّها وتعاملت معه على طول خط الرواية بتحفظ.

الرواية فشلت في تبرير ضخامة الحجم، مع كثرة الشخصيات التي جاءت دون بناء حقيقي يجمعها، ولكنها أكّدت على حقيقة مهمة أنه من الصّعب أن تبني عملا جديدا على أمجاد جوائز تمنح وفق أهواء مانحيها وليس للأجود.

* كاتب من مصر

مكاوي سعيد يتعرض في جانب من روايته لأزمة اليسار المصري

رف الكتب

سبل التغيير داخل المؤسسة

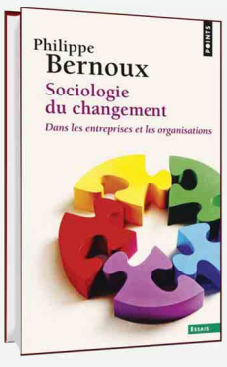

❏ "سوسيولوجيا التغيير في الشركات والمنظمات" عنوان كتاب لعالم الاجتماع الفرنسي فيليب برنو، مدير البحوث في مركز البحوث والدراسات العلمية بباريس والمدرس السابق بمعهد المهندسين بليون ومراكز التكوين المستمر وعدد من المؤسسات الفرنسية. يبين فيه أن الفاعلين داخل منظمة أو مؤسسة ما لا ينبغي أن يكونوا مجرد خاضعين لإرغاماتها، لأن التغيير المنشود لا يمكن يتم في غياب تفاعلهم مع المؤسسة وتبنيهم شروط تطويرها. والكاتب يستند في دراسته إلى تقويم نقدي للنظريات السوسيولوجية المتعلقة بالتغيير، وكذلك إلى ثلاثين سنة من الملاحظة والتقصي داخل المنظمات، ليطرح نظرية في سوسيولوجيا الفعل قائمة على التفاعل بين الإجبار والتصرف الذاتي. ويرصد وضع معارفنا حول دور العوامل المحددة للتغيير ووزنها (ضرورات اجتماعية واقتصادية وتقنية، مؤسسات، فاعلون...) ويصف التحولات الجارية، ويستخلص نتائج عملية يمكن الاستفادة منها في تصور فعل التغيير وسيره.

التقاليد واستعمالاتها

❏ "استعمالات العادة" هو عنوان الترجمة الفرنسية لكتاب المؤرخ الإنكليزي الشهير إدوارد توموسون "العادات المشتركة"، وهو كتاب جمع فيه صاحبه أهم مقالاته التي دأب على نشرها منذ خمسة عقود، ويتناول فيه التقاليد الشعبية في إنكلترا ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر، استنادا إلى مفاهيم من نوع التاريخ منظورا إليه من أسفل، والاقتصاد الأخلاقي، ونظام العمل الصناعي، يحلل بمقتضاها التحولات التي عرفتها المجتمعات الأوروبية في تلك الحقبة، انطلاقا من المجتمع الإنكليزي، ليبين أنه مجتمع تسكنه أبوة النبالة وتوترات سوق المواد المعيشية وخصخصة الممتلكات واستحالة الطلاق. ويرصد المؤرخ صراع رجال ونساء من عامة الشعب للمحافظة على موقعهم وحقوقهم، صراعا يتبدى عبره الدفاع عن العادة أبرز وسيلة لمقاومة إصلاحات تضع المجتمع في طريق الليبرالية. والمعروف عن توموسون أنه يساري ناضل من أجل اشتراكية إنسانية منذ مطلع الخمسينات ثم من أجل نزع السلاح النووي في مطلع الثمانينات. وكتبه مثل "تكوين الطبقة العاملة الإنكليزية" و"ليبراليون وصيادون" كان لها صدى كبير في شتى القارات.

الموت الرحيم

❏ كيف يمكن لرجل دين كاثوليكي أن يدافع عن فكرة "مساعدة شخص على الموت" التي تعرف بـ"الموت الرحيم" ؟ هذا ما تجرأ عليه الألماني هانس كونغ الذي عرف بمواقفه الشجاعة تجاه الكنيسة في كتاب بعنوان "الموت السعيد"، فهو يدعو باسم إيمانه أن يكون له الحق في أن يقرر بنفسه متى وكيف يموت، وهو في ذلك يدافع عن نهاية حياة جديرة بالإنسان، وتحترم إنسانيته. يقول: " إن ربّا يمنع الإنسان بوضع حد لحياته حينما تجبره الحياة على تجشم أحمالها التي لا تطاق ليس بربّ رحيم بعباده." وهو هنا يتحدث عن نفسه وخياراته الشخصية، ولا يريد أن يفرض أي شيء على أي كان، بأسلوب لطيف ورصين، ولكنه يطالب باسم الذين ما عادوا يطيقون الحياة وآلامها حق الرحيل إذا رغبوا في ذلك بوضوح ووعي تام. والكتاب في مجمله تعبير عن رغبة في تغيير "البراديغم" انطلاقا من فهمنا لقيمة الحياة والموت في الوجود الإنساني.

عشر نساء

رواية كل نساء العالم

هيفاء بيطار

❏ "عشر نساء" رواية بديعة أسرتني للكاتبة التشيلية مارثيلا سيرانو المولودة سنة 1951 وتعتبر من أهم كاتبات القارة الأميركية الجنوبية والترجمة لصالح علماني وقد صدرت أواخر العام الماضي في دمشق.

ثمة عبارة أحب أن أبدأ بها وردت في رواية عشر نساء هي: "عندما تقرأ هذه الرواية كأنك تحدق في عيون كل نساء العالم".

بطريقة جذابة وبحيلة روائية طريفة جمعت الكاتبة تسع نساء لا يعرفن بعضهن وكل منهن تنتمي لقومية معينة وبلد مختلف وتركت كل امرأة تحكي قصة حياتها وتجول في أعماقها بحرية وشفافية، أما المرأة العاشرة فهي معالجة نفسية سردت شهادتها أيضا وجمعت شهادات النساء التسع. ويمكن قراءة الرواية بدون ترتيب واختيار المرأة التي نريد معرفة قصتها، إذ يمكن اعتبار الرواية أشبه بقصص قصيرة تحكي كل قصه حياة امرأة، ولست بصدد سرد قصة كل امرأة إذ أترك تلك المتعة للقارئ، لكن ما يجمع هؤلاء النسوة واحد وهو أنهن كن مدفونات في الصمت وخائفات من التعبير عن أنفسهن، الصمت أحيانا "أشبه بالإلغاء أو الكفن إذ لا يمكن أن تعرف الآخر حقا" إن لم يتكلم، ليس أي كلام، بل أن يبوح بحقيقة أعماقه وأفكاره وقراءته للعالم، لا يهم أن نعرف تفاصيل قصة ليلى ذات الأصل الفلسطيني لكنها ولدت في تشيلي ثم قررت أن تزور فلسطين لأنها مشدودة لجذورها وتعشق وطنها، ورغم أنها تدخل فلسطين كسائحة تشيلية فإنها تتعرض لاغتصاب ثلاثة من الجنود الإسرائيليين، وتواجه اغتصابها بالصمت رغم أن نتيجته الحمل، وتعود إلى تشيلي دون أن تذكر لأسرتها أي شيء عما تعرضت له ولا تقول لهم أنها حامل من أحد مغتصبيها الإسرائيليين، أصبحت ليلى مدمنة كحول كي تخفف ألم روحها والمهانة التي تعرضت لها، وبدأت تكذب كثيرا من غير أن تلاحظ ذلك، وتشعر أنها أشبه بجرح كبير تداعبه وتقبله والغضب الكامن يغلي في أعماقها لأنها لم تبح بمأساتها، ولأنها دفنت معاناتها في الصمت، وصارت تعتمد على تغذية قدرة النسيان عندها، لكنها مع الزمن اكتشفت أنه لا بد من ملامسة القاع حتى تنجلي الحقيقة، فالحقيقة كالحق تحررنا من عبودية الألم ومن ذل الصمت. بشجاعة تبوح ليلى بقصتها بعد صراع داخلي عنيف، وهي بذلك لا تختلف عن لويسا المسيحية التي عانت من اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية والتي تقول عنها بأن الكنيسة الكاثوليكية اخترعت الجحيم كي يظل الفقراء هادئين ويفكروا أن هناك أشياء أسوأ من هذه الحياة.

> بطريقة جذابة وبحيلة روائية طريفة جمعت الكاتبة تسع نساء لا يعرفن بعضهن وكل منهن تنتمي لقومية معينة وبلد مختلف وتركت كل امرأة تحكي قصة حياتها وتجول في أعماقها بحرية وشفافية

تقول لويسا: الصمت يقتل، سنوات وسنوات وأنا صامته، راح الصمت يشكل عقدة داخلي، وكل شيء يصير قاتما.

وتتعلم كل منا تجاهل الأمور المؤلمة، ونعيش كنساء شكل من أشكال الجهل وعدم التعلم، وصارت معاناة لويسا مع المحاكم الروحية الكاثوليكية أشبه بإعصار إذ صارت تشعر أنها مريضة بداء الحزن الدائم، وتعلمت على مدى سنوات البكاء الداخلي الصامت، وعاشت ضحية أسى يسري في أعماقها لأنها لا تملك شجاعة المواجهة والبوح بما يعذبها، وتتحسر على الشابات والنساء اللاتي يمتن فجأة من الحزن، وهنا لا بد من تذكر رواية ثلج للمبدع أورهان باموق حيث تتناول الرواية قضية انتحار فتيات من اليأس والحزن، والقاسم المشترك بين الروايتين عشر نساء وثلج أن المرأة تدفن وتقتل في الصمت.

وبأنه يجب كسر صمت النساء كخطوة أساسية وإسعافية ليتجاوزن مفهوم الأنوثة الضيق الذي يصر المجتمع على تكبيلهن به، ومن أهم صفات تلك الأنوثة الوداعة والخجل والصمت، وبذلك تكون المرأة مجرد أنثى وليست إنسانا "له الحق بالتعبير عن نفسه وأعماقه وطريقته كجنس آخر في قراءة العالم تحديدا، عالم الرجل، الذي هو المشرع للقوانين وللأخلاق أيضا" وهو من يضع الأولوية لشباب المرأة وصغر سنها ويعتبر النساء في سن اليأس ككائنات منتهيات الصلاحية أو كائنات لاجنسية، متجاهلا "أن سن اليأس يؤثر على الرجل أكثر بكثير من المرأة.

أما سوزي فتشعر أنها عاطفية ببلاهة، وبأن الألم يأتيها من الخارج ويندس في أعماقها، وهي مولعة بإساءة الكلام عن نفسها وتتحدث عن قصة حياتها كما تتحدث عن مأساة وهي تشعر أنها على حافة البكاء دوما" وتشعر أنها بأسوأ حال وتقول بأنها عاشت بمفاهيم وساوس أخلاقية لا طائل منها، وكان أسلوبها وأسلوب جيلها في الكلام متيبسا جدا وتتساءل: هل اللغة كفن؟ ولكن ضربات الحياة علمتها كيف تكبر وتقوى إلى أن تقول عبارتها الرائعة: لست وحيدة حين أكون وحدي. لأن المجتمع يشعر المرأة الوحيدة بأنها معاقة أو ناقصة،

لا حدود لجرأة الكاتبة ماثيلا سيرانو في رواياتها عشر نساء فهي تقارن بشجاعة وتحدّ بين نظرة المجتمع للرجال المثليين وبين نظرته للسحاقيات، وتعتبر أن المجتمع بشكل عام يتقبل الرجال المثليين أكثر بكثير من تقبله للسحاقيات.

أهمية الرواية أنها تبين خطورة الصمت الذي تعيش فيه المرأة وتربي عليه الفتيات كما لو أنه أحد مقومات الأنوثة، الصمت يقتل والصمت قبر، والصمت مرض دفين ولا مجال للشفاء منه إلا بالكلام، بالبوح العميق، بالتجول في غرف الروح الباطنية بجرأة وشجاعة وبقراءة الذاكرة المختزنة في تلافيف الدماغ. بنهاية المطاف ندرك وتدرك النساء خاصة أن كسر أغلال الصمت هو المحرر الوحيد من الدونية والوحدة وعدم الأمان والخوف والشك والنظرة السلبية للحياة وعدم القدرة على الفرح، وبأن كسر صمت النساء هو الوسيلة الوحيدة لمعرفتهن كإنسان أولا "وأنثى ثانيا"، كي يكون هناك تكافؤا "وتوازنا" في العلاقة مع الرجل، وفي الرواية دعوة غير مباشرة للرجل كي يحترم إنسانية المرأة وألا يختزلها بمجرد جسد أو رحم، فهي إنسانه مساوية له بالقيمة الإنسانية ولو اختلفا فيزيولوجيا. حين تبوح المرأة عن معاناتها وتكسر الصمت فإنها تحقق إنسانيتها وتتغلب على عصابها وحزنها وتصبح فاعلة ومعطاءة وسعيدة. تحث الكاتبة النساء على شجاعة المواجهة وأن يتجاوزن رعب القفزة الأولى نحو حرية التعبير.

مارثيلا سيرانو تدعو في روايتها إلى كسر صمت النساء

عشر نساء رواية نسوية راقية بامتياز وتتمتع بجاذبية آسرة في الأسلوب. وكل الشكر للمترجم المبدع صالح علماني.

* كاتبة من سوريا

رف الكتب

الدفاع عن الذات البشرية

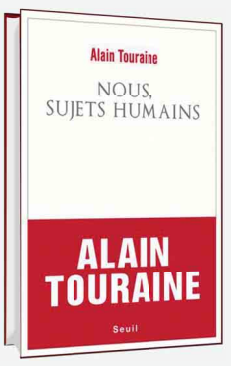

❏ بعد كتابه "نهاية المجتمعات" الذي حلل فيه تدني المجتمعات الصناعية وتفتت أعمدتها، يطرح عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين في كتاب بعنوان "نحن، الذوات البشرية" نظرية سوسيولوجية جديدة قادرة على مقاربة العالم الذي يعقب تلك المجتمعات. يقول تورين : "إن وعود العولمة وتطور تكنولوجيات الاتصال لهما من السعة قدر ما لتحقيقهما من صعوبات. وبينما يزداد وعينا بالحق في احترام الكرامة البشرية، نصطدم في بلداننا بقوة رأسمالية مصرفية معزولة عن الاقتصاد المنتج، وفي بلدان أخرى بأنظمة دكتاتورية وشمولية تهدد بالهيمنة على مجالي الذاتية والموارد المادية. وإذا كانت قدرتنا على تغيير أنفسنا وصيانة بيئتنا قوية فإن طاقة التدمير لدى البشرية لا تضاهيها قوة." إزاء تلك الرهانات، يرى تورين أن الاستنكار وحده لا يفيد، ويدعو إلى حشد ناشطين جدد قادرين على تعويض الحركات الاجتماعية التي تهيكل صراعاتها المجتمعات الصناعية، ليتولوا الدفاع عن الحقوق الأساسية للذات البشرية، ومقاومة أشكال التسلطة التي تكاد تكون تامة.

مجنون إلسا

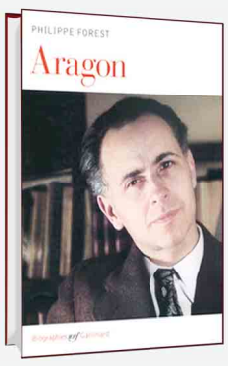

❏ لم يأل أراغون جهدا في الحديث عن نفسه نثرا وشعرا، ولكنه كان يمزج الخيال بالواقع مزجا جعله عصيا عن إدراك حقيقته، لكثرة المفارقات التي طبعت شخصيته، وصنعت منه لغزا حيّر كل كتاب سيرته. فهو ابن غير شرعي تستر على أصوله زمنا، مناهض للنزعة العكسرية وسّمته الحرب الأولى ثم المقاومة، دادي دادائي انقلب إلى مناضل في حزب ستالين، شاعر سريالي تحول إلى الواقعية الاشتراكية، زير نساء انتقل إلى التغزل بامرأة وحيدة إلسا تريوليه وتمجيد الحياة الزوجية، قبل أن يصبح غاوي غلمان. فقد جمع تلك الشخصيات في رجل واحد جسّدت مسيرته الأدبية والفكرية والسياسية عبقرية القرن وفوضاه. في كتاب جديد بعنوان "أراغون" يحاول فيليب فوريست إعادة تركيب حياة مفعمة بفصول مجيدة وأخرى معتمة، ويكشف عن لعبة المرايا التي تنعكس عليها أعمال وحياة كاتب موهوب لم يتهيب أي شكل من أشكال الأدب، وعن علاقته بالآخرين، فقد كان محبوبا ومكروها لأسباب وجيهة وغير وجيهة في الوقت نفسه.

الخروج من التاريخ

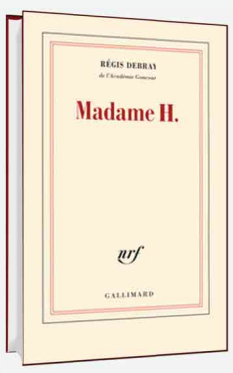

❏ جديد المفكر ريجيس دوبريه كتاب بعنوان "مدام H" وهاتش هي الحرف الأول لكلمة تاريخ (وهو في الفرنسية مؤنث)، ينظر فيه إلى هذه السيدة التي رحلت. يقول : "فارقتنا. ها نحن أرامل. ولكن ما البال إن لم يكن ثمة ما نبكيه ؟" فالتاريخ في رأيه هو الحشيش الرسمي في فرنسا منذ حقب، حيث كان استهلاكه أكثر بكثير مما هو عليه في البلدان الأخرى. هذا التاريخ المخدر، المنسلخ عن التاريخ المقدس، أورثنا بنفس القدر أبطالا وطغاة، مصلحين ومقوضين. ويتساءل ما إذا كانت نهاية العهد المسيحي والتقدمي تجبرنا على إعادة النظر في علاقاتنا بقدر كبير من الحماس والوهم. في هذه السردية الفنتازية التي يرويها على لسان المتكلم، ويمزج فيها الجد بالسخرية، يجد القارئ حصيلة زوال التسمم وتخطيطا لطريقة الاستعمال : كيف يمكن الخروج من التاريخ دون أسى ؟ وكيف يمكن تغيير الحضارة دون الوقوع في همجية جديدة ؟

هل نحن في لحظة انتقام تاريخي

في تفكيك الخطاب الثقافي السائد

باسم فرات

❑ ثمّة مَن يرى أن الكتابة انتحار، ويرى آخرون أنها مواجهة ضد القبح لتتويج الجمال، وهي مواجهة الكذب والتضليل والشائعات، وما أكثر الشائعات التي تحولت إلى مقدسات في تاريخ البشرية؛ هنا تصبح مهمة الكاتب أكثر صعوبة لأنه سيواجه تهمًا يتساوى أصحاب الشهادات العليا من الأدباء مع أشباه الأميين في إطلاقها، فنزع المقدس عن المُدَنّس وتعريته والقول إن هذا مُدَنّس، جريمة لا تغفرها إلا العقول النَيِّرَة المبتلاة بتفكيك الشائعات التي لبست لبوس التقديس وما هي إلاّ أكاذيب أطلقت عن حقد أو حب مبالغ فيه أو لردّ تهمة أو في أثناء سجالات عقائدية مؤدلجة تضع مكبرات عملاقة على الخطأ حتى يصبح جريمة لا تغتفر، وعلى الصحيح حتى يمسي مقدّسًا لا يمكن المساس به، بل كثيرا ما تماهى هؤلاء مع حماسهم سلبًا وإيجابًا، ومن ثمة يبدأون بمرحلة تكريس هذا الحماس عن طريقهم ومَن يتفق معهم ويوافقهم لتثبيت هذا الحماس المناهض للمنهجية العلمية، ويتحولِ عن طريق التكرار الممنهج والواسع إلى مُسَلمات علمية.

إذا كان الزمن كفيلاً، بتثبيت الشائعات والأوهام والأكاذيب ورسم صورة مختلقة للشخصيات والأفعال، كمسلّمات تفكيكها يَمسّ العقيدة، أو يجرح الذات القَومية، لأن قرونًا من الزمن كفيلة بتثبيتها في النخاع الشوكي ومسامات الجسم والعقل جميعها معًا، فإن ما توصلت إليه ثورة الاتصالات في عصرنا اختصرت القرون بسنوات وربما شهور. وهو ما شهدناه بعد اجتياح نظام صدام حُسين للكويت، وكيف أن الآلة الإعلامية الجبارة كرّست أكذوبة أن الجيش العراقي هو رابع جيش في العالم، في حين الأسس التي تعتمدها الجيوش وهي روح المواطنة العالية، وصناعاتها العسكرية والتي أسرارها تمنح الجيش مصداقيته وقوته بل بصفته جيشًا حقيقيًا تحسب له الجيوش الأخرى حسابًا أم لا، وهذا لم يكن متوافرًا في الجيش العراقي، الذي معظم سلاحه إن لم يكن مستوردًا جميعه، والروح الوطنية شبه مقتولة، لأن خطاب النظام كان قوميًا متطرفًا يُعلي من شأن الأيديولوجية العربية المبنية على وطن واحد يمتد من المحيط إلى الخليج وأنه كان يُكرر كذبة تقول إن هذه الحدود وضعها الاستعمار، في حين ولا سيما العراق حدوده معروفة للغاية عند المؤرخين المسلمين والعرب وبعض الأجانب.

نتج عن هذه الدعاية الجبارة في تضخيم حجم وقوة الجيش العراقي، مجموعة أكاذيب استغلها مغامرون وحاقدون وعنصريون وانتهازيون، تنفي وجود العراق تمامًا، واختلط الحابل بالنابل، لأن الناس في غالبيتها العظمى لا تفرق بين إقليم جغرافي وبين دولة وبين نظام، والعراق الذي فقد جزءًا من أراضيه نتيجة معاهدة سايكس-بيكو سنة 1916 م. هو أوفر حظًا من سوريا التي تقسمت إلى خمس دول، هي سوريا، الأردن، لبنان، فلسطين، الكيان الصهيوني.

الآلة الإعلامية نفسها الآن تُكرّس أكاذيب فيما يخص سوريا، وهي لم تصمت عن العراق أبدًا، بَلَدان كلاهما قادا نهضة العرب، وعلى أراضيهما تمت الكتابة الأولى، والأبجدية الأولى، والقوانين الأولى، وتأسست المدن الأولى، وأبدعت القصائد الأولى والملاحم الأولى، والإمبراطوريات الأولى، وليس غريبًا أن الأبجدية العربية ابتكار عراقي صرف، استلهم أبجديات سوريا، وأن لغة القرآن لغة أهل الحيرة التي استفادت من هجرة الأنباط السوريين إليها، وأن ممالك العرب الأولى أقيمت على الأراضي العراقية والسورية، بل إن المتأمل لمنطقة الهلال الخصيب، التي يصر بعض السوريين المؤدلجين تسميتها سوريا الكبرى، سوف يكتشف أن سكان هذين الإقليمين (العراق وبلاد الشام) أدوا الدور الأكبر على مر التاريخ في حضارة المنطقة بما في ذلك الحضارة اليونانية، وهم في حقيقة الأمر رواد الحضارة العربية الإسلامية ودور السوريين في النهضة العربية حتى في مصر لا ينكرها أحد، وهذا يبخس دور مصر الرائد والمهمّ، بل يفخر المصريون فيها مما يجعل النموذج المصري تعامله مع دور غير المصريين ومع عروبته وانتمائه لتاريخه العريق أنموذجًا يُحتذى؛ ولأن دمشق وبغداد المركزان الأساسيّان في هذه الحضارة فلا بدّ من إضعافهما وتحويلهما في أحسن الحالات إلى مركزين إداريين وليس إلى عاصمتين، بعد أن تمّ إضعاف مصر ولو بطريقة أقل دراماتيكية.

هل هو انتقام من دوريهما؟ ربما نعم فتكريس هذه الضجة الإعلامية وهوس مراكز البحوث لتزوير حقيقة العراق وسوريا ووصفهما وَطَنَيْنِ صنعتهما معاهدة على يد غرباء، وأن لا وجود لشعب عراقي وشعب سوري، لأن فيهما تنوعًا عرقيًا وقوميًا ودينيًا ومذهبيًا، هنا تصل الكذبة الغربية المدعومة من عنصريين وطائفيين من متطرفي سكان المنطقة، أوج دنسها المراد منه أن يكون مُقَدّسًا، لأن الأوطان جميعها تفتقد إلى الأحادية اللغوية والعرقية والقومية والدينية والمذهبية، وهي في حقيقتها متنوّعة ومتعددة لغويًا ودينيًا ومذهبيًا وقوميًا وعرقيًا، ومختلفة مناطقيًا وجغرافيًا (سهول، جبال، وديان، تلال..).

أيّ مارد هذا الذي له القدرة أن يخلق أكاذيب بلغت غاية التدنيس، وعبر ضخها الإعلامي المتكرر والممنهج، وشراء الذمم، واعتماد الترديد الببغائيّ الذي يمتاز به الغالبية العظمى ممن يُعدون من الطبقة المثقفة، ولأن هذه الأكاذيب تلامس الحس المختلف، أي تلامس أوهام وحقد وردة فعل المختلفين قوميًا أو دينيًا أو مذهبيًا عن القابضين على زمام الحكم، بجميع درجات هذا الحس وطبقات اختلافه، فانتشارها يكون أسرع حتى مما يُتوقّع؛ لأن سياسة الأنظمة الخاطئة هي التي تبذر البذور.

شر البلاء

تُعد الأنظمة التي صعدت على كراسي الحكم بوساطة الدبابات، إن كانت داخلية أو خارجية، سببًا رئيسًا ومهمًا في حدوث هذا الخراب وهذا الشرخ في جسد الأمة، وبناء الأرضية المؤاتية لهكذا أكاذيب وتلفيقات أن تنمو بسرعة الضوء؛ فأوهام الوطن العربي الكبير، والتشبّث بالسلطة وتحوّل الثوار إلى طغاة والجمهوريات إلى مزارع عائلية، جعل الهاجس الأمني هو المسيطر والمتصدر لأولوياتهم، فلم يفكروا بتنمية الشعور بالمواطنة لدى أبناء الأمة، ولا سيما المختلفين قوميًا أو طائفيًا عنهم (الحكام) ولا بجعل مراكز البحوث تقوم بدراسة المجتمع وطبقاته وأطيافه، وتحويل تنوّعه إلى ثراء ومفخرة للبلاد، وجعل ثقافة التنوع ثقافة مجتمعية ليست متوارثة فقط فهي في الجوهر كذلك، ولكن جعلها مبنية على أسس علمية وضخ الروح أكثر في كل إيجابية فيها، وقول الحقيقة بأسلوب لا يجرح الآخر المختلف بقدر جعله يشعر بالاعتزاز والمواطنة، مع قناعته أن شركاء الوطن يعرفون عنه أكثر ممّا يظن، معرفةً لا تسمح له بتلفيق سردية وهمية مبنية على تمجيد ذاته والإساءة للوطن أو لغالبيته، وذلك حين يكون التأكيد على أهميته للوطن وللأمة.

العراق وسوريا إقليمان معالمهما التاريخية واضحة عند المؤرخين والبلدانيين، فالعراق من تخوم الموصل شمالاً إلى بلاد عبادان على ساحل البحر جنوبًا، ومن حلوان (بعد خانقين) شرقًا، أما سوريا فمن كيليكيا شمالاً إلى سيناء جنوبًا ومن المنطقة الواقعة قرب الفرات شرقًا؛ وهويتهما الكُبرى يُستدلّ عليها عبر مئات الآلاف من الكتب التي خُطّت بلغة عربية هي ابنة بارّة لبيئتهما، لم تخلقها رمال الصحارى البعيدة، إنما هي لغة الأنهار والطرقات والحقول والحب ومفرداته الستين، لغة لا تخفى عبقريتها على مبدعيها الذين ساهمت بيئة الهلال الخصيب (العراق وبلاد الشام وحوالي ثلث تركيا) في جعلها أكثر اللغات دقة دلالية، ولا يمكن إغفال الجانب الأفريقي من البحر الأحمر.

فتنوع تضاريس هذا الجزء من العالم، وتنوع أعراقه وقومياته ولغاته وعقائده، منح اللغة العربية ثراءً، نادرًا ما نجده بين اللغات، وفقرًا طبقيًا يُحسب لها، فالتنوع المُدهش منع الثقافات الطبقية أن تنمو وتتغلغل في البنية الثقافية لأكبر وأهم وأوسع لغاته أي اللغة العربية، وعلى العموم فالثقافات الطبقية طارئة وليست أصيلة فيه، وإن حكمته أو جزءًا منه لقرون عديدة. لا يمكن نكران ما خلّفته الثقافات الطبقية من مؤثرات في العراق وسوريا، ولكنها تُعدّ شيئًا بسيطًا مقارنة بتأثير الثقافات الأصيلة ولا سيما السريانية والعربية في الثقافات الطبقية؛ وقول رجل من عامة الناس لرأس الدولة "لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوّمناك بسيوفنا" يختصر الكثير مما يقال.

ماذا لو اتجهت البحوث الأكاديمية، إلى فرضية جديدة تناقض الفرضية التي تحولت إلى أيقونة التراث والعقل العربي، أعني أن موطن اللغة العربية العراق وبلاد الشام، وليس نجد والحجاز؟ وتم تعميم هذه البحوث وما تتوصّل إليه بطريقة لا يُسيّرها مُدَوّنو القرون الإسلامية الأولى بهيمنتهم وسطوتهم التاريخية الثقيلة؛ يكون البحث عن أصول اللغة العربية الفصحى في الحيرة والحضر والموصل (استوطنها العرب بعد سقوط نينوى 612 ق. م) وميسان ومدن الأنبار ودمشق وحلب وحمص والرّها ونصيبين وحرّان وتدمر والبتراء بل ودلتا النيل، وسواحل البحر المتوسط، وسواحل البحر الأحمر الأفريقية.

ستكون الأنهار والبحار والسهول والجبال والهضاب والمستنقعات (أهوار العراق ودلتا النيل) والمدن والقرى خلفيات للمفردات العربية، وليست الصحراء فقط، أو على الأقل جزءًا فاعلاً من أصول المفردات العربية، هنا سنجد أنفسنا أمام فهم جديد للغة العربية، لا يسمح لمتطرفي السريان والمستشرقين وأعداء الثقافة العربية أو العرب المستعجمين (دعاة السومرية والبابلية ودعاة اللغة العربية غازية) التقوّل إن العربية نهلت من السريانية، وهذا يعني أنها كما ثبت لم تنهل من الفارسية بالمقدار الذي صَوّره علماء اللغة الفرس أيضًا.

كيف سيكون عليه خطاب مثقفينا الذين يرون في اللغة العربية لغة غازية، وأنها صحراوية، أليس هذا الخطاب سينهزم أمام البحوث العلمية التي لا تكتفي بتأكيد حقيقة اختراع العراقيين للأبجدية العربية ولهم الدور الأجلى في نحوها وصرفها وبلاغتها وتدوينها وتأصيل العلوم والمعارف والترجمة.. إلخ، بل ستثبت هذه البحوث مَدَنية اللغة العربية وأن سعة ودقة دلالتها لم تنجبها صحراء وإنما عراقة تاريخية على امتداد أنهار دجلة والفرات والعاصي وبردى والليطاني والخابور وسواها من الأنهار بما في ذلك النيل، وتشاطئها مع سواحل بحار لا تقل عن الأنهار مثل البحر المتوسط وضفتي الخليج العربي وضفتي البحر الأحمر وخليج عُمان وخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي.

أما فيما يخص عراقة العرب في المناطق المشار إليها أعلاه، فلا يكفي حصر البحوث في النطاق الجامعي، بل نشرها على نطاق واسع، ودعوة الأدباء للاطلاع عليها أو ملخصاتها على الأقل، ونشرها في وسائل الاتصالات التي يسيطرون عليها وهذا كفيل بنزع أوهامهم وعدائهم لأنفسهم فهم عرب لأن اللغة العربية هي الوحيدة التي يكتبون ويتواصلون بها، وأن الغالبية العظمى من تراث المنطقة الكتابي بهذه اللغة، التي يحق للعراقيين أن يفخروا بأن دورهم في هذه اللغة هو الأهم، مثلما يحق للشاميين بأن النقوش العربية المكتوبة بالخطوط الآرامية والنبطية والتدمرية وسواها وجدت في أراضيهم، والمصريين أيضا، الفخر للشاميين والمصريين لما قدموه بعد العراقيين في العصر العباسي ومأثرتهم الكبرى في العصر الحديث، فقد أدى الشاميّون والمصريون دورًا عظيمًا في الإبداع والتدوين والترجمة والقواميس والمعاجم الحديثة، حتى أنه لا يمكن لقارئ عراقيّ إنكار ما تعلمه من تلك الكوكبة التأسيسية التي ولدت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

أظن أن هذا سيؤدي إلى تقليص الفجوة بين الدرس الأكاديمي الذي يجهله معظم الناس، وبين زعم وادعاءات "المثقفين" بوجود احتلال عربي للعراق وسوريا ومصر، وسيقود حتمًا إلى تفكيك وتعرية أوهام السرديات التي تضخمت بشكل مناف ليس لأبسط قواعد الكتابة ناهيك عن البحث العلمي فقط، بل لأخلاقيات البشر والأخوّة الإنسانية، هذه السرديّات التي رمت معظم أهل العراق وسوريا وثقافتهم ومنجزهم التدويني في سلة المهملات، بصفتهم غزاة دَنّسوا أرض السكّان الحقيقيين الأصليين.

الدكتاتوريات القومية

تمتاز الحضارة اليونانية بميزة تقترب من الحضارة العربية، ألا وهي كثرة المبدعين والكُتّاب والأعلام الذين ينتمون لها ثقافيًا فقط، وليس عرقيًا، وَتَوَسّع المفكر جورج طرابيشي في كتابه "نقد نقد العقل العربي.. نظرية العقل" في هذا الأمر، والحال ينطبق بنسبة معينة مع الحضارة العربية، التي تزخر بالأعلام غير العرب عرقيًا، وكثيرًا ما قفز إلى الذاكرة والاستشهاد، سيبويه صاحب الكتاب وهو المرجع الأول في النحو، والبخاري صاحب الكتاب الأشهر بالحديث "الجامع المسند الصحيح"، ومئات إن لم تكن آلاف الأسماء التي كانت من أسباب ازدهار الحضارة العربية، ومنح التراث المكتوب بالعربية، المرتبة الأولى بين اللغات.

> ليس غريبا أن الأبجدية العربية ابتكار عراقي صرف، استلهم أبجديات سوريا، وأن لغة القرآن لغة أهل الحيرة التي استفادت من هجرة الأنباط السوريين إليها، وأن ممالك العرب الأولى أقيمت على الأراضي العراقية والسورية

لماذا إذن؟

إذن لماذا نقول الحضارة اليونانية، في حين لدينا اعتراضات على قول الحضارة العربية، وثمّة مَن أضاف لها الإسلامية ليتدارك هذا الاعتراض، وفي حين لا أحد يعترض على نسب أعلام الحضارة اليونانية لليونان واليونانية، ممن ينتمون لها ثقافيًا فقط أو كتبوا بها، لكننا نجد العكس تمامًا عندنا، إذ نلاحظ إلصاق تهم التطرف القومي العروبي الإلغائي تُرمى على مَن يرى الذين كتبوا بالعربية ضمن بوتقة الحضارة العربية عربًا مجازًا، قياسًا إلى الحضارة اليونانية والرومانية والإنغلوسكسونية والفرانكفونية والفارسية والتركية، وهذه لغات كتب فيها عشرات الآلاف من المؤلفين وهم لا ينتسبون عرقيًا لها.

ثمة حاجز نفسي صنعته النخب السياسية والثقافية المؤدلجة، ضد كل ما هو عربي، وجاءت الدكتاتوريات العربية، بقمعها للحريات وتفننها بالإقصاء والتعذيب والإلغاء وفرض رؤيتها الساذجة لمفهوم القومية العربية، التي بدأت هوية ثقافية كان العديد من روادها ليسوا عربًا عرقيًا، فتحولت مع اغتصاب فلسطين، إلى قومية تقلد المنتصر الغازي الجديد، أي تقلّد الخطاب الصهيوني، عن نقاء العرق وسموّه، وفكرة شعب الله المختار، عبر نقطتين كلاهما يتناقض مع جوهر الإسلام والإنسانية، النقطة الأولى "اغتصاب" الآية القرآنية الكريمة "وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" وذلك بجعلها تقتصر على العرب، وهذا مناف لقوله تعالى "وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين" والآيات القرآنية الكريمة جمّة، التي تؤكد على إنسانية وعالمية رسالة الإسلام، فكيف للباري عزّ وجل أن يجعل عرقًا ما خير الأعراق والأمم؟ لكنه العصاب الذهني المأزوم والمفلس، والذي بدل أن يفكك الخطاب الصهيوني راح يتماهى معه.

> أي مارد هذا الذي له القدرة على أن يخلق أكاذيب بلغت غاية التدنيس، وعبر ضخها الإعلامي المتكرر والممنهج، وشراء الذمم، واعتماد الترديد الببغائي الذي يمتاز به الغالبية العظمى ممن يعدون من الطبقة المثقفة

* كاتب وشاعر من العراق

التراجيديا المسرحية لا تزال تطهر المشاهد

«مصلحة بلدنا» الغزو والسلب

هالة صلاح الدين

مسرحية تستلهم أمثولة الربان كوك واستعمار أستراليا في القرن الثامن عشر

❏ يذهب البعض إلى أن المسرح يستفز في نفس المتفرج ما لم يكن موجودا من أحاسيس الشفقة والخوف ثم يحيلها إلى نظام يلهج بالخير والتناسق أو يطردها تماما من سريرة المتفرج العاطفية. لكن الآراء اختفت بين نقاد أرسطو ومريديه، أكان يعني أن هذا التطهّر يتمّ في إطار مشاهد المسرحية فحسب، أم أن مَنْطقه يطال جمهورا قد يتعرض لتلك التجربة التطهيرية؟

شهدت خشبة المسرح في لندن مؤخرا عرضا لمسرحية "مصلحة بلدنا" المكتوبة سنة (1988) للكاتبة البريطانية تيمبرليك ويرتنبيكر، مستوحاة من رواية الأسترالي توماس كينيلي "الكاتب المسرحي" (1987)، وقد اعتبر العرض خير معبّر أدبي وفني عن فكرة أن التراجيديا تطهّر المشاهد المسرحي، وقد درج المسرح منذ زمن أرسطو -صاحب هذه الفكرة- وإلى اليوم مرورا بأزمنة متعددة ومنها زمن فولتير. وكان أرسطو يعتبر أن التراجيديا تُفاقِم مشاعر الشفقة والخوف، دون أن تخلقها من العدم، حتى تعتمل في القلوب فتنقيها من الدنس والشوائب الأخلاقية.

مع المثال الأحدث للفكرة نرى التطهّر عبر التراجيديا يتحقق في إطار مسرح يستعيد لحظات من الزمن الكولونيالي.

فازت مسرحية "مصلحة بلدنا" بجائزة لورانس أوليفيه/ بي بي سي، وجائزة حلقة نقاد الدراما بنيويورك، وجائزة إيفننج ستاندارد. وتنصبّ ثيمتها حول نشأة قارة بأكملها، إنه موضوع جاذب لأقلام مؤرخي الحضارات. وقد نبع أصلها الروائي تخليدا لذكرى مئتي سنة على تأسيس المستعمرة الإنكليزية (أستراليا) في عام 1788.

منبوذون ومشوهون

لمسرحية "مصلحة بلدنا" بذرة حقيقية في الواقع إلا أن مدى ما ورد فيها من صحة تاريخية لا يمكن تحديده بدقة. يعلمنا التاريخ بأن الربان كوك أرسى عام 1770 على ساحل أستراليا، بعد أن احتال على حكومته وأقنعها بأن أستراليا غنية بالكتان والخشب، طامحا إلى التخلص من المورّدين الأوروبيين. وكل دولة وطئتها القوات البريطانية ألفت فيها سلعة ذهبية للاستغلال، من كتان أستراليا وحتى بترول العراق.

وعقب سبعة عشر عاما، عزمت الحكومة البريطانية على إخلاء سجونها المكتظة بفعل قسوة قوانين الأراضي. والعرض يبدأ بمنظر لعابري المحيط، الأشرار منهم والأبرار، تحت إمرة الربان آرثر فيليب. الحمولة الأولى تغص بمنبوذي البلد ومشوّهيها. الأساطيل تشحن المجرمين كالقطعان إلى خليج بوتاني، فصارت بوتاني تطلق على أية بقعة أسترالية أرسلت بريطانيا إليها المنحرفين. ولأن البيئة قاحلة عديمة الرحمة، وأستراليا قوس قزح جغرافي، يهجرونها على الفور إلى جون سيدني ليغدو مستعمرة -أو جحيما- لإنزال العقاب.

معارك نهارا ودسائس ليلا

يتصوّر السجناء جوعا، ويتشاحنون أشدّ التشاحن. تدور المعارك نهارا، وتشتعل الدسائس ليلا. لا تشفق علينا المسرحية عندما ترمي في وجوهنا بألفاظ بذيئة شتى، وتصك أعيننا بمشاهد جنسية موبوءة بالقسوة. ولكن المخرجة البريطانية نادية فول تقنعنا بجدواها الدرامي، ولا يراودني شك في أن إقناع المسرح القومي بإنتاجها كان معضلتها الأولى.

والأدهى أن المذنبين ينشرون أمراضا مميتة بين السكان الأصليين أصحاب الأرض ممن رشقوهم على الشاطئ بنظرات مذهولة وصيحات معترضة، تستدعي إلى ذاكرتنا مشاهد من رواية "الأشياء تتداعى" للنيجيري تشنوا أتشيبي. وهكذا ولدت أستراليا المعاصرة.

وفي إشارة عابرة من حكايات المستعمرة الأولى جاء ذكر العجب العجاب. توغل مهمة تأديب الجانحين في الوحشية. قد ينال المدان سوطا، وقد ينال حبل المشنقة على مشهد من الرؤوس. ينخرط ضباط البحرية في نقاش جادّ في الظاهر، هزلي في الباطن، عن الجريمة والعقاب، "الأجدى أن نخترع طريقة متحضرة للترفيه عنهم!".

ولأن الفرنسيين ينزلون أيضا على القارة الوليدة، ولرغبة البريطانيين في ترسيخ هوية قومية على تلك المسالك الوعرة، مثالا على هيمنتهم العسكرية، ينغمسون ما وسعهم الانغماس في مظاهر الخيلاء في محاولة لتأديب المجرمين وتهذيب أخلاقهم على طريقة أرسطو.

يحملون المساجين الجهلة على عمل بروفات مسرحية "ضابط التجنيد" (1706) للإنكليزي جورج فاركوير بمناسبة عيد ميلاد الملك عام 1789، ملك أنعمت عليه الطبيعة جنونا غير مسبوق. والمسرحية توحي بأن أوروبا بأسرها ارتعدت على شفا الخبل في ذلك العام.

إصلاح وتهذيب

في مقدمة المسرحية الكوميدية "المجيد" (1732) للكاتب المسرحي الفرنسي فيليب نيريكو ديتوش، يدافع ديتوش عن الكوميديا باعتبارها مدرسة للعادات الحميدة، واضعا الممارسة في قالب يسترسل استرسالا غير معهود وقتذاك في العاطفة. لطالما عدّها حقيقة لا تتسامح في الجدل، إذ مهما تسلينا بالكوميديا، فهي ناقصة، بل وخطرة، إن لم يسع الكاتب إلى إصلاح ما فسد من سلوك، وكشف السخيف، وشجب الرذيلة، وتنصيب الفضيلة في مكانة تجلب عليها التوقير الشعبي.

> التفرج على بروفات مسرحية داخل نص مسرحي لا يستدعي فقط الكوميديا الشكسبيرية، «حلم ليلة في منتصف الصيف»، وإنما يلحق بنا شعورا بالغرابة الممزوجة بالتلصص

ومسرحية الهواة تلك، الممثَّلة داخل مسرحيتنا الأم، تتناول خداع ثلة كارهة من الفلاحين البلهاء كي ينضمّوا إلى الجيش. تطالعنا بدلالات كوميدية محمّلة بالفظاظة تسخر من عهد إعادة الملكيّة الإنكليزية، فتعاند المجرمين ممن يخفقون حينا في تقدير روح الفكاهة، لذا يرنون إلى التجربة بعين العبث، يطيعون وقلوبهم تخشى البطش.

والتفرج على بروفات مسرحية داخل نص مسرحي لا يستدعي فقط الكوميديا الشكسبيرية، "حلم ليلة في منتصف الصيف"، وإنما يلحق بنا شعورا بالغرابة الممزوجة بالتلصص. وبالرغم من وقار المسرح الإنكليزي، ندّت ضحكات مكبوتة حين صرخ الضابط، في ثوب المخرج الناشئ، بلهجة إنجيلية تنمّ عن ترفع، "لا ينبغي لمن لا يقدر على الانتباه ارتياد المسرح".

الفلكلورية والتراث

لا يقف سكان البلد الأصليون مكتوفي الأيدي والمساجين تتلبسهم روح التمثيل. يقوم أحدهم، ويلعب دوره جاري وود، بأداء شعائره الدينية بالتزامن مع بروفات تواصلت رغما عن أنفه. وكلما يبزغ على المسرح، يتفتق إيحاء بالخطر المحدق من خلال موسيقى الويلزية كيريس ماثيوز التي واءمت الأنغام الفلكلورية مع التراث الشعبي.

لا تطيق ليز،اللصة المتوحشة القادمة من ليفربول، الحياة غير أنها تعتمر هوية لم تعهدها من قبل عندما تتجرّع كأس التمثيل. والبادي أن محاولات المدانين إرضاء آسريهم "قوبلت بالتصفيق" في المسرحية المصغّرة.

وأخيرا يشدّ بين الجميع رابط غير الإجرام والمعاناة، في صورة مرمى جمعي يحدوه الأمل. دليل على رهان شوسيه وأقرانه على أن وجه الفن تنطبع عليه هدايا التوبة والخلاص، والأجدى التعبير عن الذات وإن عرقلها الشرّ أو نالت منها البدائية.

القوة الناعمة

الحق أن التباهي الثقافي في قوته المسرحية الناعمة كان كل ما تفتق عنه ذهن الملازم الثاني رالف كلارك، ويجيد دوره الممثل الويلزي جيسون هيوز، "سوف يعمِّر هؤلاء المجرمون القارة في المستقبل، ألا ينبغي أن نحثهم على التفكير بصورة حرة ومسؤولة؟".

لا يكترث إن بثَّت فيهم المسرحية العصيان، فالثورة نائية عن أرض الإنكليز الآمنة. وما في ذلك إن أطاحوا بالسكان الأصليين وأشبعوهم سحلا وقتلا؟ ولعلّ هذه الإلماعة السياسية تحيلنا إلى افتقار كلارك إلى الهيمنة السلطوية على السجناء.

> هل غزو القوي للضعيف له ما يبرره أبدا؟ تناقش المسرحية ماهية الاحتلال وكيف يتقهقر الحق أمام سطوة الباطل، فنتساءل هل تدافع القوى العظمى على أرض ما له مسمى آخر غير الغزو

ولكن ما تلا من تحولات إنسانية في هذه الأيقونة التاريخية لم تخطر بباله قط. فعنابر السجن تدركها سكينة في النفوس، ويستحيل الشغب طاقة نشاط، "ما عادوا مجرد رقم داخل زنزانة".

والمثالية الإصلاحية في سلوك كلارك، باعتباره رمزا مفترضا للقوة، تدافع عن نفسها حين تتصدّى لسادية ضباط آخرين، وهم أنسفهم شرذمة ممزقة. وليز تثير المشاكل يمينا ويسارا غير أنها تخلص حتى الموت لزملائها الممثلين.

ما هو الاستعمار؟

لا تتوخى المؤلفة الحذر وهي تطرق موضوع الأمبريالية في سردها لوقائع أهملها التاريخ أو رماها في حواشي كتبه. وبالإضافة إلى التشديد على قدرة الفن على إصلاح العوج في منفى للعُتَاة عبر نفخ الروح في نفوس تائهة تنهل من الرذيلة ويغيب عنها التوازن، تشحذ دراما الصراع الحضاري والثقافي بين المستعمِر والمستعمَر، وغزو البريطانيين لأرض مأهولة بالسكان بصفته احتلالا، متكلة على بطولة خالصة يعكسها هذا النص الكلاسيكي.

والأهم أن إحساسا لا يخامرنا بأنها مسرحية عفا عليها الزمن، إذ تقطر التاريخ في قالب معاصر لتتساءل عن دلالات كلمة "الاستعمار" وكأنما تفتش في قاموس تاه منا منذ عقود، متحديّة التعريفات المضللة والقائمة على مصلحة المحتل.

هل غزو القوي للضعيف له ما يبرره أبدا؟ تناقش المسرحية ماهية الاحتلال وكيف يتقهقر الحق أمام سطوة الباطل، فنتساءل هل تدافع القوى العظمى على أرض ما له مسمّى آخر غير الغزو؟ تشتدّ القبيلة في مواجهة الوافد الأبيض، فهل مقاومته إرهاب؟ وهل هناك فرق بين مدنيّ وعسكريّ إن أغار أحدهما على مسكنك؟ أسئلة تجيب عنها المسرحية، من دون تواريخ أو أسماء، فتهبنا أرضية صلبة لتفنيد إجابات أخلاقية شافية تتبدّى، في رأي الآخرين، معجمية تنحو إلى السذاجة السياسية.

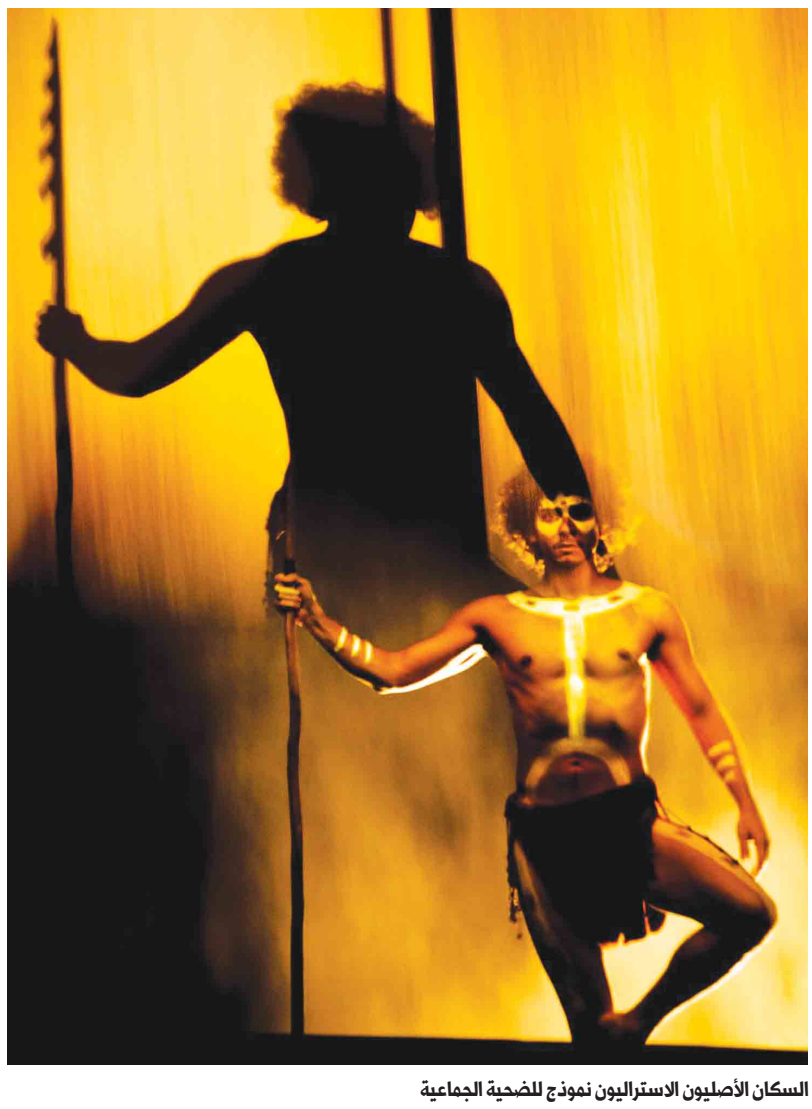

السكان الأصليون الاستراليون نموذج للضحية الجماعية

«بغداد خارج بغداد» للمخرج قاسم حول

الغربة والشعر والموت في قصيدة سينمائية

أمير العمري

❏ كان من الأحداث السينمائية البارزة في احتفالية مؤسسة عبدالحميد شومان بالأردن، بمناسبة مرور 25 عاما على بداية نشاطها السينمائي، العرض العالمي الأول لفيلم "بغداد خارج بغداد" للمخرج العراقي الكبير قاسم حول. هذا الفيلم يلخص رؤية الفنان الكبير ويعكس خلاصة تجربته وفلسفته ورحلته الشاقة في الحياة. إنه عمل لا يشبه غيره، بل ويمكن اعتباره، بعمقه وبنائه الشعري وجمالياته، معادلا لفيلم "المومياء" المصري في السينما المصرية، فلا شك أنه عمل يتجاوز معظم مما ظهر من أفلام في السينما العراقية خلال السنوات الأخيرة، بل ويتجاوز كل ما سبق أن قدمه صانعه قاسم حول نفسه من قبل.

وفيه يرتدّ قاسم حول إلى الماضي، إلى تاريخ العراق، وتاريخ الشعر العربي في العراق، ليس ولعا بالتاريخ في حدّ ذاته، بل للتعبير عن تجربته الإنسانية الخاصة، تجربة العيش المحاط بالموت، وعن تأملاته في العلاقة بين الماضي والحاضر، ومغزى الغربة في الوطن وخارجه، وعذاب المنفى الذي يلقي بظلاله على تجربته. وهو خلال ذلك، يستدعي الكثير من مخزون تجربته الشخصية، يريد أن يستلهم من الماضي بقدر ما يرثي لما آل إليه الحاضر. والفيلم بهذا المعنى، أحد أكثر أفلام التعبير الذاتي جمالا في السينما العربية.

من قلب الأسطورة

يبحث فيلم "بغداد خارج بغداد" عن سحر بغداد ولكن خارج تلك المدينة التي شهدت عصورا ذهبية وشهدت ظهور الكثير من المواهب التي رسخت في الذاكرة الثقافية العربية. وهو يستلهم أسطورة "غلغامش"، نصف الإنسان ونصف الإله، الذي يتعذب بعد أن يشهد تجربة الموت بعد وفاة صديقه الحميم "أنكيدو" الذي يرفض أن يدفنه، تشبثا بفكرة الأبدية، فيترك جثته على الفراش تتعفن، ثم يذهب حزينا، ليبحث عن سرّ الخلود. وفي حانة ألهة الخمر السومرية "سيدوري"، يعرب لها عن خشيته من الموت، فتقول إن الموت قدر على الإنسان، وتنصحه بنبذ الحزن والاستمتاع بالحياة.

غلغامش هذا سيصبح هو "المراكبي" أو رجل القارب البيضاوي الذي يبحر في النهر بشخصيات الفيلم المختلفة، منتقلا عبر الأزمنة الحديثة والمختلفة في القرن العشرين، ليظل حتى النهاية يبحث دون جدوى عن سرّ الخلود، ويتلقى الحكمة من "سيدوري". وغلغامش أيضا هو الذي يربط بين مفاصل الفيلم وفصوله وشخصياته المختلفة، والفيلم نفسه مصمم في بناء شعري، يدور حول ثنائية الحياة والموت، ولا يخضع لقصة واحدة ذات عقدة، ولا لحبكة تتصارع فيها الشخصيات، بل هو مجموعة من القصص التي تتداخل وتتقاطع دون أن تفقد وحدة الموضوع. إنه عرض رصين محمّل بالأفكار والمشاعر لمسار شخصيات بارزة في التاريخ الثقافي العراقي في ما بعد الحرب العالمية الأولى. هذا العرض يشمل المأساة والملهاة، الرقص والغناء، الموسيقى والشعر، تيمته الأساسية الموت: موت الإنسان وموت التاريخ!

عالم الشعراء

من مدينة أور حيث نترك غلغامش حتى حين آخر، إلى أمسيات ومجالس الشاعر الكبير جميل الزهاوي (1863–1936) في أحد مقاهي بغداد، حيث كان يجلس صحبة الشاعر معروف الرصافي، وإبراهيم صالح شكر، والشاعر عبدالرحمن البناء، يتحدثون في الشعر والفن والسياسة ويلقون النكات. هنا نرى صورة الزهاوي كرجل شديد الزهو والاعتداد بنفسه، كيف لم يكن يسمح لأحد بالجلوس مكانه في المقهى، وكيف يمارس نوعا من الأبوية على الرصافي ويعتبره أحد تلاميذه في الشعر، ويقول إن أحمد شوقي ليس بأهمية "تلميذه" الرصافي!

مع الزهاوي وصحبه ننتقل إلى حانة من حانات ذلك العصر وصاحبها جعفر لقلق زاده (الذي يقوم بدوره قاسم حول نفسه في أداء مدهش) حيث ترقص راقصة تركية هي "مجيدة"، التي يتقاتل الرجال عليها، ويصفها جعفر مازحا، بأنها كانت أحد البنود الأساسية في معاهدة استقلال العراق بين بريطانيا وتركيا. ومنها إلى مشهد ساخر يكشف روح المرح التي يتمتع بها الفيلم، حيث يلقي الرصافي من شرفة منزله قصيدته في هجاء الحكومة القائمة تحت الانتداب البريطاني "علم ودستور ومجلس أمة/ كل عن المعنى الصحيح محرف/ أسماء ليس لنا سوى ألفاظها/ أما معانيها فليست تُعرف/ من يقرأ الدستور يعلم أنه/ وفقا لصك الانتداب مصنف".. وينتقل قاسم بكاميراه من الشرفة في الأعلى إلى أسفل في حركة بطيئة لنشاهد جمعا من العراقيين يقوده جعفر، وهو يردّد هتافات تنادي بسقوط الاستعمار البريطاني في صورة كاريكاتيرية تعكس غياب الوعي السياسي وقتها.

يعبُر الفيلم فترات من حياة الشخصيات حتى نهاياتها، فنشهد موت الزهاوي وجنازته، ثم صعود نجم الرصافي (1875–1945)، كما نشهد العرض السينمائي الأول في بغداد، بحضور الحاكم التركي رفقة الزهاوي وكيف يبدي تأففه وامتعاضه من الجلوس في الصفوف الخلفية، ويصرّ على الجلوس بالصف الأمامي إلى أن يكتشف أن الجلوس في المقاعد الأمامية مرهق للعين وللرقبة فيغيّر مكانه.

ننتقل أيضا إلى الاختراع الجديد أي آلة الحاكي أو "الغرامافون" ثم كيف يكتشف الجقمقجي الصوت الساحر للمغنية العراقية مسعودة العمارتلي التي كانت خادمة في أحد بيوت الأعيان بقرية من قرى الأهوار ويدعوها إلى بغداد فتذهب بعد أن ترتدي ملابس الرجال، وهناك ينتج لها بعض الإسطوانات لأغانيها وتصبح معروفة باسم مسعود العمارتلي، وتذيع شهرتها باعتبارها رجلا، إلى أن يكتشف أمرها على الأغلب، فتموت مسمومة في ما يشير إليه الفيلم بأنه نتيجة مؤامرة للخلاص منها.

يكمل الرصافي مسيرة الشعر العراقي، ويصور قاسم تأثره بمنظر امرأة فقيرة معدمة تحمل طفلا رضيعا شاهدها تستجدي المارة في شوارع بغداد، فكتب قصيدته التي يقول فيها (ونسمع مقطعا منها في الفيلم) "تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها/ أثوابها رثة والرجل حافية/ والدمع تذرفه في الخد عيناها/ بكت من الفقر فاحمرت مدامعها/ وأصفر كالورس من جوع محياها/ مات الذي كان يحميها ويسعدها/ فالدهر من بعده بالفقر أنساها".

وفاة الرصافي

وفي أحد أجمل مشاهد الفيلم وأكثرها بلاغة، نشاهد الرصافي متوجها إلى بيته ليلا، يعتمد على عصاه بعد أن تدهورت صحته، يتوقف ليجلس على مقعد خشبي، وهو يردد قصيدته "لهذا اليوم في التاريخ ذكر": "كم أستغيث ولا مغيث/ وأدعو من أراه فلا يجيب/ أقمت ببلدة مُلئت حُقودا/ عليّ فكل ما فيها مُريب".

غلغامش مع الشاعر الرصافي

> الموت لصيق بالحياة، والأموات ليسوا أمواتا في فيلم قاسم حول بل أرواح حية تعيش معنا وربما تلهمنا أيضا، كما يقول الأستاذ إبراهيم لغلغامش في مشهد آخر عندما يصف الميت بأنه نائم

ينهض ويواصل السير، ثم يدلف من فتحة باب يؤدي إلى سلم منزله ليصعد بصعوبة وهو مستمرّ في ترديد أبيات القصيدة "أمُرّ فتنظر الأبصار شزرا/ إليّ كأنما قد مرّ ذيب/ وكم من أوجُه تُبدي ابتساما/ وفي طيّ ابتسامتها قُطوب".

تتحرك الكاميرا إلى أعلى تدريجيا وببطء، لنراه وقد بلغ أعلى السلم، وتقترب الكاميرا منه تدريجيا وهو يتجه نحوها سائرا في الشرفة الخارجية العريضة للمنزل ثم يتوقف ليكمل قصيدته بصعوبة "سكنت الخان في بلد كأني/ أخو سفر تَقاذَفُه الدروب/ وعشت معيشة الغرباء فيه/ لأني اليوم في وطني غريب".

وعندما يصل إلى نهاية هذا البيت يلتفت ويفتح باب المنزل ويدخل ويغلق الباب وراءه. وعلى الفراش في الداخل نراه ممددا بينما تتحرك الكاميرا إلى اليسار ببطء لنرى جسده بكامله ممددا، إلى أن تتوقف الكاميرا وراء منضدة عن الحركة لتختفي صورة الرصافي ثم ننتقل إلى مشهد جنازته.

تختلط القصص وتتداخل بشكل مقصود، فقاسم حول، حريص على الربط بين حلقات التاريخ الذي يخشى عليه من الضياع، ولذلك سوف نرى غلغامش مرة أخرى في تلك "الطوافة" الجميلة الصغيرة من العصور السحيقة وهي تلف وتدور فوق صفحة مياه النهر، ويبدي غلغامش لسيدوري حزنه الشديد على وفاة "صديقه الرصافي" -هذه المرة- وكيف أنه عندما رأى جسده يوارى التراب فقد الرغبة في الحياة، فتقول له سيدوري إن هذا هو حال الدنيا، وإنه يجب أن يعرف كيف يسعد وكيف يُسعد الآخرين من حوله.

الموت

الموت لصيق بالحياة، والأموات ليسوا أمواتا في فيلم قاسم حول بل أرواح حية تعيش معنا وربما تلهمنا أيضا، كما يقول الأستاذ إبراهيم لغلغامش في مشهد آخر عندما يصف الميت بأنه نائم، وعندما يقول له غلغامش.. ذلك الباحث الأبدي عن سرّ الحياة والخلود، إن النائم يستيقظ في الصباح بينما الميت لا ينهض، يجيبه بأن النائم يستيقظ ثم يموت، وأن هذه هي الحياة. ثم يصف له كيف يسمع أصوات النائمين على مدى البصر في الليل، وكيف أن رسالتهم للأحياء واضحة وملخصها أن عيشوا الحياة وافهموا معناها.

يتعمق مغزى العلاقة بين الشعر والموت في الفيلم، في الفصل الذي نرى فيه الشاعر بدر شاكر السياب (1926–1964) وهو ذاهب إلى الكويت رفقة سائق تاكسي لا يعرف حقيقته، بل يسأله ما إذا كان يعرف القراءة والكتابة، مبديا استنكاره الشديد لذهاب العراقيين للعمل خارج البلاد. وفي المشهد التالي مباشرة نرى السائق نفسه عائدا بسيارته صحبة شاعر كويتي بينما وضع فوق السيارة نعش جثمان السياب. يعترف السائق الآن بأنه لم يتعرف على السياب عندما قام بتوصيله من قبل إلى مقصده، ويبدي تحسره على مصيره، على ذلك الموت في المنفى، مؤكدا أن العراقي يجب أن يعيش في وطنه، ويموت في وطنه. تهطل الأمطار بغزارة في الصحراء، يهبط الرجلان.. يطلب السائق من الشاعر الكويتي، أن يغطي نعش السياب ليحميه من المطر، لكن الرجل يجيبه أن السياب كان يحب المطر، إشارة إلى قصيدته الشهيرة "أنشودة المطر" (1960).

في المشهد الأخير من الفيلم نشاهد رجالا أقرب إلى الأشباح يصعدون سلما أسطوريا شامخا منتصبا وسط الجبال، وكائنات أخرى تهبط.. ظلمة الليل لا تجعلنا نتبين تماما طبيعة هذه الأشباح. إنها منطقة المقابر وهناك رجلان يتهامسان داخل بقايا غرفة من العصور السحيقة: حارس المقابر ورجل يسأله عن طبيعة المكان والحارس يقول له إن المكان مسكون بالأرواح، وإنه يشاهد أناسا قادمين من عصور أخرى قديمة، ويسمع أصواتا تتهامس في الليل، ويرى شخوصا يدلفون إلى الغرف، وعندما يسأله لماذا لا يطلق النار عليهم فربما هم من اللصوص يجيبه في بلاغة وشموخ: لا يمكنني ذلك؛ لا أستطيع أن أقتل أسلافنا... لقد ذهب التاريخ وأخشى أن تختفي الجغرافيا أيضا.

إنها بلا شك صيحة قاسم حول في فيلمه، وتحذير ساخر مما يمكن أن يلحق ببلده بعد كل ما وقع هناك.

أسلوب شعري

يتناسب إيقاع الفيلم الرصين المحكم مع أسلوب التعبير الشعري الذي يطغى على الفيلم، وعندما نقول التعبير الشعري فليس المقصود استخدام القصائد الشعرية في الفيلم، بل التعبير بالبناء، بحركة الكاميرا، بتكوين اللقطات وضبط التكوينات في المشاهد الداخلية رغم الحركات المعقدة للكاميرا (مشهد الراقصة داخل الحانة مثلا)، بزوايا التصوير الغريبة التي تعكس رؤية أكثر مما يقصد منها تحقيق الانتقال غير المحسوس بين اللقطات، والمونتاج الذي لا يتبع الطريقة الانسيابية في القطع والانتقال من مشهد إلى مشهد، فنحن على سبيل المثال نرى سيارة التاكسي تنقل السياب إلى الكويت، وبعد ذلك مباشرة نراها في الاتجاه العكسي، دون تمهيد ودون لقطات دخيلة توحي بمرور الزمن، بين المشهدين، وهو أسلوب مقصود لخلق الإحساس بذلك الارتباط والتلاحم في الزمن.

نحن أمام أسلوب خاص في خلق الصورة الشاعرية يعتمد أيضا على التحكم في حركة الممثلين دون أن يضطرب الإيقاع داخل المشهد، بل بالمحافظة على الإيقاع العام للفيلم، كما يتحكم المخرج في نظراتهم وطريقة تبادل الخطاب بين بعضهم البعض، والاعتماد على حوار بليغ مكتوب ببراعة، يوجز ويعبر دون صياح أو شروح طويلة، يوازي في جماله الطابع الحالم للفيلم ولغة الشعر التي تلفه. هذا الأسلوب المتبع في الصورة والحركة والمونتاج، يبدو بالطبع مخالفا للواقع، للأسلوب الواقعي، فلسنا بصدد قصة سينمائية واقعية، بل صورة شعرية يختلط فيها الشعر بالصور، بالموسيقى المعبرة الحزينة التي تمزج بين نغمات العود والبوق، بالحكايات الأثيرة، بالشخصيات التي نجح السيناريو في أن يكسبها الحياة، جعلها قريبة منا وجعلنا قريبين منها ، فغلغامش مثلا، فلاح عراقي أو رجل بسيط، يبحث، وسيظل يبحث، عن حقيقة لغز الموت ومعنى الحياة.

يستخدم قاسم حول الكاميرا برصانة فلا يغالي في تحريها وإنما يستخدم حركتها لخلق تلك العلاقة العضوية بين الشخصيات والمكان، كما يستخدمها للتعبير عن فكرة المسار في الزمن، فالفيلم كله قائم على فكرة تعاقب الزمن، وتعاقب حلقات التاريخ، وترابطها وهو يربط بينها من خلال شخصية غلغامش المعذبة تماما مثل الشخصية العراقية نفسها، ويرصد قاسم رحلة الوعي بالصورة وبالصوت، في السينما والموسيقى والغناء، وقدرة المخيلة الشعرية على التعبير عن الحس المأساوي الكامن في الحياة، وعن ذلك الشعور بالغربة في الوطن التي كتبت على العراقيين. ولاشك أن قاسم يعبّر، عبر ذلك، عن حزنه الشخصي وعذاباته الكامنة، بعد كل تلك السنين التي اضطرّ فيها للعيش بالمنفى، وعاد لكي يشعر بمرارة الحسرة على كل ذلك الزمن الضائع.

خادمة الشيخ مسعودة مع حسن ابن الشيخ

السياحة في الجنوب التونسي رحلة في أعماق التاريخ

قصور البربر تتسع للضيوف مع وليمة أمازيغية

الصحراء التونسية موطن حضارة وحكاية تاريخ ورمز لإبداع الطبيعة يتمنى أن يعرفها ويغوص في جوهرها كل الإنسان.. وهي عالم مفتوح يدعوك إليه ويحتضنك ويجعلك تنطلق بحرية في أجواء تحملك إلى الماضي البعيد، إلى تاريخ تكون المدنية واكتشاف الإنسان لعالم التحضر.

❑ **تونس** – روعة تونس يلمسها السائح منذ وطأت قدماه أرضها، ويزداد غوصه في التمتع بذلك الجمال الطبيعي الذي ينسيه أنه جاء للسياحة والترفيه كل ما تقدّم إلى الداخل لأنه يعيش فعلا حالة الترفيه والطمأنينة والدفء الإنساني لما يلقاه من حفاوة وترحاب كلما تقدم في أعماق البلاد.

فالسائح الزائر لا يكاد يغادر النزل أو المطار متجها إلى داخل البلاد التونسية، إلى منطقة الجنوب تحديدا، حتى تبدأ ملامح الصحراء تظهر شيئا فشيئا أمام ناظريه. وتبدأ السيارات المميزة ذات الدفع الرباعي تهتزّ قليلا بعد أن تعرّج عن المعبّد لتدخل أحد المسالك المهيأة خصيصا تحت ظلال النخيل أو بين أشجار السنديان لتحمله إلى تلك النزل ذات الخصوصية المميزة.

وفي الطريق القادم من الشمال والمتعرج إليها من منطقتي جربة وجرجيس السياحيتين في الجنوب، لا يمكن لأي سائح أن لا يتوقف بمطماطة، تلك القرية السياحية الغارقة بين النخيل وبين الوهاد إلى الجنوب من قابس، والتي تشكل مفترق الطرق إلى السياحة في الصحراء بجناحيها الجنوب الشرقي أو الجنوب الغربي.

فمطماطة هي واحدة من أقدم المواقع السياحية، اشتهرت كأبعد مواطن العمران البربري إلى الشمال في كامل منطقة الجنوب التونسي. هناك يعيش السائح كل يوم حالة من الانتشاء بالعودة إلى التاريخ حينما ينزل إلى تلك الغرف تحت الأرض، ويقف حائرا أمام ما بلغته القدرة الإبداعية للإنسان في تصريف شؤونه وتوظيف الطبيعة لنمط عيشه.

هناك يتذوق الأطعمة التقليدية ويتمدد تحت النخيل أو يطلع السلم الحجري ليجتاز به غرفة وثانية وثالثة وأكثر حتى يصل إلى أعلى إلى سطح الأرض. وما يكاد يغادرها إلا ويلبي لها نداء العودة، حيث يستريح وينسى العالم خارجه بكل ما فيه ومن فيه، لا يعيش تحت الأرض إلا لنفسه ولعقله وخياله.. وعندما يصل إلى أقصى مدينة في الجنوب، تطاوين، يقف مشدوها أمام ما يعيش ويرى ويلمس، فعلى بطن الجبل يقف نزل عصري امتزج بروح الجبل وببشائر الصحراء وبكل خاصيات وخدمات النزل العصرية.. لكن المهم بالنسبة إلى الزائر السائح هو تلك النزل الأخرى التي لا يمكن أن يجدها في أي مكان آخر لا غربا ولا شرقا. ففي هذه المنطقة تقوم شبكة من القصور الصحراوية القديمة أنشأها في زمن مضى سكان تلك المناطق، وهم من البربر الذين يعرفون في التاريخ بالأمازيغ أو سكان الجبال.

هذه القصور شيّدت بمواد أولية للبناء متوفرة في جهة، ومنها الحجر والجير على وجه الخصوص، وأقيمت غرفها على طوابق من الأرضي إلى الرابع بشكل معماري بديع يمنع التصادم بين النزول والطلوع على السلم الحجري الخارجي لكل غرفة، التي تتسم بالطول، وتوجد داخلها مقاسم تيسّر قضاء الحاجة سواء للنوم أو الجلوس أو الطعام، في حين خصص بعضها لخزن المؤونة التي هي عادة لمدة سنة فأكثر، وبعضها الآخر لخزن السلاح أو للحراسة الليلية، نظرا لما اتسم به التاريخ القديم من غزوات وما اشتهر به البرابرة من لجوء إلى الجبال لتسهيل الدفاع عن أنفسهم.

هذه القصور تحوّلت إلى نزل سياحية من طراز فريد بعد أن لفها الإهمال والنسيان لعقود عديدة، وهي نزل تشدّ السياح إليها لما توفره من متعة الفرجة والإقامة البديعة. إقامة تجعل الواحد يتمدد مغمض العينين سابحا في خياله وتصوّراته على أرض إحدى الغرف، لا يوقظه منها إلا مناد يناديه للغداء أو العشاء أو الإفطار، حيث يتجمع السياح فقط للأكل وليس كما جرت العادة في تقاليدهم، ولكن أيضا وأساسا حسب عادات وتقاليد الجهة واستيحاء من تاريخ المكان أيضا. وإذا كانت أكلة الكسكسي التونسي تسلب عقول الزوار من السياح، فإن أطباقا أخرى من اختصاصات المنطقة أيضا قد أسرتهم وأخذت بمجامع قلوبهم، وجعلت الغالبية العظمى منهم تعود إلى المنطقة الساحرة عاما بعد عام. ومن هذه الأطباق ما يعرف في الجهة "بالمسلان" وهي طريقة في تهيئة لحم الضأن على نار هادئة تحت الأرض، ودون أن تمسسه النار بما يجعل اللحم ذا نكهة وروعة لا مثيل لهما. إضافة إلى ما يعرف بخبز الملة، وهو خبز يتم طهيه مباشرة في الرمل الصافي، وحين يجهز لا تبقى به ذرة رمل واحدة، وطعمه يبز جميع أنواع الخبز الأخرى بما يجعل السياح يعشقونه عشقا.

ولكن سائح الصحراء لا يتمتع بذلك فقط، فهو ينطلق عبر الصحراء نفسها والتي اشتهرت في تونس بأنها موطن الغزال والوعل وموطن الحبارى، ذلك الطائر الجميل الذي لم يذق الإنسان لحم طير أشهى ولا أحلى منه. وهي بلد الزواحف أيضا، التي يعجب السائح بكيفية تمكن أهاليها من الحصول على الكثير منها، من أفاع وعقارب وملال وأورال، ثم تحنيطها وعرضها على السياح في لوحات عجيبة، يقتنيها هؤلاء كنوع من التذكار التي لا يجدونها في أماكن أخرى.

وفي انطلاقته لاستكشاف الصحراء والغوص في أعماقها وتجاوز ما يعرف بسلسلة جبال مطماطة إلى الجنوب، يكون الالتفاف غربا عبر برج بورقيبة حيث تلك الوهاد العميقة وربى الرمال الممتدة على مدى البصر ليس أروع منها سوى الوقوف عندها للتأمل في غروب الشمس، ثم مواصلة الطريق الصحراوي غربا وصولا إلى دوز وقبلي.

وعند عودة السائح من رحلة ممتعة عبر رمال الصحراء تجده في مدينة دوز الشهيرة بإنتاج أشهر أنواع التمور وأجودها لغاباتها الممتدة من النخيل، عدة فنادق تقدم خدمات من طراز رفيع يجمع بين المتعة والراحة، تماما مثلما هو الأمر في قبلي المجاورة لها.

الهندسة المعمارية البربرية في مواجهة المناخ والحرب

> إذا كانت أكلة الكسكسي التونسي تسلب عقول السياح، فإن أطباقا أخرى من اختصاصات المنطقة أسرتهم وأخذت بمجامع قلوبهم

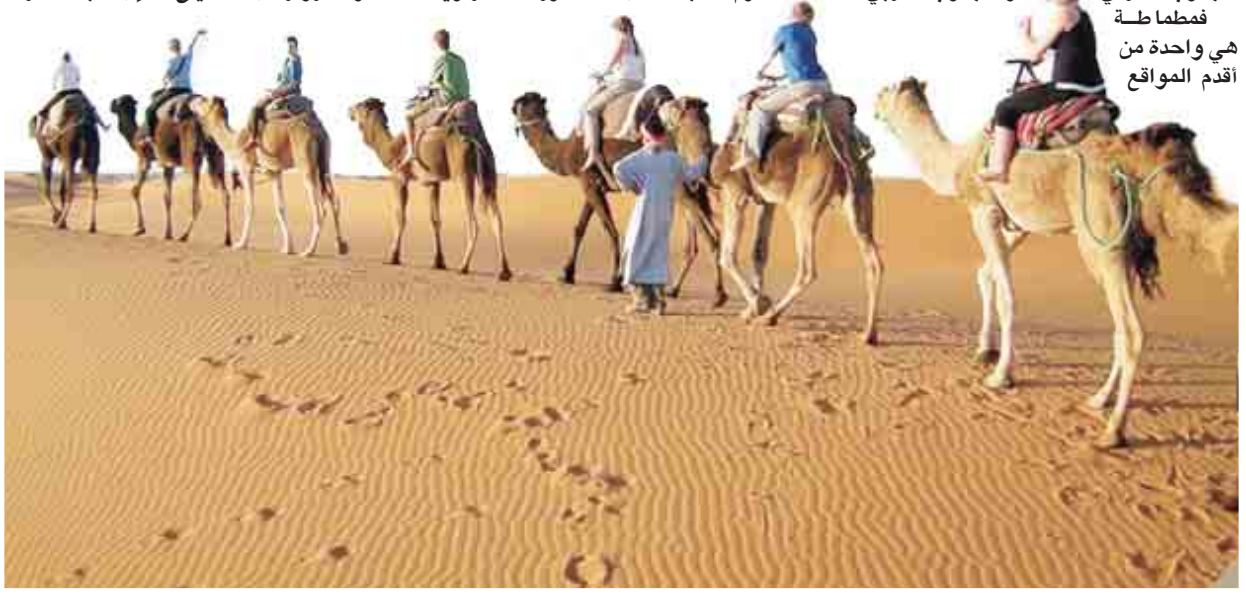

■ للسياح آراء

نزل الشباب في ألمانيا ترقى إلى مستوى الفنادق

❑ **برلين** – كانت الصورة النمطية السائدة منذ فترة طويلة عن نزل الشباب بأنها عبارة عن عنابر للنوم تؤوي أعدادا كبيرة من النزلاء مع تقديم أطعمة بسيطة، وهذه الصورة يرجع تكوينها إلى أول نزل شبابي أقيم في العالم وشيده مدرس ألماني يدعى ريتشارد تشيرمان داخل قلعة بيرج ألينا في العام 1914.

وجاءت فكرة إقامة هذا النزل انطلاقا من شبكة من أماكن الإقامة البسيطة التي يبعد كل منها عن الآخر بمسافة يوم سيرا على الأقدام، وانتشرت الفكرة بسرعة وأصبح يوجد اليوم قرابة أربعة آلاف نزل شباب في مختلف أنحاء العالم من بينها 500 نزل في ألمانيا وحدها.

لكن حدث تغيير كبير في مفهوم نزل الشباب خلال الأعوام الأخيرة، وتوضح باربارا موت من فرع رابطة حركة نزل الشباب الألمانية بولاية راينلاند قائلة "إننا نتيح لضيوفنا مزيدا من وسائل الراحة بشكل مستمر".

ولم تعد هذه النزل الآن تتجه فقط لاستضافة الطلاب من مختلف دول العالم وفرق الألعاب الرياضية الذين يبحثون عن أماكن إقامة منخفضة السعر، ولكن أيضا لاستضافة العائلات بل وحتى المسافرين لأغراض صفقات الأعمال.

● **بيرند دون: المدير التنفيذي لرابطة نزل الشباب الألمانية:** لا تزال المجموعات الطلابية تشكل نحو 40 بالمئة من إجمالي الضيوف بالنزل، مما يجعل هذه الشريحة الأكبر من بين النزلاء. وبشكل عام نجد أن نزل الشباب في المناطق الريفية تشهد إقبالا من جانب الشريحة الطلابية بشكل أساسي، أما في المدن فإنها تجد إقبالا أكثر من جانب السياح الشباب.

● **سابرينا كيرث:** لم أكن أتوقع أن تكون الغرفة التي حجزتها في بيت الشباب في ديسيلدورف مزودة بحمام ودورة مياه مستقلة، وذلك عندما حجزت للإقامة بنزل للشباب مؤخرا، وكنت أخشى من التعرض لسلبيات مثل الحمامات المشتركة والأطعمة الرديئة إلى جانب العبء الثقيل الذي يمثله تنظيف المطبخ.

● **جوليا بونسين: مديرة الأنشطة بالنزل في ديسيلدورف:** توجد ببيت الشباب هنا 25 غرفة مزدوجة يمكن حجزها على أساس إقامة فرد واحد فيها، كما توجد شاشة تليفزيون مسطحة صغيرة مثبتة على الحائط، إلى جانب وصلات للإنترنت، إن الفرق بيننا وبين الفندق هو أنه لا يوجد لدينا ميني بار أو هاتف بالغرف، ومع ذلك فإن جميع الغرف مزودة بحمام ودورة مياه خاصة بها، غير أن أجهزة التلفاز توجد فقط في الغرف المزدوجة.

■ أين تذهب

الإقامة مع الحيوانات البرية تجربة لا تخلو من المغامرة

❑ **باريس** – مع بداية العام 2015 انطلقت فعاليات سياحية شيقة حول العالم، وأروع تلك الفعاليات هو إمكانية النوم في غرفة فندقية فاخرة توفر فرصة التواصل المباشر مع الحيوانات العجيبة مثل الزرافة والأسد والدُب.

وقد أعلنت حديقة الحيوانات في بلدة لا فليش الفرنسية وحديقة الحيوانات الوطنية في مدينة كانبرا الأسترالية عن افتتاح غرف خشبية تشمل التخوت الفاخرة وبعض الخدمات الفندقية وأروعها، تمكن من مشاهدة الحيوانات البرية المدهشة القائمة من خلف الزجاج القائم داخل الغرفة.

ويقدم فندق في أستراليا لزواره فرصة فريدة لقضاء أوقات ممتعة في أحضان الطبيعة، وتناول وجبات الطعام برفقة الحيوانات المفترسة كالأسود، أو الاستحمام تحت أنظار الدببة المتوحشة، بل ويمكن للزائر إطعام الزرافات من شرفة غرفته في الفندق.

ويقع فندق جاملا وإيلد لايف لودج في الحديقة الوطنية بمدينة كانبيرا ويفخر بمنح زواره فرصة تجربة الحياة البرية الأفريقية في أجواء من الرفاهية المتناهية. ويمتد الفندق الذي افتتح الأسبوع الماضي على ثلاثة مواقع مختلفة في الحديقة، ويضم 18 غرفة تتراوح بين منزل الشجرة إلى غرفة بطابق واحد في الأدغال، ويحيط بالزائر كل ما يمكن أن يتخيله من أسرار الحياة البرية، بحسب صحيفة ديلي ميل. وأشار مالك ومشغّل الفندق ريتشارد تينداييل، إلى أن الغاية من إنشائه هي تعزيز الجهود وتوعية الزوار بضرورة الحفاظ على العديد من أنواع الحيوانات المهددة بالانقراض.

وأضاف تينداييل "أنه مشروع عظيم للحيوانات، حيث ستحصل على المزيد من المساحة والرعاية، كما أنه يوفر فرصة للزوار لمشاهدة المزيد من أسرار الحياة البرية، وسيعود المشروع بالفائدة على السياحة والمجتمع المحلي في المدينة". وبني أوشاكا لودج الذي يتسع لـ26 زائرا حول محمية للقردة، ويضم حوضا مدمجا بداخله يمكن للسياح من خلاله مشاهدة أسماك القرش التي تعيش في الحديقة، كما يضم فندق لودج 6 غرف نوم من الحجم الكبير وصالة لتناول الطعام وبار. ويشرف بيت الشجرة على محمية خاصة بالزرافات، في حين أن القسم الثاني يضم أجنحة فندقية مجاورة لمحميات الأُسود أو النمور أو الدببة الماليزية.

وقت مثير مع الأسود في قاعة الجلوس

■ مواعيد سياحية

◄ **إقبال سياحي على مدينة الحمراء**

■ مدينة الحمراء المغربية تشهد حركة دؤوبة منذ بداية شهر أكتوبر، حيث تحولت المدينة إلى قبلة لاستقبال الزوار من كل مكان في العالم، لا سيما السياح الخليجيين الذين اختاروا المدينة منذ بداية الشهر للاستمتاع بطقسها الرائع الذي تمتاز به في هذه الفترة من كل عام.

◄ **الصين ثاني أكبر سوق للرحلات البحرية**

■ خبراء يتوقعون أن تصبح الصين ثاني أكبر سوق عالمي للرحلات البحرية بحلول العام 2017. علما وأنه في العام 2014، قام 1.72 مليون شخص من البر الرئيسي الصيني بحجز رحلات بحرية، بارتفاع بنسبة 43 بالمئة على أساس سنوي، وعشرين نقطة مئوية أعلى من المعدل في منطقة آسيا المحيط الهادئ.

◄ **سويسرا تمنع ارتداء النقاب**

■ قطاع السياحة السويسرية يواجه تهديدا جديدا يتمثل بمقترح يمنع ارتداء النقاب، مما قد يشكل عقبة أخرى أمام العاملين في قطاع الفنادق بالبلاد الذين يعانون أصلا من قوة العملة السويسرية. وبسبب القرار الذي صوتت لأجله مقاطعة تيسنو السويسرية الناطقة بالإيطالية بمنع ارتداء النقاب في الأماكن العامة، باتت عملية جذب السياح الخليجيين الأثرياء أصعب.

◄ **الأردن في غينيس بأطول منزلق مائي**

■ الأردن يدخل موسوعة غينيس للأرقام القياسية بأطول مضمار مائي في العالم للتزحلق في منطقة البحر الميت، وذلك بطول 611.7 مترا للانزلاق المائي. وقال وزير السياحة الأردني نايف حميدي الفايز، إن الأردن يعد بلدا جاذبا ومتميزا في الكثير من الفعاليات السياحية والاقتصادية والشبابية لما يتمتع به من أمن واستقرار وكفاءة العنصر البشري.

◄ **السياحة في السعودية بلا مختصين**

■ مختصون يرجعون أسباب معوقات نمو الاستثمار السياحي في السعودية إلى غياب العنصر البشري المحترف في هذا المجال وكذلك غياب الأنظمة والقوانين التي تدعم الشركات المتخصصة. إذ ما تزال الجهات الحكومية تتعامل مع القطاع السياحي كقطاع خدمي، أي لا تتعامل معه كصناعة مهمّة ستوفر الآلاف من الوظائف للشباب.

التكنولوجيا تحيط بنا في كل مكان

طرح الابتكارات والمنتجات المتعلقة بإنترنت الأشياء في جيتكس 2015

❑ **دبي** – شهد أسبوع جيتكس 2015 الذي اختتمت فعالياته طرحا واسعا من الابتكارات والمنتجات المتعلقة بـ"إنترنت الأشياء الذكية والمرنة".

وكان هذا الأسبوع قد امتد في الفترة بين 18 و22 أكتوبر بمركز دبي التجاري العالمي، ويعتبر أكبر معرض في قطاع تقنية المعلومات والاتصالات في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا، وثالث أكبر حدث من نوعه في العالم والذي يحقق نموا كبيرا عاما بعد عام في عدد الشركات ومساحات العرض.

> في إطار التنافس بين الشركات التكنولوجية قامت باناسونيك بتسليط الضوء على مستقبل الحياة التي تدعمها التكنولوجيا، مثل نظام -المنازل المتصلة- بأحدث أنظمة الأمن في المساكن، وكذلك المرايا التفاعلية الذكية المزودة بكاميرا للتصوير

وحضر أسبوع جيتكس للتقنية لهذا العام ما يزيد على 130 ألف زائر من أكثر من 150 بلدا بينهم ما يفوق العشرين ألفا من كبار التنفيذيين، وأكثر من 3600 شركة وعلامة تجارية عارضة من 62 بلدا.

كما أن المعرض بات، عن جدارة، بوابة عبور شركات تقنيات المعلومات والاتصالات العالمية والإقليمية إلى أسواق الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا. وبلغ عدد الجهات الحكومية المشاركة في دورة هذا العام 160 جهة، مقارنة بـ120 جهة حكومية عام 2014، كما تشارك نحو 794 شركة جديدة بالمعرض هذا العام.

فالمبدأ الذي قام عليه المعرض هذا العام هو فكرة أن التكنولوجيا تحيط بنا في كل مكان.. مما طرح عدة تساؤلات هامة من نوع ما هي أهمية استخدام التكنولوجيا بذكاء؟ وهل كل ما يتوفر لدينا اليوم من أجهزة وأدوات يمكنها أن تساهم في تسهيل حياتنا؟ حاول المشاركون في المعرض عرض حلولهم الذكية لذلك، وهذا ما حاولت شركة سامسونغ الإجابة عنه خلال مشاركتها.

وصرح محمد الغرايبة، باعتباره رئيس قسم الشركات والأعمال في سامسونغ الخليج "أن اليوم لدينا الكثير من المنتجات والأنظمة التي نعرضها هنا وكما رأيتم هي عبارة عن أفكار ذكية، وكل ما هو موجود لدينا هنا هو حلول ذكية سواء على مستوى الحلول التعليمية والنقل والضيافة وإنشاء المكاتب، كل هذه الحلول مدعومة بنظام أمني قوي جدا اسمه (نوك سوليوشن) وهو مناسب لسامسونغ فهو نظام من بحث الشركة وتطويرها". وأضاف أن "أجهزة الموبايل والجهاز اللوحي، والطابعات والتلفزيونات لدينا كلها مدعمة بأنظمة وبرمجيات ذكية، حيث يستطيع الإنسان أن يقوم بكل الخدمات الموجودة في البيت عن طريق استخدام الموبايل، حيث يمكننا التحكم من خلاله بمكيف الهواء ودرجة حرارة الثلاجة والغسالة وبخدمة الواي فاي والاتصال بالإنترنت وهذه الأشياء التي تطمح سامسونغ العمل عليها من أجل أن تسهل حياة الناس".

وفي إطار التنافس بين الشركات التكنولوجية قامت باناسونيك أيضا بتسليط الضوء على مستقبل الحياة التي تدعمها التكنولوجيا، مثل نظام -المنازل المتصلة- بأحدث أنظمة الأمن في المساكن وذلك من خلال الإنترنت، وكذلك المرايا التفاعلية الذكية المزودة بكاميرا للتصوير من أمامها وعرض صورة وجه المستخدم على انعكاس صورته في المرايا والسماح للمستخدم بتجربة العديد من التعبيرات على الوجه من خلال وضع ماكياج ذكي.

وكشفت باناسونيك النقاب عن أول هاتف لاسلكي في العالم لتأمين الأبواب، كما عرضت الشركة أيضا برنامجها الخاص بالحوسبة السحابية الذي يمكن أن يدعم المنازل المتصلة، والمباني ومقار الجامعات بل حتى مدنا بكاملها.

وعرضت أيضا حلول العرض الضوئي على المسابح الموجهة للفنادق والمتنزهات كي تتيح عرض مختلف الصور داخل المسبح.

وكان من أبرز المنتجات المطروحة في جيتكس حلول "إنترنت الأشياء الذكية والمرنة" الخاصة بالمركبات من شركة هواوي، التي تستهدف الإسهام في إتاحة مزيد من مستويات الأمان لمستخدمي وسائل النقل العام، وتقديم حلول أمان ذكية للمركبات لتشكل بذلك الخطوة الأولى نحو تحقيق أقصى درجات التحكم لمشغلي النقل العام وخدمات الطوارئ.

بدورها أطلقت إل جي جدار الفيديو فائق الوضوح ذي الفواصل الأنحف في العالم، حيث لا تتجاوز سماكته 0.9 ملم، ويعتمد جدار الفيديو تقنية الإضاءة الخلفية المباشرة هو الحل الذي يوفر أفضل تجربة، دون إزعاج المشاهد بملاحظة الفواصل بين الوحدات. ويلبي احتياجات مختلف القطاعات، بما في ذلك المطارات ومراكز التسوق والفنادق.

وعرضت كاسبرسكي لاب محفظتها الشاملة من حلول وخدمات الأمن للمؤسسات والشركات الصغيرة والمتوسطة.

وطرحت الشركة الروسية المختصة في أمن المعلومات حل "كاسبرسكي سيف كيدز"الجديد الذي يكتسب أهمية اجتماعية لدوره في مساعدة الآباء على ابتكار طرق ملائمة تتيح لأطفالهم استكشاف العالم الرقمي بأمان. كما قدم خبراء الشركة في الحدث لمحة عامة حول مشهد التهديدات الإلكترونية دائم التغير في الشرق الأوسط، مع التركيز بشكل خاص على التهديدات الموجهة للشركات.

وقال أوفانيس ميخايلوف، مدير عام كاسبرسكي لاب في الشرق الأوسط "تتركز مهمة كاسبرسكي لاب الأساسية في ضمان توفير حماية أمنية للجميع، سواء مستخدمي الأجهزة المنزلية وعائلاتهم أو الشركات الصغيرة والكبيرة أو الهيئات الحكومية والمؤسسات التي تمتلك بنى تحتية حساسة".

ثغرات أمنية تهدد أجهزة أندرويد

تؤرق الثغرات الأمنية كبرى الشركات التكنولوجية خوفا من القضاء على مبيعاتها، لذلك تحاول دائما أن تقاوم هذه الظاهرة التي لا تنتهي، إذ كلما اكتشفت واحدة إلا وقدم القراصنة تطبيقات خبيثة أخرى.

❑ **لندن** – أظهرت دراسة قام بها باحثون من جامعة كامبريدج أن 87 بالمئة من أجهزة "الأندرويد" معرضة للإصابة بثغرات أمنية، وأن تلك الأجهزة أصيبت على الأقل مرة واحدة بسبب وجود 13 ثغرة أمنية ويجب على مصنعي الأجهزة التي تعمل بهذا النظام مكافحة وحل مشاكل تلك الثغرات الأمنية من أجل حماية مالكي الهواتف الذكية.

اكتشف أحد الخبراء الأمنيين العاملين في شركة "أي فاير" مؤخرا برمجية خبيثة تحمل اسم "كيموج"، يعتقد أنها انطلقت من الصين، والتي تستهدف أجهزة أندرويد، وتستطيع الحصول على صلاحيات الجذر ضمن الأجهزة المصابة.

وتتواجد برمجية كيموج ضمن متاجر تطبيقات أندرويد وليست ضمن متجر غوغل بلاي الرسمي، كما أنه ينتشر عبر المواقع الـ لمز يفة و ا لإعلا نـا ت الخبيثة داخل التطبيقات، ويتخفى في عدد منها. وتشير شركة أي فاير الأمنية إلى قيام البرمجية الخبيثة فور تثبيتها من طرف المستخدم ببث عدد كبير من الإعلانات ضمن جهاز المستخدم سواء أثناء استعماله في تصفح المواقع أو التطبيقات المختلفة أو حتى على الشاشة الرئيسية التي تظهر عليها بدورها هذه الإعلانات المزعجة، كما أنها تقوم بجمع بيانات المستخدم.

وأوضحت الدراسة أن ما نسبته 90 بالمئة من الأجهزة العاملة بنظام أندرويد قد تعرضت للخطر الفعلي بسبب فشل مصنعي الأجهزة من تزويدهم بالتحديثات.

ويواجه المستهلكين والمنظمات والشركات التي تعتمد على أجهزة أندرويد مشكلة شائعة عند قياس وتقييم أداء الأجهزة من ناحية أمنية وعدم معرفتهم أي من الشركات المصنعة ستقوم بتزويد أجهزتها بالتحديثات والتطويرات الأمنية الخاصة بالأجهزة بعد قيام غوغل بطرحها لسد ثغرة ما. وأشار التقرير إلى أن هناك عدم تناسق في المعلومات بين الشركات المصنعة، بالإضافة لعدم وجود أي ضمانات لدى المستهلكين حول إمكانية قيام الشركة بإرسال التحديثات الأمنية لأجهزتهم ومتى سيتم ذلك، كما لا تقدم الشركات للمستخدم توضيحات حول وضع أجهزتهم من الناحية الأمنية.

ويشير التطبيق المثبت إلى أن ما نسبته 87 بالمئة من أجهزة أندرويد قد تعرضت للإصابة بالثغرات الأمنية على الأقل مرة واحدة بسبب وجود 13 ثغرة أمنية موجودة في نظام أندرويد في السنوات الخمس الماضية ومنها "تاولروووت" و"فايم أي دي".

ووجد الباحثون أن أجهزة أندرويد لا تتلقى في المتوسط سوى تحديث واحد خلال كامل السنة، وصرح أحد الباحثين بالقلق إزاء عدم حصول أجهزة أندرويد على تحديثات.

ويأمل الباحثون أن يخدم عملهم على التوعية ونشر دراسات المستهلكين بحيث يقوموا باختيار هواتفهم الحالية والقادمة بشكل مدروس ومتوافق مع الشركات التي تقوم بإصدار تحديثات أمنية مستمرة.

ووجد الباحثون أن أجهزة غوغل وإل جي وموتورولا تتفوق بكثير من ناحية الحصول على تحديثات أمنية على أجهزة سامسونغ وإتش تي سي وأسوس.

وقام الباحثون بوضع نتائج لكل شركة تصنيع لتوضيح كيفية التقييم، وذلك وفقا لنسبة الأجهزة الخالية من الثغرات الأمنية المعروفة ونسبة الأجهزة المحدثة إلى أحدث إصدار من النظام وعدد الثغرات الأمنية التي لم تقم الشركة بإصلاحها ضمن أجهزتها.

وسجلت أجهزة نيكسوس من غوغل نتيجة 5.2 من 10 تليها أجهزة إل جي بنتيجة 4.0 من 10 وتتبعها موتورولا بنتيجة 3.1 من 10، بينما سجلت أجهزة سامسونغ نتيجة 2.7 من 10 تليها سوني وإتش تي سي وأسوس.

ووفقا للباحثين فإن الدراسة تم تمويلها بشكل جزئي من قبل شركة غوغل في سبيل نشر مفهوم الأمان والتحديثات الأمنية للأجهزة العاملة بنظام أندرويد.

جديد التكنولوجيا

❑ شركة تويتر تعلن عن إطلاق وظيفة جديدة تتيح للمستخدم إمكانية إجراء استطلاعات الرأي بسرعة وبساطة. وأوضحت خدمة التدوين المصغر أن المستخدم يتمكن عن طريق وظيفة "بولز" الجديدة طرح استفسار على الآخرين مع تحديد اثنين من الإجابات المحتملة. وأضافت الشركة الأميركية أن مدة الاستبيان دائما ما تكون محددة بـ24 ساعة.

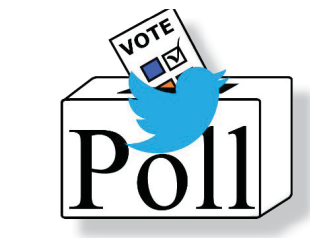

❑ موقع "بي جي آر" الأميركي يحذر من برنامج خبيث يصيب متصفح غوغل كروم، ويقوم البرنامج الخبيث الذي يحمل اسم "إي فاست بروزر"، بتغيير متصفح كروم كليا إلى نسخة مشابهة تقوم بالتجسس على المستخدمين وسرقة بياناتهم، مستخدما في ذلك إعلانات مزعجة، تقوم من خلالها بتتبّع كافة أنشطتهم وإبلاغ المعلنين بها. وتلاشيا لبرمجية إي فاست بروزر، أوصى الموقع الأميركي المستخدمين بالامتناع عن تحميل أي ملفات غريبة تأتي برفقة البرامج التي تريد تحميلها بالفعل.

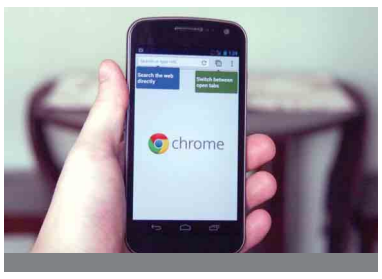

❑ أبل تطلق أحدث نسخة من نظام تشغيلها "آي أو إس 9.1" الذي تعمل به أجهزتها الذكية آيفون، آيباد بالإضافة إلى آيبود توتش. ويقوم النظام الجديد بتوفير دفعة جديدة من الرموز التعبيرية إيموجي، بالإضافة لتحسينات لميزة الصور المباشرة من شأنه أن يمنع المستخدم من تسجيل الحركات غير الضرورية بالإضافة إلى تحسينات وإصلاحات متنوعة وتحديثات أمنية. ويتوفر التحديث الجديد للمستخدمين ويمكن تحميله عبر التحديث الهوائي، وسيصل لجميع مستخدمي هواتف آيفون وأجهزة آيباد الذين قاموا بتحميل هذا النظام.

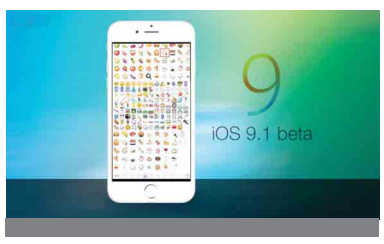

❑ موقع فيسبوك يطلق خاصية جديدة، تنبّه المستخدمين عند التجسس عليهم من قبل القراصنة الذين يعملون تحت وصاية الحكومات. وصرّح أحد مسؤولي فيسبوك الأمنيين أليكس ستاموس، بأن الشبكة الاجتماعية سوف تخطر مستخدميها حال شنّ القراصنة هجوما على حساباتهم، برعاية الحكومات المختلفة، موضحا أن ذلك الإخطار سيحثّ المستخدمين لتفعيل خاصية "لوغين ابروفلز" بإرسال كود سري يستوجب إدخاله في كل مرة يتم الدخول إلى الحساب من جهاز أو متصفح جديد.

❑ غوغل المالكة لموقع يوتيوب تعلن أنها سوف تتيح للمستخدمين ابتداء من يوم 28 أكتوبر خيار الاشتراك في نسختها الخالية من الإعلانات من يوتيوب والذي يحمل اسم يوتيوب الأحمر وذلك مقابل 10 دولارات في الشهر. وتحاول غوغل معرفة عدد الذين سوف يقومون بدفع هذا المبلغ شهريا للحصول على يوتيوب خالي من الإعلانات، ويعتبر مبلغ الاشتراك مماثلا لما يدفعه المستخدم للاشتراك في خدمة بث الفيديو نيتفليكس شهريا.

التسلق يقوي الأطراف ويعزز قوة التحمل

رياضة تتطلب الخفة والمرونة والتركيز

يعد التسلق من أكثر الرياضات التي تعزز قوة التحمل وتوازن اللياقة الجسدية والنفسية. ويتطلب هذا النشاط تركيزا عاليا لتفادي مخاطره وهو ما دفع بالكثيرين إلى عدم الاقتصار على الجبال التي قد تفتقر إليها بعض المناخات العربية وتحويل ممارسته داخل قاعات مجهزة وآمنة، تسمح لكل الفئات العمرية بتجربتها، شريطة عدم المعاناة من بعض الأمراض التي لا تتماشى مع حركات التسلق.

تمارين التسلق تحرق كمية كبيرة من السعرات الحرارية

□ **لندن** – أنشأت عدة دول عربية مراكز مجهزة للتسلق داخل القاعات تستجيب للشروط الدولية المتفق عليها من حيث تأمين المكان وتوفير المعدات اللازمة وتشغيل مدربين متخصصين ودوليين.

وكشفت التجارب العلمية عن أن ممارسة رياضة التسلق تحرق ما يعادل 540 إلى 750 سعرة حرارية. وهي رياضة تعتمد على قوة عضلات الأطراف وتتطلب الخفة والمرونة والتركيز.

ويمكن ممارسة التسلق، داخل القاعات، على جدار صناعي مدبب ومعزز بالثقوب. وينقسم هذا الطراز من الرياضات، عادة، إلى ثلاثة أنواع. النوع الأول، وهو أكثرها شيوعا، حين يربط المتسلق نفسه بحبل أثناء تسلقه الجدار. وأما النوع الثاني فهو أصعبها لأن المتسلق مطالب بأن ينقر في الحائط فتحا تساعد على التسلق. وفي النوع الثالث، لا تستخدم أي حبال أو وسائل أمان، باعتبار أن المكان أقل خطرا من الحجارة والتضاريس الموجودة في الطبيعة.

وينصح المدربون المبتدئين بالإبقاء على استقامة أجسادهم قدر الإمكان، مع الحرص على عدم الاقتراب أو الابتعاد كثيرا على الجدار.

ومثل التسلق خارجا، على من يمارسون هذه الرياضة ارتداء أحذية خفيفة ذات نعال مطاطي تساعد على تحمل الوزن والتنقل بين الصخور الاصطناعية بتوازن يجنب الانزلاق.

ويشبه باحثون التسلق بالجمباز ويطلقون عليه اسم الجمباز العمودي لأنه متكامل مثله ويدرب اليدين والساقين ويعزز مرونتهما ويقوي مهارة التوازن خلال الحركات.

وتعتمد هذه الرياضة خاصة على قوة الأصابع التي يتركز عليها انتقال الشخص من مستوى إلى آخر، عموديا أو أفقيا، مع دعم الكتفين والظهر لمساعدة الجسد على تحمل وزنه خلال مراحل التسلق.

وتسهم الحركات المتواصلة والمتناسقة في عملية التسلق في الحفاظ على اللياقة البدنية والذهنية لأنها تعمل في الآن نفسه على تقوية الأطراف والعضلات وتحفز العقل على التفكير ورد الفعل المناسب في وقت وجيز. ويتميز التسلق داخل القاعات عن ذلك الذي بالجبال بأنه أقل استخداما للمعدات وأكثر أمانا لأن المشرفين يضعون قطعا مطاطية أسفل الجدران للحماية عند السقوط.

> التسلق يتميز داخل القاعات عن ذلك الذي بالجبال بأنه أقل استخداما للمعدات وأكثر أمانا

ويؤكد المدربون المتخصصون في التسلق أن أهم فوائد هذه الرياضة أنها تحسّن التوازن، وتعمل على تطوير المرونة، وتزيد من التناسق، وتطوّر مهارات التخطيط والتفكير الاستراتيجي، وتحسّن الثقة بالنفس، وهي تمرين كامل للجسم، إلى جانب كونها نشاط عائلي مناسب للجميع.

ولتطوير مهارات التسلق، يوصي المدربون باتباع بضعة خطوات من شأنها أن ترفع مستوى الممارسة وتعزز قوة اللياقة. ومن بين هذه التقنيات، يشددون على التدرب جيدا وبانتظام، لا سيما طوال الأشهر الأولى، لما لذلك من أهمية قصوى في تنمية القدرات البدنية والذهنية والتقنية. ويمكن تحقيق ذلك عبر التسلق لفترات مطولة، وعلى امتداد الأسبوع.

ويحث باحثون على تقليل عدد فترات الراحة بين كل مستوى أو جدار للتمكن من التسلق بحجم مرتين أكثر.

ولأن اليدين يتحملان ضغطا شديدا للانتقال من مكان إلى آخر، يفضل تدريب الأصابع وتقويتها لزيادة مرونتها وتخليصها من التشنجات والتصلب المفاجئ.

وكشفت الدراسات أن لنوع الأغذية دورا كبيرا في تنمية الأداء، حيث يساعد الطعام الصحي والبروتينات والكاربوهيدرات والسكريات المعتدلة في تجديد النشاط وتقوية التحمل. ويشار إلى أن خبراء الصحة ينصحون بتناول الأطعمة الغنية بالبروتينات بعد قضاء خمس وأربعين دقيقة على ممارسة التسلق.

وتعد الأردن من أول الدول العربية، بالشرق الأوسط، التي بادرت بإنشاء مركز مغلق للتسلق لاستقطاب عشاق هذه الرياضة. وقد تلقى فريقه المكون من عدة جنسيات عالمية تدريباته في كل من النمسا والأردن.

ويقوم المركز بتنظيم يوم مفتوح بصورة شهرية للمشاركات العامة، إضافة للمشاركات للمرة الأولى والتسلق بواسطة الحبال العلوية من المستوى الأول وتسلق الفرق من المستوى الثاني وبرامج تدريبية على أساليب التسلق وأساليب تثبيت حبال التسلق.

ويذكر أن عمان كانت قد استضافت، عام 2011، بطولة كأس العالم للتسلق الداخلي للرجال والنساء، بمشاركة 30 شخصا يمثلون دول: (أستراليا، بلجيكا، الصين، أسبانيا، فرنسا، إيطاليا، اليابان، كوريا، روسيا، سلوفينيا ولبنان، بالإضافة إلى الأردن).

وعبر مالك ومدير عام مركز التسلق الداخلي، شرف الكيلاني، عن أن هذه الرياضة تعد من الرياضات الفريدة والمتميزة بالمتعة والترفيه، حيث تكون داخل قاعات مجهزة خصيصا ببيئة مشابهة لبيئة الجبال الطبيعية بكل ما تحويه من تحديات وصعاب ولكن بمنظور آمن يتناسب مع جميع الفئات العمرية.

وقال المندوب التقني، فنسنت كوزيه، ممثل الاتحاد الدولي لرياضة التسلق، إن عمان قد شجع دول عربية أخرى على إدخال هذه الرياضة إلى بلدانهم ومن هذه الدول التي قامت بإنشاء مركز للتسلق الداخلي، لبنان والإمارات.

ويستطيع عشاق التسلق في دبي ممارسة هوايتهم في متجر أدفنتشر إتش كيو الكائن في وسط ميدان تايمز. ويمكنهم أن يتسلقوا حائطا يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار يحاكي واجهة صخرية حقيقية بكل حوافها وجيوبها المصنوعة من منحدرات الحجر الجيري في بلغاريا، ومزيج يجعلها مناسبة لجميع مستويات الخبرة.

ويستخدم المتسلقون صغار السن أدوات مخصصة لحمايتهم من خشونة الجدار، وهي تمكنهم من التقاط المقابض المنتشرة عليه وإمساكها بأيديهم بثقة وثبات، حيث يكون الطفل مثبتا بحبل يبقى معلقا عليه في حال ابتعاده عن الجدار. كما يتم تزويد كل متسلّق بخوذة ذات وزن خفيف مصممة لحماية رأس الطفل دون إعاقته، أو زيادة وزنه أثناء الحركة.

ويذكر أن هناك دول عربية أخرى انجذب عدد من مواطنيها إلى ممارسة التسلق خارجا على جبالها ومرتفعاتها الطبيعية مثل لبنان وتونس وفلسطين.

وأسس المتسلق الأميركي ويل هاريس آخر ناديا رياضيا لتعلم رياضة التسلق في مدينة رام الله بالضفة الغربية المحتلة. وقال لمراسل الأناضول "عندما قدمت إلى رام الله لم أكن أعلم أن فلسطين تفتقر إلى هذه الرياضة، ولذلك قمت بإنشاء ناد صغير، وعبر موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، دعوت الشباب للتدريب فيه".

ويضيف أن الفكرة لاقت إقبالا كبيرا، والشباب والفتيات يتسابقون للتعلم وأشعر أن لديهم محبة ورغبة للاستمرار، ولذا أسعى لتكوين فريق فلسطيني لتسلق الصخور.

وأكد المدرب الأميركي "هنا الناس يحبون الجبال، يعشقون التنزه، ولديهم انسجام كبير مع الطبيعة، وهذا ما ساعد في إنجاح فكرتي".

ويوافقه أحد مرتادي ناديه قائلا: رياضة غير اعتيادية أن تتسلق الصخور لا لشيء سوى للمتعة والتحدي، ورغم أنني لم أقتنع بها يوما، إلا أنني بت أعشقها، فهي تخلق شعورا لم تكن تحس به من قبل، هو أنك قادر على قهر المستحيل.

وينظم هاريس وصديقه جولات للتسلق أسبوعيا، ويطمحان لإنشاء قاعة مغلقة متخصصة في تلك الرياضة، نظرا لزيادة الطلب عليها. ويلفت إلى أن "كل متدرب يحتاج اجتياز مادة نظرية قبل التوجه إلى الطبيعة وبدء الممارسة العملية، بالإضافة إلى أن التسلق رياضة تعتمد على قوة عضلات الساقين والذراعين، والذهن المتيقظ لكل خطوة".

> اليدان تتحملان ضغطا شديدا للانتقال من مكان إلى آخر، لذلك يفضل تدريب الأصابع وتقويتها لزيادة مرونتها وتخليصها من التشنجات

وعادة ما يتجه الفريق إلى مرتفعات عين قينيا وعين يبرود قرب رام الله، لطبيعتهما المناسبتين لتلك الرياضة، بالنسبة للمبتدئين، إذ لا تتجاوز الارتفاعات بهما 200 م.

وفي تونس، أسس محبو التسلق جمعية الاستغوار والتسلق بزغوان، شمال البلاد، في يونيو 2012. ووفروا بذلك فرصة ذهبية للجمع بين ممارسة نشاط بدني مكثف والاستمتاع بالمناظر الخلابة للطبيعة والتضاريس في ذلك المكان.

البطاطا المشوية أو المسلوقة تمتص الدهون وتخفف الوزن

□ **القاهرة** – بعكس البطاطا المقلية والمقرمشة، تساعد البطاطا المشوية أو المسلوقة على تخفيف الوزن. وأكد خبراء التغذية أن نجاح هذه الطريقة يشترط المواظبة على أكل البطاطا، لفترة لا تقل عن ثلاثة أيام وأن تكون دون إضافات أو بهارات.

ويقول د. موسى الخطيب خبير التّغذية والنّظم العالميّة للحمية إنّ البطاطا المسلوقة تحتوي على مواد تستطيع امتصاص الدهون من الجسم بطريقة لا تضرّ الإنسان.

وعندما يتناولها الإنسان دون أي نوع آخر من الأكل فإنّها تعتبر وجبة غذائيّة كاملة تساعد على النّشاط والحيويّة وخفّة الحركة، بعكس المضاعفات الّتي تحدث نتيجة استخدام أدوية التّخسيس. فالبطاطا تحتوي على مادّة قادرة على امتصاص كلّ السّموم في الجسم، ولا تضر بالقلب.

> البطاطا تحتوي على مادة قادرة على امتصاص كل السموم في الجسم ولا تضر بالقلب

وعندما تكون البطاطا مسلوقة أو مطبوخة فهي تمتص كمية كبيرة من الماء وبمجرد تبريدها تتبلور مكوناتها من النشاء بشكل مقاوم للهضم، لذلك يسمى بالنشاء المقاوم. وعلى عكس أنواع أخرى من الألياف المحتوية على النشاء يؤدي تخمّر النشاء في الأمعاء الغليظة إلى خلق الأحماض الدهنية التي قد تحد من قدرة الجسم على حرق الكربوهيدرات ولكنها بالمقابل ذات مفعول معاكس يمكن من حرق الدهون. ويذكر أن حبة بطاطا متوسطة الحجم مع قشرتها تحتوي على 3 غرامات من الألياف، أي أنها تغطي 12 بالمئة من الكمية المطلوبة يوميا من الألياف.

وللبطاطا فوائد أخرى يستفيد منها الجسم كثيرا، فهي تقي من الإصابة بمرض السّرطان، حيث وجدت الدّراسات المنجزة على خلايا البشر أنّ مادة اللكتينات الموجودة في البطاطا ترتبط بمستقبلات أغشية خلايا السّرطان مؤدّية لموتها وتسممها ومثبّطة بذلك نموّ الورم المسؤول عنها.

ويحتوي هذا النوع من الخضار على المواد الغذائية الأساسيّة للجسم مثل: المعادن والحديد والكالسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والنحاس، بالإضافة إلى فيتامين ج، حيث تتميّز عن الأطعمة الأخرى باحتفاظها بهذا الفيتامين في الطّقس شديد الحرارة. وهي عنصر غذائي مهم أيضا في فصل الشّتاء، فهي أفضل الأغذية منحا للدفء، ذلك لأنّ العنصر النّشويّ فيها يتحوّل في جسم الإنسان إلى سكريّات تمنحه الطّاقة، وتقيه أخطار السّمنة بسهولة.

وتوصلت الدراسات المخبريّة إلى أنّه إذا أضيف قشر البطاطا إلى حمية فئران التّجربة المصابة بالسكّري فإنّ سكر الدم ينخفض لديها بشكل ملموس كما ينخفض تواتر التبوّل المرتبط بذلك المرض.

وتعمل البطاطا المبشورة على تبييض الهالات السوداء حول العينين، لأنها غنية بإنزيم يسمى كاتيكولاس وهو الّذي يستخدم في المستحضرات التجميليّة كمفتّح للون البشرة. كما أن لها أثرا في علاج الحساسية الجلدية بدهان الموضع المصاب بعصير البطاطا أو بوضع شرائحها في كمادات، كما تستخدم بنفس هذه الطريقة لعلاج حروق الشمس.

ويذكر أن هناك دراسة أجريت على 84215 امرأة. وأظهرت النّتيجة بأنّ تناول البطاطا يفيد صحّة القلب. وصرّحت منظّمة الأغذية والأدوية بأنّ الأغذية مثل البطاطا ذات المحتوى الجيّد من البوتاسيوم، والمحتوى المنخفض من الصوديوم قد تنقص خطر توتّر الشّريان العالي. وتتميز البطاطا بثرائها بالفيتامين أ الضروري لنمو الجنين وتخفيض نسبة السكر في الدم. ويقول جون بودين وأليسون تاني، مؤلفا كتاب، أكثر 100 غذاء صحي أثناء الحمل، إن البطاطا تعد من أهم الأطعمة التي يجب أن تضاف إلى النظام الغذائي خلال فترة الحمل.

تناول البطاطا دون إضافات يساعد على النشاط وخفة الحركة

المرأة الريفية مصدر الأمن الغذائي في العالم يطوقها الحرمان والتهميش

تطرح المشاكل الخاصة بالمرأة الريفية على نطاق واسع في يومها العالمي الموافق لـ15 أكتوبر من كل عام. ويمثل هذا اليوم فرصة للنظر في أوضاع النساء في الريف وللمقارنة بين ما تقدمنه من واجبات أسرية ومجتمعية ومن مساهمة اقتصادية من خلال توفير الأمن الغذائي للعالم نظرا لاشتغالهن في الزراعة وبين ما يتحصلن عليه في المقابل من إحاطة ورعاية اقتصادية واجتماعية وسياسية تؤمن لهن تحقيق الذات والعيش الكريم في الوسط الريفي المتسم بقسوة الظروف المعيشية.

رغم أن النشاط الزراعي يتطلب جهدا بدنيا كبيرا إلا أن نساء الريف يشتغلن جميع مراحل الفلاحة من الزراعة إلى الإنتاج

❏ **لندن** – يظل البون شاسعا بين ما تقدمه المرأة التي تعيش في الأوساط الريفية من أعمال وواجبات داخل البيت وخارجه وبين ما تتمتع به من مكاسب وحقوق. وهذا ليس من باب الحكم المسبق أو الاستنتاج بل إنه من الحقائق المسلمة التي يعلمها القاصي والداني في المجتمعات العربية. فالمرأة في الريف تعيش تقريبا بنمط حياة بدائي ينطلق يومها مع بزوغ الخيط الأول من الفجر نظرا لكومة الأعمال التي تنتظرها تقوم بشؤونها المنزلية تهتم بأفراد عائلتها وتساعدهم في الاستعداد لبداية يومهم ثم تنطلق نحو العمل الذي يؤمن لها الدخل الرئيسي –أو الإضافي للعائلة– بما أن المناطق الريفية هي الأماكن الأكثر فقرا إذا أخذنا في الاعتبار آخر إحصائيات الأمم المتحدة التي تظهر أن 76 بالمئة من الذين يعيشون في فقر مدقع في العالم، يتواجدون في المناطق الريفية.

وتباشر الريفية العاملة يومها بعد انتهاء المرحلة الأولى من المسؤوليات الأسرية والشؤون المنزلية لتنطلق في العمل خارج المنزل الذي غالبا ما يكون زراعيا فتجدها بين أحضان الطبيعة تحاول استخراج كل ما يمكن أن يفيدها في تأمين قوتها بما أنها المستخدمة الرئيسية للموارد الطبيعية في العالم. ورغم أن النشاط الزراعي يتطلب جهدا بدنيا كبيرا إلا أن نساء الريف يشتغلن جميع مراحل الزراعة منذ بذر المواد الأولية إلى المرحلة النهائية من الإنتاج وأحيانا تمر لمرحلة ما بعد الإنتاج إما في الجمع أو التعليب أو التسويق.

> النساء الريفيات في البلدان النامية يمثلن نحو 43 بالمئة من القوة العاملة الزراعية، وينتجن الكثير من المواد الغذائية المتوفرة ويعدّونها، مما يجعلهن المسؤولات الأساسيات عن الأمن الغذائي

وتقدر منظمة الأمم المتحدة أن النساء الريفيات في البلدان النامية يمثلن نحو 43 بالمئة من القوة العاملة الزراعية، وينتجن الكثير من المواد الغذائية المتوفرة ويعدّونها، مما يجعلهن المسؤولات الأساسيات عن الأمن الغذائي لأسرهن ولقريتهن ولمجتمعاتهن المحلية. هنا يبدأ دورهن الاقتصادي المحوري في تحقيق الأمن الغذائي الذي يعتبر محورا رئيسيا من محاور التنمية المستدامة المنشودة على الصعيد العالمي. لأجل ذلك تأخذ الخطط والاستراتيجيات الاقتصادية المعتمدة في الدول العربية كما في عدد من دول العالم في الاعتبار هذه المعطيات الدالة حسابيا وعلميا على أن المرأة رقم أساسي في العمل الزراعي في الوسط الريفي وهو ما يدفع الحكومات إلى البحث عن سبل ضمان وصول المرأة الريفية إلى الموارد الإنتاجية الزراعية بما يسهم في خفض الجوع والفقر في العالم، ويجعلها عنصرا فاعلا في إنجاح جدول أعمال التنمية المستدامة الجديد لعام 2030.

هذه الأدوار تجعل المرأة في الوسط الريفي تمثل أكثر من نصف المجتمع فهي فرد واحد بأدوار عديدة لا يقل أحدها أهمية عن الآخر، وقد أثبتت أنها قادرة على الجمع بين مسؤوليات مختلفة في آن، فهي الأم المربية والراعية لأبنائها وهي المعيلة للأسرة وهي الزوجة التي تتولى أغلب المسؤوليات الأسرية وهي العاملة الزراعية التي تساعد زوجها في تأمين الدخل العائلي. رغم أنها تضطلع بمهامها الاقتصادية في ظروف قاسية منها الطبيعية ومنها التي تتعلق بالبنية التحتية في الريف ومنها التي تخص البيئة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

المرأة الريفية تنتج معظم الأغذية في العالم، فهي العنصر الأساسي للنهوض بالأنشطة الزراعية، وهي المستخدمة الرئيسية للموارد الطبيعية إلخ.. اعترافات وشعارات تردد على ألسنة ممثلين للحكومات والمنظمات الدولية والإقليمية إبان عيد المرأة الريفية ورغم أنها تأتي للتأكيد على الوعي بضرورة دعم سيدات الأرياف إلا أنها لم تأت بالكثير من الإنجازات الواقعية لفائدتهن. فهن يعانين من طبيعة العمل الزراعي المضنية ويؤدينه في أسوأ الظروف مقابل أجور متدنية وفي ظل حماية اجتماعية ضئيلة أو دونها. كما يتقاسمن مع جميع متساكني القرى مصاعب الحياة في الريف ونقص أو غياب الخدمات الأساسية مثل الرعاية الصحية والتعليم والنقل أما بقية الخدمات المرتبطة بنمط العيش الحديث مثل أماكن الترفيه ووسائل الاتصال الرقمي مثل الإنترنت.. فهي بمثابة الحلم بالنسبة إليهن.

وتحرم المرأة العاملة في الزراعة في الوسط الريفي في غالب الأحوال من حيازة الأراضي وملكيتها ومن الخدمات والمساعدات الحكومية المخصصة للقطاع مثل القروض البنكية والأعمال التجارية اللازمة لترويج منتجاتها من أجل الازدهار. وهو ما أكدته دراسات لمنظمة الأمم المتحدة بينت أن المرأة في قطاع الزراعة والمناطق الريفية تحصل على موارد الإنتاج وعلى فرص الدعم المالي والفرص التجارية بصورة أقل من الرجل، رغم أنها تتقاسم المسؤوليات بالمساواة معه وأحيانا تلعب دورا إيجابيا أكثر منه في توفير الدخل المادي للعائلة إلا أنها نادرا ما تتمكن من إدارة والتصرف في هذا الدخل ونادرا ما تدلي بدلوها في اتخاذ قرارات الأسرة الكبرى.

هذه الظروف القاسية مجتمعة تجعل المسافة شاسعة بين الموجود والمنشود لنساء الأرياف وبين ما يبذلنه من جهد في جميع المجالات وما يتمتعن به في المقابل من وسائل العيش الكريم، وهي تفقد يوما بعد يوم العالمي مكانته لديهن حتى أن بعضهن لا يعلمن أصلا بوجوده وتفقد الاستراتيجيات الدولية للارتقاء بالمرأة الريفية فاعليتها لأن جانبا هاما من أهدافها ظل حبرا على ورق ومجرد فصول في اتفاقيات دولية تردد من عام لآخر كمجرد إعلان على النوايا.

نساء الريف في مصر شقاء يومي للتخلص من الفقر

❏ **القاهرة** – رغم مساهمتها ودورها البارز في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لازالت المرأة الريفية في مصر تعاني مشاكل عديدة مثل الفقر والتهميش ما يعظم أعباء الحياة عليها. لكنها رغم ذلك تؤدي واجباتها الأساسية نحو أبنائها وزوجها وقريتها ويتواصل عطاؤها دون انقطاع ولا ملل رغم المعاناة.

وتشير تقارير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، حول وضع المرأة والرجل في مصر لعام 2011 إلى أن 42.8 بالمئة من النساء يعملن في القطاع الزراعي، وتصل هذه النسبة في الريف إلى 65.9 بالمئة، كما تشتغل أغلب النساء في القطاعات الخدمية الحكومية بنسب متفاوتة بين الحضر والريف إلا أن النسبة الأكبر من النساء في الريف يشتغلن في القطاع الزراعي حتى لو كن من الحاصلات على شهادات تعليم عالي.

هذا التوزيع في اليد العاملة النسائية يعكس اتجاهين؛ الأول يرجع إلى العادات والتقاليد المتوارثة في المجتمع الريفي حيث تشجع النساء على العمل في قطاعات معينة مثل الزراعة والتدريس وأعمال المنزل وتشجع الرجال على الشغل في القطاعات الأخرى، أما الاتجاه الثاني فهو انخفاض المستوى التعليمي للنساء عن الرجال في الريف.

واحتلت نسبة النساء المزارعات المرتبة الأولى 43 بالمئة بين ذوي المهن كما لوحظ أن نسبة العاملات لدى الأسرة بدون أجر تبلغ 22.7 بالمئة لإجمالي الجمهورية، وترتفع نسبتهن في الريف إلى 37 بالمئة ونظرا لكون هذا العمل ليس له عائد نقدي فإن عمل المرأة بهذه النسبة المرتفعة في أعمال خاصة بالأسرة وبدون أجر نقدي يقلل من مردود ذلك العمل عليها ومن الاستفادة الذاتية من جهودها وطاقاتها. وهو ما يؤكد أن موارد المرأة الريفية في الغالب أقل من موارد الرجال مما يخفض قدرتها على إقامة مشاريع خاصة حيث بلغت نسبة النساء اللاتي يعملن بأجر نقدي 40.3 بالمئة من إجمالي النساء المصريات.

وكشفت نفس الإحصائيات أن أغلب النساء في الريف يعملن في العمل الأسري غير مدفوع الأجر بنسبة مرتفعة قدرت بـ62.6 بالمئة بينما في المناطق الحضرية 41.3 بالمئة حيث بلغت نسبة النساء العاملات بأجر نقدي في هذه المناطق 14.9 بالمئة بينما لم تتجاوز 4.1 بالمئة في المناطق الريفية.

هذا الضعف في الفائدة المالية العائدة من العمل على المرأة في الريف يؤدي إلى عدم استثمار جهودها على الوجه الأمثل خاصة بما يعود بالفائدة عليها من حيث تحقيق الازدهار الذي ينقذها من براثن الفقر المنتشر في الريف المصري. ورغم أن نساء الأرياف يشكلن قوة دافعة نحو التنمية المحلية اقتصاديا واجتماعيا إلا أن مردودية هذه القوة مغيّبة ولا يتم استغلالها لتحقيق الأهداف الإنمائية المستدامة خاصة أن العنصر النسائي يمثل المسؤول الأول عن الأمن الغذائي المحلي والعالمي.

هذا ولا تختلف أوضاع نساء الريف في مصر كثيرا عن بقية نساء الأرياف العربية من حيث قسوة الظروف وتعدد المسؤوليات إلا أن الفقر المدقع الذي يميز الريف في مصر وخاصة في الصعيد يجعل وضعهن أكثر سوءا وهشاشة خاصة مع تردي الخدمات الاجتماعية الأساسية وعلى وجه الخصوص الصحية منها. يضاف إلى ذلك نقص الوعي لديهن بسبب ارتفاع نسب الأمية والانقطاع عن الدراسة ما يقلص قدرتهن على حماية أنفسهن وحماية أبنائهن من نمط العيش غير الصحي الذي تفرضه عليهن البيئة الريفية.

هذا ورغم الجهود التي تقدمها نساء الريف في تحسين أوضاع عائلاتهن وفي العمل الزراعي إلا أن التمييز ضدهن يحرمهن من التطور فكثير منهن لا تتاح لهن سبل ملكية الأرض والوصول إلى الأسواق وإلى التمويل وإلى حماية دخلهن المادي.

وتعد المرأة الريفية من أكثر النساء المهضومة حقوقهن في مصر وعلى جميع الأصعدة لذلك تطالب المنظمات الحقوقية والجمعيات النسوية في مصر بتلبية احتياجاتهن التعليمية والتثقيفية، والتأهيلية والصحية بجانب النظر في بقية متطلبا تهن الاقتصادية مثل تمتعهن بفرص العمل و با لا قتر ا ض وتوفير الوعي لديهن بحقوقهن.

> الضعف في الفائدة المالية العائدة من العمل على المرأة في الريف يؤدي إلى عدم استثمار جهودها على الوجه الأمثل بما يخدم أهداف التنمية المستدامة

واقع المرأة الريفية يبدد الفخر بمكاسب التونسيات

❏ **تونس** – تعد الجمهورية التونسية من البلدان العربية التي تعرف بامتداد الأوساط الريفية فيها مثل مصر كما أنها من الدول العربية التي تتباهى بما تحقق للمرأة فيها من مكاسب وحقوق، غير أن واقع المرأة الريفية فيها ينأى بها عن إدعاء أن نساء تونس في وضع مثالي وأنهن بلغن المساواة مع الرجل وأن نساء الأرياف لهن نفس الحقوق التي تتمتع بها النساء في المدن.

واقع المرأة في الوسط الريفي يضرب نظرية تمتع المرأة التونسية بكافة حقوقها وحرياتها لأن ظروف عيشها صعبة بسبب ضعف التنمية والعناية الحكومية بالمناطق الريفية سواء في أحواز العاصمة أو في بقية جهات البلاد. وتدفع الظروف الاقتصادية الهشة في الأرياف الأسر إلى عدم الإقبال على تعليم بناتهن أو إلى إخراجهن من المدارس في سن مبكرة ليساعدن العائلة في العمل الزراعي أو عن طريق العمل في المنازل أو في غيره من مواطن الشغل المتوفرة لتمثل مصدرا رئيسيا أو إضافيا يعيل الأسرة.

ورغم انتشار الوعي في المجتمع الريفي التونسي بأهمية التعليم إلا أن النسب العالية المسجلة في أمية الفتيات تسجل في الأرياف منذ عقود، هذا ما يجعلهن عرضة للاستغلال من قبل عائلاتهن من خلال الاستفادة من أجورهن أو تزويجهن للتخلص من أعباء التعليم والمصاريف المعيشية وهو ما تقوم به العديد من العائلات الفقيرة إلى اليوم في أرياف تونس.

وكشفت وزارة المرأة والأسرة في تونس في آخر إحصاءاتها تواصل وجود فوارق هامة بين النساء والرجال في الوسط الريفي وبين النساء في الوسطين الريفي والحضري، حيث تبين أن نسبة البطالة لدى النساء والفتيات تساوي ضعفي نسبة البطالة في صفوف الرجال كما أن 80 بالمئة منهن لا يزلن في حالة تبعية اقتصادية. بالإضافة إلى أن 84.6 بالمئة من النساء المستجوبات في التعداد السكاني لعام 2014 في المناطق الريفية لم تتمكن من إتمام مسارهن التعليمي.

هذا ما يجعل عددا هاما من النساء والفتيات يجدن أنفسهن مضطرات للعمل في القطاع الزراعي بأجر زهيد يكون في غالب الأحيان نصف ما يتقاضاه الرجل من أجر يومي أو أسبوعي في نفس العمل. وهو تفصيل يثبت أن امرأة الريف تعاني من التمييز والاستغلال بجانب ما تفرضه عليها الظروف الطبيعية وظروف العمل والتنقل غير الصحية وغير اللائقة من معاناة إضافية تعرضها لمخاطر صحية علاوة على عدم انتفاعها بخدمات الحماية والتغطية الاجتماعية التي تسهل عليها العلاج في حال الإصابة في العمل أو المرض بسبب ظروفه القاسية.

وتمثل نساء الأرياف في تونس حوالي 36 بالمئة من عدد النساء التونسيات، ويتعاطين أغلب النشاطات الزراعية بأنواعها من حرث وإعداد للمنتوج وتربية الماشية إلخ.. هذا ما يجعل حضورهن الاقتصادي بارزا بين القوى العاملة في الدولة لذلك ولتدارك الفرق بين المساهمة الفعلية لهن في العمل وفي اقتصاد الأسرة وفي الاقتصاد المحلي وبين ما يتحصلن عليه من فائدة عينية مباشرة وما يتمتعن به في البيئة الريفية وبنيتها التحتية المتدهورة وضعت الدولة خطة للنهوض بهن عرفت بالمخطط الحادي عشر الذي انطلق منذ عام 2007 تتمثل أبرز ملامحها في السعي للحد من ظاهرة الانقطاع المدرسي المبكر، ومكافحة الأمية في الأرياف سعيا لدعم قدرة الفتيات وصقل مواهبهن وتطوير قدرتهن على بناء الأفكار وتحقيق النجاح والاستقلالية المادية من خلال توفير فرص الشغل أو تسهيل سبل إقامة مشاريع خاصة بهن.

وبغاية تطوير القدرات المهنية والحرفية للمرأة الريفية النشيطة والتي اكتسبت تجربة في العمل بالريف، بادرت هياكل الدولة المعنية بالتعاون مع جمعيات التنمية بإسناد قروض وحوافز متنوعة لفائدتها، لتمكينها من بعث مشاريع صغرى تكفل لها خلق موارد رزق وتأمين دخل قار. وهو ما من شأنه أن يشجعهن على ترك التفكير في النزوح للمدن لوضع حد للمعاناة من الظروف الاقتصادية التي باتت تشكل حاجزا أمام التطور والتقدم.

حب الذات.. طاقة إيجابية تزيد قيمة الإنسان وثقته بنفسه

الإحباط والحزن يؤديان إلى ازدراء الذات

ينظر الكثير إلى حب الإنسان لذاته على أنه نوع من النرجسية والأنانية، وهذه الحالة تكون إذا زاد معدل حب الذات عن الطبيعي، وتحوّل إلى المبالغة في تفضيل الذات والمصلحة الشخصية على ما سواها حتى إذا كانت مصالح الآخرين، إلا أن الأمر له وجه آخر يتعلّق بحب الذات من منظور الاحترام والثقة بالنفس والرضا عن الحال، ما يزيد مكانة الإنسان وقيمته، ويعتبر أولى الخطوات نحو العلاقات الاجتماعية الناجحة والحياة المستقرة.

محمد رجب

محبة المرء لذاته شيء ضروري يؤثر ويتأثر بالمحيط الاجتماعي

□ يتمحور الحب بشكل عام حول الأخذ والعطاء، فإذا كان المرء يستطيع منح ما يكفي من الرعاية والاهتمام والتعاطف لنفسه، فعلى الأغلب يمكنه منح هذه المشاعر للآخرين أيضا، هذا بخلاف محبة النفس والأنانية، اللتين تقومان على الأخذ والاستغلال وتفضيل الذات.

"لا يمكننا أن نحب الآخرين ما لم نتمكّن من حب أنفسنا"، قول مأثور يحمل العديد من المعاني والدلائل، أبرزها أن الحب يزدهر ويكبر عندما نقدّمه للآخرين، ولكنه دائما يبدأ عند النفس، فعندما يحب المرء ذاته فإن العالم من حوله يصبح أكثر جمالا وجاذبية ونجاحا، فحب النفس ليس استثناء، حيث يتيح للمرء النظر إلى الأشياء والأشخاص والحياة بمنظور أفضل وأكثر إيجابية، ولكن الشيء الأكثر أهمية هو أن كل هذه التغييرات تتعلق بتصوّر المرء فقط.

عندما يحب المرء ذاته فإنه يصبح شخصا أفضل، لكون ذلك يحسّن الحالة النفسية والعاطفية، التي تنعكس إيجابيا على الصحة والحالة الجسدية. كما أن حب الذات واحترام النفس يجعلان الفرد يتمتّع بعلاقة أسرية دافئة وناجحة، قائمة على العطاء والاحترام المتبادل بين الشريكين، وخالية من أي ازدراء أو سوء معاملة، ما يساعد على استمرار الحياة الأسرية ونجاحها.

ويشير خبراء إلى أن حب الذات واحترامها يعتبران من العوامل الرئيسية في تكوين شخصية سوية ومؤثرة وناجحة اجتماعيا وعمليا، إلا أنهم يؤكدون أن الإفراط في ذلك والمبالغة في تقدير الذات قد يؤديان إلى الأنانية التي تأتي بنتيجة عكسية على حياة الفرد.

وفي هذا السياق قالت الدكتورة رضوى إبراهيم، أستاذة علم النفس في الجامعة الأميركية في القاهرة "إن حب الذات يعتبر أحد العوامل الرئيسية في تكوين شخصية مؤثرة وذات قيمة، إلا أن هذا الحب والاعتزاز يتراجعان تحت ضغوط الحياة، ما يؤثر سلبا على الإنسان سواء نفسيا أو اجتماعيا، لافتة إلى أن المرء قد يمر بمراحل يشعر فيها بالإحباط والحزن، ما يجعله يرفض ذاته ويقسو عليها، وتتطوّر الحالة تدريجيا حتى تصل إلى ازدراء الذات واحتقار النفس، وهنا يظهر التأثير السلبي لتلك الحالة في كره المجتمع أيضا، والفشل في العلاقات الاجتماعية، وربما توتر العلاقات الأسرية".

وأضافت "على المرء التخفيف من هذه المشاعر السلبية، وتهوينها على النفس وتحسين معاملتها، حتى تتحسن الحالة المزاجية"، مشيرة إلى أن ذلك يتحقق من خلال استخدام مفاتيح السعادة الشخصية للإنسان التي تدخله عالم المرح والسعادة، للقضاء على حالة الإحباط والحزن والسخط على كل شيء، والتي تؤدي إلى ازدراء الذات.

ونصحت إبراهيم بضرورة التوقّف عن مقارنة النفس بالآخرين، لما لذلك من آثار سلبية على الحالة النفسية، وجنوح نحو رفض الذات وعدم الرضا بالوضع القائم، كذلك عدم الرضوخ لرغبات الآخرين، واستبعاد كل ما يسبّب ضغوطا على الشخصية ويصيبها بالضيق والتوتر، مع تخليص النفس من القيود لإبعاد التعاسة والإحباط، وإدخال الأفكار الإيجابية إلى العقل، فهذا هو المعنى الحقيقي لحب الذات وتقديرها.

ومن جانبها أوضحت الدكتورة سامية الجندي، أستاذة علم النفس الاجتماعي بجامعة الأزهر قائلة "أن حب الذات يمنح طاقة إيجابية للمرء تساعده على مواجهة تحديات الحياة، وتزيد من ثقته بنفسه وشعوره بقيمته، ما ينعكس إيجابياً على الحياة العملية والاجتماعية للفرد، ويجعله ناجحا سواء في عمله أو محيطه الاجتماعي، مبينة أن الدائرة الاجتماعية المحيطة بالفرد مؤثّرة بشكل مباشر في درجة حب المرء لذاته سواء سلبيا بتدني قيمته، أو إيجابيا بدعمه نفسيا والثناء عليه، حيث تظل محبة المرء لذاته شيئا ضروريا يؤثر ويتأثر بالمحيط الاجتماعي.

> إذا كان يتعين على الفرد تسليط الضوء على قدراته والتركيز على نجاحاته، فإن التعثرات ينبغي أن تأخذ حصتها من الاهتمام

وأشارت الجندي إلى أنه قبل التوجه لحب الآخرين واحترامهم وحسن معاملتهم، يجب أولا أن يحب المرء ذاته ويحترمها ويحسن معاملتها، من منطلق فاقد الشيء لا يعطيه، فتطوير حب الذات هو مفتاح من مفاتيح الارتقاء بالذات وتحصيل السعادة وتحقيق النجاح.

أما الدكتور خليل فاضل، استشاري الطب النفسي، فيرى أن المرء بحاجة إلى تقدير ذاته، من أجل أن يُعترف به في المحيط الاجتماعي، لافتا إلى أن حب الذات هو الخطوة الأولى لنمو الثقة بالنفس، ما يؤثر على التصور الذي يكونه الآخرون عن الشخص، موضحا أن حب الذات كغيره من ميكانيزمات الشخصية له جانب سلبي، حيث قد يتطرّق حب النفس المبالغ فيه إلى إعجاب زائد عن اللازم، فيتحوّل بذلك إلى تشوّه نفسي، يترجمه تضخم الأنا ومركزيتها، وهذا المنحى غير السليم معروف باسم النرجسية، وهو ما قد يتخذ شكل حالة مرضية، بما هو إفراط في تضخيم الذات ومبالغة في اعتبارها.

وشدد فاضل على أن بين حب الذات والنرجسية خطا فاصلا، ويلزم للحفاظ عليه الالتزام بالواقعية، فإذا كان يتعيّن على الفرد تسليط الضوء على قدراته والتركيز على نجاحاته، فإن التعثرات ينبغي أن تأخذ حصتها من الاهتمام، حتى تساعد على تطوير الذات والارتقاء بها وعدم تكرار نفس الأخطاء. كذلك لا يمكن أن ينفصل الشخص عن دائرته الاجتماعية ويتجاهلها، مع عدم التوقف بسلبية عند أحكام عناصر هذه الدائرة الاجتماعية بشأنه، ولا ينبغي أن يدفع ذلك إلى الاعتقاد بأنه أعلى من الآخرين، في إطار علاقات متوازنة للتعامل مع المحيط الاجتماعي والارتقاء بقيمة الذات.

طبق اليوم

لفائف الدجاج بالسبانخ

* **المقادير:**
- 500 غرام من صدر دجاج دون جلد
- نصف ملعقة صغيرة من ملح
- نصف ملعقة صغيرة من قرفة ناعمة
- نصف ملعقة صغيرة من بهار أسود
- ملعقة كبيرة من زيت نباتي
- حبة بصل صغيرة الحجم، مفرومة ناعما
- 3 فصوص ثوم مهروسة
- 500 غرام من السبانخ
- ملعقتان كبيرتان من الصنوبر النيء
- 4 أكواب من مرق الدجاج: (للصلصة البيضاء)
- 10 ملاعق كبيرة من حليب بودرة خالية الدسم: (للصلصة البيضاء)
- 4 ملاعق كبيرة من النشاء: (للصلصة البيضاء)
- نصف ملعقة صغيرة من الملح: (للصلصة البيضاء)
- ربع ملعقة صغيرة من جوزة الطيب: (للصلصة البيضاء)
- ربع ملعقة صغيرة من بهار أبيض: (للصلصة البيضاء)

* **طريقة الإعداد:**
- يقطع الدجاج للحصول على 8 قطع متساوية. تُدق قطع الدجاج بالمطرقة الخشبية الخاصة باللحم لتصبح بسماكة 1 سنتم. ترش نصف كمية التوابل على الدجاج، ثم يوضع جانبا.
- يحمى الزيت، يضاف إليه البصل ويُقلّب حتى يحمر لونه، ثم يضاف الثوم ويقلب لمدّة دقيقة.
- تضاف السبانخ مع بقية التوابل والصنوبر وتحرك باستمرار لمدة 5 دقائق أو حتى تذبل.
- توزع حشوة السبانخ بالتساوي على قطع الدجاج. تلف كل قطعة على بعضها البعض على شكل مرقاق العجين. تلف كل قطعة بخيط أبيض حيث يبرم الخيط حول اللفائف حتى تثبت.
- تُمسح صينيّة غير لاصقة بالزيت. تُرتّب اللفائف وتوضع الصينية في الفرن المحمّى مسبقا بدرجة 200 م لمدّة 15 دقيقة، وتقلّب بين الحين والآخر.
- تُخلط مقادير الصلصة البيضاء على البارد، توضع على النار وتحرك باستمرار حتى تسمك قليلا.

تُسكب الصلصة البيضاء فوق اللفائف وتوضع الصينيّة مجددا في الفرن لمدّة 15 دقيقة.
- تُقسم الطبخة إلى 4 حصص متساويّة. تقدم ساخنة مع البطاطا بوري.

موضة

عروض مذهلة في أسبوع الموضة الأول بأبوظبي

□ بدأت فعاليات البرنامج الافتتاحي لأسبوع الموضة الأول في أبوظبي، بعروض قدمتها أشهر دور الأزياء الأوروبية، مثل ويل، ولوريل، وسونيا باي سونيا ريكيل، واحتضنت «تاون سكوير» في «اس مول» جمعا كبيرا من عشاق الموضة لحضور ستة عروض مذهلة.

وعرض المتجر البريطاني الشهير «ديبنهامز» تشكيلة من الأزياء الراقية لكبار المصممين العالميين، مع التركيز على بعض الاتجاهات الأساسية مثل الأزياء العسكرية الرومانسية، والأزياء الكلاسيكية المعاصرة. وبدأ العرض الأول بمجموعة ملابس السيدات الجديدة التي تحمل اسم «ناين» للمصممة سافانا ميلر، أما العرض الثاني فضمّ عددا من مجموعات الأزياء المصممة خصيصا لمتجر ديبنهامز.

المعوقون في سوريا

هيفاء بيطار

□ أظهر تقرير الطب الشرعي في سوريا منذ خمس سنوات أي منذ بداية الثورة السورية أن هنالك أكثر من مليون ونصف المليون مُعاق سوري. رقم يجعل الدم يتجمد في العروق من ذهول المفاجأة والألم، لأن لا أحد تبنى جديا مأساة المعاقين، فالكل يتحدث ويعطي الأولوية للشهادة وللشهداء الأبطال، كما لو أن الإعاقة ترف بالنسبة إلى الشهادة، فالمعاق لا يزال حيا أما الشهيد فميت، والأولوية في سوريا للموت.

يتحدثون بافتخار عن أرقام الشهداء الأبطال الذين مثواهم الجنة، ويظهر الإعلام السوري أمهات يزغردن لموت أولادهن شهداء الوطن، لكنني ومن خلال عملي كطبيبة عيون في مشفى حكومي في اللاذقية وعملي مع جمعيات خيرية عديدة ذهلت من الأعداد الهائلة للمعاقين، وكلهم تعرضوا لشظايا صواريخ أو براميل متفجرة أو رصاص قادم من جهة ما.

مليون ونصف المليون معاق لست بصدد وصف إعاقاتهم بل أريد أن أشير إلى بعض النقاط بالغة الأهمية، فالجنود من الجيش السوري الذين لم يستشهدوا في المعركة بل أصيبوا ونقلوا إلى المشافي العسكرية أولا ثم حين طفحت المشافي العسكرية بهم صاروا ينقلون إلى كل مشافي الدولة، هؤلاء الضحايا المساكين بالكاد يعالجون لضعف الإمكانيات الطبية وعدم توفر الكثير من الأدوية والأدوات الطبية، العلاج يكون غالبا البتر، إما بتر الساق المصابة أو بتر اليد، وأكثر ما يؤلم هو الإصابات العصبية أي حين تخترق شظية الدماغ وتتسبب في شلل أو عته، فيصبح المصاب الذي كان يملك عقلا "مفكرا معتوها".

هؤلاء الجنود السوريون المعاقون يخضعون لقانون غريب من شدة لا منطقيته وظلمه، وهو أنهم يُمنعون من مغادرة سوريا للعلاج في دولة مجاورة! يجب أن يتلقوا العلاج حصرا في مشافي الدولة السورية، حتى لو تعهد أهاليهم بتكاليف العلاج كاملة وهم يرجون المسؤولين في الدولة الذين أصدروا هذا القرار أنهم لا يريدون منها أي تعويض ولا أي مساعدة بل فقط أن يسمحوا لهم بالسفر لتأمين علاج أفضل في مشافي مجهزة بأجهزة متطورة.

لكن القوانين في سوريا صريحة وصارمة، فالسفر ممنوع للمعاق، عليه أن يبقى في وطن تحول إلى قفص، إذ ربما يُخشى من عواقب وفضائح فيما لو سُمح لهذا الجندي بالخروج من القفص.

هناك مراتب تفقأ العين في سوريا، كما لو أننا في لعبة شطرنج، فهناك الملك وهناك الوزير وهناك قائد الجيش وهم يتمتعون بامتيازات استثنائية ويسافرون ويتعالجون في أرقى المشافي في الدولة التي يريدونها، ويُسخرون الأطباء العباقرة لعلاجهم، وهنالك الجنود وهم قطيع من الشباب قاماتهم وقيمتهم ضئيلة، فهم مجرد جنود، بدؤوا طفولتهم بالصراخ: استرح، استعد، هكذا يصرخ بهم قائد الفتوة أو التدريب العسكري ثم يهتفون كببغاوات بشعارات الولاء وبأن روحهم فداء الوطن.

في أفضل الأحوال يُسمح لأهالي المُصاب والمعاق بأن ينقلوا المصاب إلى مشفى خاص ولا تتحمل الدولة أيا من تكاليف العلاج، بل يتحملها الأهل الذين قد يضطرون إلى بيع أثاث منزلهم أو أي شيء يملكونه ليعالجوا ابنهم الذي سيعيش ما تبقى من عمره يعاني من ألم الإعاقة ويعاني أهله معه، ولا يتلقون أي تعويض ومساعدة من الدولة.

مليون ونصف المليون معاق سوري بسبب الحرب القذرة، رقم مُخيف وكبير، هؤلاء فقدوا قدرتهم على العمل والإنتاج وعلى بناء وطن لم يهدهم سوى إعاقة وسجنهم داخلها، ولم يبال بتبني قضيتهم، يكفيهم أنهم لا يزالون يتمتعون برفاهية الشهيق والزفير، برفاهية حيوان في قفص، يرتعش خوفا من المطالبة بحقه في أفضل فرص علاج، وبأن يسافر كوزير الخارجية المعظم عندما أجرى عملية القلب في الجامعة الأميركية في بيروت، لا أحد يبالي برقم مليون ونصف المليون معاق، لا أحد يبالي بهولاء لأن الرقم صغير تجاه من نزحوا وتجاه من استشهدوا أو ماتوا.

الإعاقة في سوريا ترف، كما لو أن صوتا قادما من فوق يصرخ بهؤلاء: يكفيكم أنكم أحياء، لا يهم نوعية الحياة التي قد تكون موتا أكثر من الموت ولا معاناة هؤلاء المعاقين وأهلهم.

العالم كله مشغول عنهم ولا أحد مشغول بهم، العالم مشغول بتحضير برامج تكلف الملايين عن الخوف الذي يقارب حد الذعر من انقراض نوع نادر من الأسماك أو الدببة أو العصافير، ويجندون علماء لدعم تناسل وبقاء تلك الأنواع النادرة من الحيوانات المهددة بالانقراض. أما المليون ونصف المليون معاق في سوريا فهم مجرد قطيع يكفيه أنه لا يزال باقيا على قيد حياة لا تشبه الحياة في شيء.

مسكين أيها المعاق، كان يجب أن تكون وزيرا في لعبة الشطرنج السورية ولست مجرد جندي أو مواطن عادي.

فضائح الفيفا تلطخ سمعة القيصر

بكنباور يسقط في قعر الفضائح رفقة بلاتر وبلاتيني

انضم اسم كروي كبير جديد إلى عاصفة الفساد التي تضرب الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) "القيصر فرانز بكنباور بعدما أعلنت لجنة الأخلاق للمنظمة الكروية العالمية أنها فتحت تحقيقا بشأنه، واعدة بإصدار حكم سريع بحق رئيسها المستقيل جوزيف بلاتر ورئيس الاتحاد الأوروبي ميشال بلاتيني قبل انتهاء فترة إيقافهما.

□ **برلين** - تلطخت سمعة الأسطورة الحية لكرة القدم الألمانية فرانز بكنباور في أقل من أسبوع لتورطه في إدعاءات الفساد بخصوص حصول بلاده على شرف استضافة مونديال 2006، حيث كان رئيسا للجنة ترشيحها ومن ثم فتح لجنة الأخلاق التابعة للفيفا تحقيقا بشأنه. صدمة لألمانيا التي تعبد "قيصرها"وهو لقب منح له في الستينات خلال مسيرته الكروية مع بايرن ميونيخ مسقط رأسه. بات كل يوم يشهد زلزالا من الزلازل التي تضرب الاتحاد الدولي، فقد كشفت لجنة الأخلاق أنها فتحت تحقيقا بشأن أسطورة كرة القدم بكنباور العضو السابق في اللجنة التنفيذية للفيفا والأسباني أنخل ماريا فيار أحد نواب الرئيس الحاليين، دون أن تحدد أسباب هذا التحقيق. وهي المرة الأولى التي يعلن فيها عن فتح تحقيق بشأن القيصر بكنباور وفيار، وهو ما يعني أنهما يواجهان خطر عقوبة الإيقاف المؤقت أو النهائي. ما هي الأسباب؟ الفيفا، الذي يعد كل يوم أنه سيكون أكثر شفافية، لم يكشف عن الاتهامات الموجهة إليهما.

الألماني، بطل العالم مع منتخب بلاده كقائد عام 1974 وكمدرب عام 1990، كان عضوا في اللجنة التنفيذية للفيفا خلال التصويت في عام 2010 على منح شرف استضافة مونديالي 2018 لروسيا و2022 لقطر. أوقف لمدة 90 يوما في يونيو 2014 بسبب عدم تعاونه بشكل كامل في إطار التحقيقات الداخلية التي قادها الأميركي مايكل غارسيا (الذي استقال منذ ذلك الحين) بشأن مزاعم رشوة تتعلق بمنح شرف استضافة المونديالين، ما أدى إلى عدوله عن الذهاب إلى مونديال البرازيل. لكن العقوبة رفعت بعد أسبوعين من دخولها حيز التنفيذ. هل هذه هي القضية التي لا يزال يتابع عليها على اعتبار أن عملية منح تنظيم مونديالي 2018 و2022 هي محور الفضائح التي تضرب الفيفا؟.

صاحب الكرة الذهبية مرتين عامي 1972 و1976 والبالغ من العمر 70 عاما، لديه مخاوف أخرى. فمجلة "دير شبيغل" الألمانية أعلنت أن لجنة الترشيح الألمانية التي كان بكنباور رئيسا لها، خصصت حسابا خاصا لشراء أصوات ممثلي آسيا الأربعة في اللجنة التنفيذية لفيفا. لكن بكنباور الرئيس الفخري لنادي بايرن ميونيخ، نفى بشدة هذه المزاعم قائلا بعد يومين من خلال بيان "لم أدفع أموالا لأحد من أجل الحصول على أصوات تساعد ألمانيا على نيل حق استضافة كأس العالم 2006.

على أرضية الملعب، صنع هذا الليبيرو الرائع الذي ولد في 11 سبتمبر 1945، لنفسه سجلا رائعا برفقة غيرد مولر وسيب ماير سنوات 1960–1970: 4 ألقاب في الدوري ومثلها في كأس ألمانيا والكرة الذهبية مرتين، وكأس أوروبا للأندية البطلة (دوري الأبطال) 3 مرات وكذلك لقب قاري (1972) وآخر عالمي (1974) أمام جماهيره في ألمانيا الغربية سابقا. خاض مغامرة أميركية مع كوسموس نيويورك ثم عاد إلى البوندسليغا للعب مع هامبورغ قبل أن يعتزل اللعب نهائيا عام 1983. أصبح أول شخص يحرز كأس العالم كلاعب وكمدرب. مسيرته كمدرب استمرت بعد ذلك مع مرسيليا ثم عاد إلى بايرن ميونيخ لموسمين ناجحين قبل اعتزاله التدريب عام 1994. أصبح رئيسا للنادي البافاري، وبات مطلوبا في كل مكان وبالحديث عن جميع المواضيع في بلده وخارج حدودها، على سبيل المثال، للانضمام إلى اللجنة

> القيصر الألماني، بطل العالم مع منتخب بلاده كقائد عام 1974 وكمدرب عام 1990، كان عضوا في اللجنة التنفيذية للفيفا خلال التصويت في عام 2010 على منح شرف استضافة مونديالي 2018 لروسيا و2022 لقطر

التنفيذية للفيفا. عهدت إليه ألمانيا مهمة الفوز بتنظيم كأس العالم 2006، ونجح في مهمته وأصبح "أسطورة" في ألمانيا.

من ناحية أخرى أعلن الاتحاد الألماني لكرة القدم أن المال المقدم إلى الاتحاد الدولي للعبة (فيفا) في 2002 لم يكن له أي علاقة بحصول ألمانيا على حق استضافة بطولة كأس العالم 2006. وأوضح الاتحاد أن المال كان لضمان تمويل إضافي في عملية التنظيم. وقال فولفغانغ نيرسباخ رئيس الاتحاد الألماني "كل شيء في عملية منح استضافة بطولة كأس العالم 2006 كان سليما.. لم تكن هناك مخصصات سرية ولم يكن هناك شراء أصوات". وأوضح "الرسالة المهمة أن قصة الصيف الخيالية (المونديال الألماني) كانت وستظل قصة خيالية". وأوضح نيرسباخ أن المبلغ المقدم إلى الفيفا وقدره 6.7 مليون يورو (7.6 مليون دولار) كان لضمان "دعم تنظيمي يصل قدره إلى 250 مليون فرنك سويسري (170 مليون يورو)"، وأنه جرى الاتفاق عليه خلال جلسة بين فرانز بكنباور رئيس اللجنة المنظمة لمونديال 2006 والسويسري جوزيف بلاتر رئيس الفيفا.

وكانت اللجنة المالية بالفيفا حصلت على هذا المبلغ (6.7 مليون يورو) بشكل مباشر من روبرت لويس دريفوس رئيس شركة أديداس الألمانية للأدوات والملابس الرياضية آنذاك ثم أعيد هذا المال من الاتحاد الألماني للعبة إلى دريفوس عبر الفيفا. وكان تقديم هذا المبلغ للفيفا في 2002 أي بعد عامين من فوز ألمانيا بحق استضافة المونديال. واعترف نيرسباخ بأنه لم يعلم لماذا طالب الفيفا بسداد هذا المبلغ وأن هناك بعض الأسئلة التي ما زالت بلا إجابات في هذه القضية ومنها لماذا طلب الفيفا سداد هذا المبلغ أساسا؟ ولماذا لم تطالب اللجنة المنظمة ببساطة بقرض من البنك أو الحكومة؟، مشيرا إلى وجود تحقيق خارج نطاق الاتحاد الألماني بشأن هذه القضية. وقال إن المبلغ سدد إلى الفيفا مجددا من أجل تنظيم حدث ثقافي ولكنه لا يعلم ما إذا كان دريفوس، الذي وافته المنية في 2009، استعاد المبلغ من الفيفا.

وأكد أن أموال دافعي الضرائب لم تهدر وأنه علم بكل هذا وذلك خلال اجتماع مع بكنباور ولم يكن يعلم به من قبل. وكان نيرسباخ نائبا لبكنباور في رئاسة اللجنة وتكفل بمجالي التسويق والإعلام خلال المونديال الألماني، كما انتخب رئيسا للاتحاد الألماني للعبة في 2012. وقال نيرسباخ "لا نعلم ما فعله الفيفا بالعشرة ملايين فرنك سويسري. لا يمكنني أيضا التأكيد مئة بالمئة ما إذا كان المبلغ أعيد إلى دريفوس . واعترف أيضا بأنه ارتكب خطأ بعدم إبلاغ باقي أعضاء مجلس إدارة الاتحاد بالتحقيق الداخلي الذي أطلقه على الفور. وقال "أتحمل اللوم وأبلغت أعضاء مجلس إدارة الاتحاد ورؤساء المناطق بهذا".

أحكام سريعة

أما بالنسبة إلى فيار لونا، فكل شيء جرى بشكل سريع جدا: متابعته من قبل لجنة الأخلاق ... تم الكشف عنها بعد 24 ساعة من تعيينه رئيسا للجنة المنظمة لمونديال 2018، ليحل محل بلاتيني الموقوف. وذكرت وسائل الإعلام الأسبانية أن رئيس الاتحاد الأسباني لم يتعاون أيضا مع غارسيا. والرئيس المستقيل بلاتر نفسه كان قد أبلغ عن تبادل الأصوات بين أسبانيا وقطر على الرغم من أن التحقيق الذي قام به الفيفا برأ الترشيحين.

الأسباني (65 عاما) هو النائب الأول لرئيس الاتحاد الأوروبي، ونظرا لذلك، ووفقا للنظام الأساسي للهيئة الأوروبية، كان بإمكانه خلافة بلاتيني في رئاسة الاتحاد القاري خلال فترة إيقاف الأخير، لكن الاتحاد الأوروبي تحفظ على تعيينه على وجه التحديد لمنصب الرئيس بالوكالة، وفضل إدارة جماعية خلال فترة إيقاف رئيسه.

من جهة أخرى، أكدت لجنة الأخلاق أنها "ستقوم بكل ما في وسعها" من أجل إصدار حكمها بحق بلاتر وبلاتيني قبل انتهاء فترة إيقافهما المؤقت لمدة 90 يوما والذي كانت أعلنته في الثامن من أكتوبر الحالي بسبب الدفع غير المشروع لمبلغ مليون و800 ألف يورو (2 مليون دولار أميركي) حصل عليها الفرنسي من فيفا عام 2011 لعمل استشاري للسويسري قام به بين 1999 و2002 أي قبل تسع سنوات وبعقد شفهي حسب اعتراف بلاتيني.

بلاتيني يدافع عن نفسه

هذه الروزنامة ليست مهمة جدا بالنسبة إلى بلاتر (79 عاما) الذي ينتظر 26 فبراير المقبل، تاريخ انتخاب خليفته، لمغادرة الفيفا نهائيا. لكنه مهم جدا بالنسبة إلى بلاتيني (60 عاما) الساعي إلى رئاسة الفيفا، والذي لن تتم دراسة ترشيحه إلا برفع عقوبة إيقافه أو انتهائها (في الأسبوع الأول من يناير المقبل).

واتهم القائد السابق لمنتخب فرنسا أيضا من قبل دومينيكو سكالا، رئيس لجنة التدقيق والامتثال واللجنة الانتخابية بتزوير حسابات. قال سكالا "يعترف الجانبان (بلاتيني وبلاتر) أنهما توصلا إلى اتفاق حول مليوني فرنك سويسري، لكن هذا المبلغ لم يظهر في حسابات فيفا قبل الدفع الفعلي" في فبراير 2011 متحدثا عن "انتهاك خطير".

وتابع "كان الطرفان عضوين في لجنة فيفا التنفيذية ووافقا بدراية سنويا على ميزانية عمومية كانت زائفة... يمكن اعتبار هذا الأمر بمثابة تزوير حسابات فيفا". ورد تيبو اليس، محامي بلاتيني قائلا "لم يكن يتوجب على ميشال بلاتيني التأكد شخصيا من تسجيل ديونه في حسابات الفيفا"، مشيرا إلى أن "الفاتورة المقدمة" من موكله "تم تسجيلها من قبل الإدارة المالية للفيفا"، والذي تم "فحص" حساباته. بلاتيني هو واحد من ثلاثة مرشحين أعلنوا رسميا ترشحهم لخلافة بلاتر، مع الأردني الأمير علي والقائد السابق لمنتخب تريندياد وتوباغو ديفيد ناكيد، في انتظار انتهاء مهلة تقديم الترشيحات يوم غد الاثنين.

> فتح التحقيق لأول مرة بشأن «القيصر» بكنباور وفيار، يعني أنهما يواجهان خطر عقوبة الإيقاف المؤقت أو النهائي

خطوة واحدة تفصل هاميلتون للظفر ببطولة «الفورمولا 1» للمرة الثالثة

السائق البريطاني يسعى لمعادلة رقم البرازيلي سينا في عدد مرات الفوز باللقب

هاميلتون في طريقه لتحقيق لقبه الثالث

بإمكان البريطاني لويس هاميلتون سائق فريق مرسيدس أن يحسم اليوم الأحد لقبه الثاني على التوالي في بطولة العالم لسباقات سيارات "فورمولا 1"، من خلال الفوز بلقب سباق جائزة أميركا الكبرى متفوقا على زميله الألماني نيكو روزبرغ.

❑ **أوستن (الولايات المتحدة)** - التوقعات باتت مبشرة لحامل لقب بطولة العالم لسباقات سيارات "فورمولا 1" البريطاني لويس هاميلتون بعدما حصد فريق مرسيدس المركزين الأول والثاني في 8 من أصل 15 سباقا هذا الموسم، وقد حقق هاميلتون المركز الأول ست مرات خلال هذه السباقات الثمانية.

ويتصدر هاميلتون الترتيب العام لفئة السائقين برصيد 302 نقطة بفارق 66 نقطة عن الألماني سيباستيان فيتيل سائق فيراري و73 نقطة عن روزبرغ، والفوز اليوم بلقب سباق جائزة أميركا الكبرى سيمنحه 25 نقطة إضافية قبل أربعة سباقات على نهاية الموسم.

وسيكون هاميلتون في طريقه لتحقيق لقب بطولة العالم للمرة الثالثة في تاريخه بعد أن حقق الإنجاز ذاته في 2008 و2014، ولكن بشرط أن يسجل اليوم فوزه رقم 43 في مسيرته متفوقا على روزبرغ وفيتيل، وفي حال فاز هاميلتون اليوم فإن الطريقة الوحيدة التي يبقى من خلالها الصراع على اللقب مفتوحا، هي أن يحل فيتيل في المركز الثاني.

وفاز السائق البريطاني في سباقين من آخر ثلاثة سباقات في أميركا، وسيكون متسلحا بفوزه الأخير في روسيا قبل أسبوعين. وقال هاميلتون "أشعر بالإثارة لانطلاق السباق وتقديم أفضل ما لديّ، إذا نجحت في الفوز بلقب سباق أميركا للمرة الثالثة سيكون أمرا لا يصدق".

وقال السائق البريطاني عن إمكانية معادلة مثله الأعلى في صغره البرازيلي الراحل آيرتون سينا بطل العالم ثلاث مرات "يمكنني تخيل ذلك وبالنسبة إليّ سيكون أشبه بالوصول إلى قمة جبل إيفرست، أعني أنه ماذا بعد؟".

وبالنسبة إلى كثيرين فإن الإجابة ستكون بسيطة وهي محاولة الفوز بمزيد من الألقاب لكن فوز سينا بثلاثة ألقاب يعني الكثير لهاميلتون. ولطالما أراد هاميلتون (30 عاما)، الذي اجتاز عدد انتصارات السائق البرازيلي في السباقات، أن يفوز باللقب ثلاث مرات وليس سبع مرات مثلا مثل مايكل شوماخر أو أربع مرات مثل سيباستيان فيتل، بل كان يرغب في تكرار ما فعله سينا على وجه التحديد.

وكما قال هاميلتون في اليابان منذ أسبوعين فإنه لم يفكر في أن يسير على خطى أيّ سائق آخر غير سينا.

وقال هاميلتون "لا يوجد أيّ جبل آخر أعلى، لكن دائما ما تكون هناك تحديات أصعب في جبال أقل ارتفاعا، الأمور تتغير ولذلك فلا أعرف ما سيحدث"، وذلك في ظل عدم معرفة السائق البريطاني برد فعله إذا فاز.

وأضاف "سأواصل رغبتي في تحقيق الفوز، وهذا لن يتغير بداخلي، هذا التنافس موجود في دمي.. لم أفكر أبدا في إمكانية تجاوز ثلاثة ألقاب، ولم أفكر حتى في إمكانية إحراز اللقب مرتين".

وفاز هاميلتون بلقبه الأول مع مكلارين في 2008، في حضور والده، وتوج بلقبه الثاني مع مرسيدس العام الماضي في السباق الأخير، بحضور والده أيضا وكذلك عائلته. ومع ذلك أكد هاميلتون هذه المرة أنه لا ينتظر قدوم عائلته وقال "لقد وضعت في تفكيري أني سأخوض آخر أربعة سباقات للفوز باللقب، هدفي هو أن أتوّج ببطولة العالم عندما أجتاز خط النهاية في أبوظبي وليس اجتياز خط النهاية في أوستن بالمركز الأول، لو فزت باللقب (مبكرا) فهذا رائع، لكن لو لم يحدث ذلك فلن أعاني من ضغوط إضافية". وفاز هاميلتون بتسعة سباقات من 15 سباقا هذا الموسم وربما يصبح أول سائق يفوز بعشرة سباقات أو أكثر في خمسة مواسم متتالية، إضافة إلى أول بريطاني صاحب بشرة سمراء يحرز اللقب مرتين متتاليتين. وضمن فريق مرسيدس لقب فئة الصناع (الفرق) في السباق الماضي في سوتشي، ولكن هاميلتون يرى أن حسم لقب فئة السائقين لن يدفعه بالضرورة إلى الاندفاع أو اللجوء إلى مخاطر غير محسوبة.

> هاميلتون يرغب بالفوز باللقب ثلاث مرات وليس سبع مرات مثل مايكل شوماخر أو أربع مرات مثل سيباستيان فيتل، بل يسعى إلى تكرار ما فعله سينا على وجه التحديد

وتضاءلت آمال روزبرغ بشكل كبير في خطف اللقب بعد انسحابه مبكرا في روسيا، واعترف السائق الألماني بأنه في حاجة إلى معجزة من أجل الفوز بلقب بطولة العالم.

وأشار "قبل أربعة سباقات على نهاية الموسم، وفي ظل وجود فجوة كبيرة مع هاميلتون، فمن الواضح أن اللقب بعيد عن متناولي في الوقت الراهن".

وأضاف "ولكن هذا لا يعني الاستسلام، سأواصل الضغط حتى النهاية وأتمنى أن أحظى ببعض الإثارة في الجولات الأخيرة من الموسم".

وحل فيتيل في المركز الثاني في سوتشي ليتخطى روزبرغ في الترتيب العام لفئة السائقين، ويسعى السائق الألماني لتكرار فوزه بلقب سباق أميركا بعد تجربته في 2013، وذلك في أول مواسمه مع فيراري.

ويبدو أن لقب بطولة العالم شبه محسوم لصالح هاميلتون، ولكن توتو فولف رئيس مرسيدس حذر سائقيه من الاستخفاف بقدرات فيتيل الفائز بلقب بطولة العالم أربع مرات متتالية.

كرويف يخوض معركته الأصعب

مراد البرهومي

❑ ابتعد النجم الهولندي و"الأيقونة" الخالدة لنادي برشلونة يوهان كرويف عن الملاعب والمنافسات منذ ما يناهز عن عشرين سنة، ابتعد ليتفرّغ لحياته الخاصة ومتابعة المباريات الرياضية بقرار شخصي صعب، حتى يتسنّى له الابتعاد عن الضغوطات والمشاكل و"المعارك" الرياضية الطاحنة التي تألق فيها سواء عندما كان لاعبا شهيرا وفذا أو مدرّبا رائعا ومقتدرا..

ومع ذلك وبعد عشرين عاما عاد ليخوض معركته الأخيرة والأصعب من كل المعارك التي خاضها في السابق، فالمرض أجبره على ذلك وجعله يبدأ على مضض الإعداد لخوض التحدي الأخطر في حياته.

الخبر يتعلق باكتشاف أطباء يوهان كرويف بداية الأسبوع المنقضي إصابته بمرض "سرطان الرئة"، والموضوع الحاسم والأهم يتعلق أساسا بقدرة "عبقري زمانه" وفلتة المنتخب الهولندي وبرشلونة في حقبة السبعينات على النجاح في كسب هذا التحدي والفوز في المعركة الشرسة، فبعد أن صال وجال في الملاعب العالمية وقدم للعالم جميعا نظرية "الكرة الشاملة" التي زرعها في عقلية لاعبي برشلونة ومازال الفريق إلى اليوم يحصد ثمارها، جاء اليوم الذي سيكون لزاما عليه أن يجد الحلول يتجاوز هذه المحنة الصحية الشاملة.

ما أقسى لعبة الحياة، عندما تلهو كما تشاء وتسخر من البشر، فكرويف الذي كان أحد "أعظم" اللاعبين في تاريخ المنتخب الهولندي وكذلك نادي برشلونة لم يقرأ يوما حسابا لما سيحصل له في كبره، كرويف صاحب الـ68 عاما، فتك به المرض "الخبيث" لكن لم ينل منه بعد، لتتشكل المعادلة الصعبة، وهي هل يقدر النجم الخالد في تاريخ الكرة العالمية أن يكسب معركته الأخيرة ويثبت للجميع أنه لا يهزم بسهولة، مثل عهده عندما كان في ريعان الشباب لاعبا ثم مدربا عبقريا مبتكرا؟

نظرة عن كثب إلى ماضي هذا الرجل قد تكشف بسهولة قوة شخصيته وذكائه الحاد وموهبته الفذة، وخاصة إصراره الكبير على تخطي الصعاب وتذليل كل العراقيل.

فكرويف لم يجد الطريق مفروشة بالورود، حيث نشأ في عائلة فقيرة ومن أمّ تشتغل عاملة نظافة في مقر نادي أياكس، ورغم نبوغه وبروزه في سن مبكرة إلاّ أنه تعرض للكثير من الصعوبات والصدمات والهزات، ليشق بعدها الطريق الصعب بخطى واثقة وتألق بشكل لافت مع أياكس أمستردام الهولندي ثم مع برشلونة الأسباني وكذلك مع المنتخب الهولندي وخاصة في مونديال 1974، بل وواجه التهديد بالقتل في صورة مشاركته مع المنتخب الهولندي في مونديال 1978 بالأرجنتين، واضطر للاعتزال بسبب الضغوطات والتهديدات، بيد أنه لم يستسلم وعاد بعد فترة إلى الملاعب وواصل مسيرته بكل ثبات.

لقد تحدى صاحب الرقم 14 كل النجوم في العالم وتمكن من أن يحصل على جائزة أفضل لاعب في أوروبا ثلاث مرات، وساهم أيضا في حصول أياكس أمستردام على عديد الألقاب والبطولات، وهو ما نجح فيه أيضا مع برشلونة الذي قاده إلى منصة التتويج في الدوري المحلي في أول موسم له مع النادي سنة 1973، وذلك بعد 14 سنة من الغياب عن الألقاب.

لقد فعل كرويف كل شيء عندما كان لاعبا، ولم يرض أن تنتهي علاقته بالملاعب سريعا، إذ تولى تدريب برشلونة بداية من سنة 1988 إلى غاية 1996، ليؤكد في تلك التجربة عبقريته الفذة وقدرته العجيبة على تخطي كل الصعوبات والفوز في كل "المعارك"، لقد كوّن فريقا مُهابا استطاع أن يقوده إلى التتويج بلقب الدوري المحلي في أربع مناسبات متتالية، وكذلك لقب دوري أبطال أوروبا سنة 1992 للمرة الأولى في تاريخ النادي، فحقّق له سنة 1996 أن يبتعد قليلا عن الضغوطات والمعارك والمنافسات القوية، لينتبه ولو قليلا لعائلته وصحته خاصة بعد تعرضه لأزمة قلبية تجاوزها بنجاح أيضا.

اليوم وبعد 20 سنة عاد كرويف للمنافسة، لكنه نزال من نوع خاص، فإما الفوز وإما الوفاة، إذ لا سبيل غير النصر لقهر العدو والمنافس الجديد، كرويف كعادته لم يرم المنديل، بل اتخذ موقف "المحارب" من جديد، مؤكدا أنه سيعود أقوى مما كان ولن يقدر المرض "الخبيث" أن يهزمه.

لعل وقوف كل من عرفه وعاشره وعايش معه حقبة "الزمن الجميل" الذي عرف خلاله تطوير نظرية "الكرة الشاملة" التي صارت قاعدة أساسية في طريقة لعب برشلونة الأسباني قد يهوّن عليه الأمر ويسهّل عليه المهمة، ويساعده على كسب المعركة.

فعدد كبير من النجوم القدامى الذين لعبوا أو تدربوا تحت إمرته تضامنوا معه، حتى ميسي الذي لم يعش عهده، لم ينس أن يبعث برسالة تحفيزية "لمعلمه" الذي لم يدربه يوما.. ربما ستزيد هذه الكلمات والرسائل في قوته وعزيمته حتى يتسنى لكرويف كسب معركته الأصعب.

* كاتب صحفي تونسي

العين الإماراتي يسحق الشباب برباعية

العين يوجه رسالة شديدة اللهجة إلى منافسيه

❑ **أبوظبي** - وجه العين حامل اللقب والمتصدر رسالة شديدة اللهجة إلى منافسيه، بعدما اكتسح مضيفه الشباب القوي 4-1 أمس الأول الجمعة في افتتاح المرحلة السادسة من الدوري الإماراتي لكرة القدم.

وسجل للعين عمر عبدالرحمن (1) والبرازيلي فيليبي باستوس (21 و50) والنيجيري إيمانويل إيمينيكي (44 من ركلة جزاء)، وللشباب البرازيلي جو ألفيس (38). وحافظ العين على صدارته برصيد 15 نقطة، في حين بقي الشباب خامسا مؤقتا وله 9 نقاط. ولم يكن متوقعا أبدا أن يحقق العين هذا الفوز الكبير على حساب الشباب المعروف بقوته على أرضه، والذي لم يخسر أي مباراة هذا الموسم، لكن يبدو أن الهدف المبكر الذي سجله عمر عبدالرحمن أثر على أصحاب الأرض والجمهور.

وافتتح عبدالرحمن صانع ألعاب العين التسجيل في الدقيقة الأولى إثر ركلة ركنية لعبها نجم المباراة الأول باستوس فأبعدها حارس الشباب سالم عبدالله، وتهيأت أمام عبدالرحمن الذي سددها مباشرة في الشباك.

وعزز العين تقدمه بهدف ثان بعد ركلة حرة سددها باستوس بطريقة رائعة وخدعت سالم عبدالله (21). وقلص الشباب الفارق بهدف جو الذي ترجم بنجاح تمريرة المولدوفي لوفانور هنريكي في مرمى خالد عيسى (38)، لكن العين سرعان ما أعاد الفارق إلى سابق عهده بعدما لمس المدافع محمود قاسم الكرة بيده، ولم يتردد الحكم في احتساب ركلة جزاء سددها إيمينيكي بنجاح (44). وسجل باستوس هدفه الشخصي الثاني والرابع لفريقه عبر تسديدة بعيدة عن المرمى (50).

وصعد النصر إلى المركز الثاني بفوزه المتأخر على مضيفه دبا الفجيرة بهدفين لسالم صالح (55) والفرنسي كيمبو إيكوكو (78) مقابل هدف للعاجي بوريس كابي (2). ورفع النصر رصيده إلى 14 نقطة، مقابل 4 لدبا الفجيرة في الترتيب الثاني عشر.

وحسم الشارقة مباراة "الدربي" بفوزه الثمين على جاره وضيفه الشعب بهدفين نظيفين.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

الإشاعة صحيحة.. التماسيح تنام و لها عين مفتوحة

لا أنام

أظهرت دراسة أسترالية حديثة أن النوم التام لدى البشر هو مرحلة تطور استثنائية تواكبت مع زيادة الإحساس بالأمان، وهو ما أكدته مراقبة سلوك التماسيح التي أظهرت أنها تنام ونصف دماغها ينام، بينما يبقى النصف الثاني مستيقظا ومعه العين المفتوحة تجنبا للمخاطر المحدقة.

❏ **ملبورن** – الإشاعة صحيحة.. التماسيح فعلا تنام ولها عين مفتوحة، هذا ما أظهرته دراسة نشرت الأسبوع الجاري في دورية البايولوجيا التجريبية والتي تظهر أن التماسيح تنام ونصف دماغها ينام، بينما يبقى النصف الثاني مستيقظا ومعه العين المفتوحة.

وأسوة بكل المخلوقات، لا شك أن التماسيح تتمنى أن تنام ملء جفونها، لكن العالم الذي تعيش فيه خطر جدا مما جعلها تطور أساليب مبتكرة من حالة "نصف نائم".

وقال بحث أعده علماء جامعة لاتروب الأسترالية ونشر في المجلة أن حالة "نصف نائم" تؤهل التماسيح لأن تستجيب للتحديات والمخاطر أو حتى لتنقض على طريدة مارة أو تنتبه لصغارها.

وصار واضحا أن التماسيح تشترك بهذه الخاصية مع الدلافين وبعض اللبائن المائية وعدد من الطيور.

ومن مراقبة سلوك التماسيح، اكتشف العلماء أن هذه الزواحف، سواء في بيئتها الطبيعية أو في الأسر، تستمر بمراقبة المحيط الخاص بها، خصوصا إذا لاحظت وجود إنسان بالقرب منها.

وقال رئيس فريق البحث مايكل كيلي "إن هذا الاكتشاف علامة مهمة على طريق دراسة تطور النوم عند المخلوقات، فما نعتبره نوما طبيعيا الآن هو في الحقيقة خطوة متقدمة على حالة نصف النوم التي رافقت المخلوقات منذ نشأة الخليقة والتي شخصناها في الزواحف".

ويعتبر الإنسان أن النوم حالة طبيعية، سلوكيا وبيولوجيا، ولكن هذه الدراسة تعكس النظرية تماما، وتؤكد أن الطبيعي هو البقاء مستيقظا وأن النوم خطوة في التطور وصل إليها العقل البشري مع زيادة الإحساس بالأمان.

ومع تطور فهم العلماء للطريقة التي تنام بها الحيوانات، فإنهم يصبحون أكثر قربا في تفسير نوم الإنسان وسلوك الدماغ البشري، كما يرى عضو فريق البحث جون ليسكو.

وأضاف "تنام الحيوانات المائية وبعض الطيور وتترك عينا مفتوحة، الآن صرنا نعرف أن الزواحف تنام وتترك عينا مفتوحة. هذا يعني أن تطور النوم عند الإنسان واللبائن كان طفرة في تطور الدماغ وليس إجراء وقائيا تقتضيه الضرورة".

مكنسة كهربائية تنظف شوارع العالم في صمت

❏ **وارسو** – اختار المخترع البلجيكي كريستيان لانج اسم "غلوتون" لمكنسته الكهربائية العجيبة الأشبه بآلة متطورة للإمساك بالأشباح في الأفلام، لكن هذه المكنسة الكهربائية المخصصة لشوارع المدن لها أهداف أكثر واقعية.

والآلة البلجيكية الصنع طرحت مؤخرا في بولندا بعد أن تم تسويقها في 24 بلدا، مهمتها امتصاص الزجاجات الفارغة والنفايات وروث الكلاب وجميع المخلفات التي تظهر في طريقها على الشوارع، وهي من اختراع البلجيكي كريستيان لانج.

وفي وسع المكنسة الكهربائية أن تسحب زجاجة شمبانيا بكاملها، على حد قول مخترعها لانج، وهي التي تستخدم لتنظيف شوارع مكة وجادة شانزيليزيه الشهيرة في باريس.

وبدأت المغامرة لدى لانج قبل 20 سنة في شركة ناشئة لآلات جز العشب وتحولت إلى تجربة ناجحة وانتشر الجهاز بفضلها في القارات الخمس.

ومنذ ست سنوات، تسجل الشركة نموا سنويا بنسبة 30 بالمئة، في غياب أيّ منافسة فعلية.

وقال سلافومير كامينسكي الذي يتعاون مع الفرع البولندي لتوزيع المكنسة الكهربائية "إنها بمثابة حلم يتحول إلى حقيقة لعمال تنظيف الطرقات".

وحذا لانج حذو والده الذي كان يملك مؤسسة لبيع معدات العناية بالبساتين وأنشأ شركته الخاصة في هذا المجال في سن الثالثة والعشرين.

ومع ذلك سرعان ما لاحظ أن الأعمال لا تنمو سوى بين مارس ويونيو وتبقى راكدة في الفترة المتبقية من السنة. وشكلت مكنسة أوراق الشجر في الحديقة مصدر إلهام لهذا البلجيكي الذي يهوى سباقات السيارات.

وخطرت الفكرة على بال لانج في أكتوبر 1994 وطوّرت "غلوتون" في مارس 1995 قبل أن تسوق في يونيو من السنة نفسها.

وعرضت المكنسة الكهربائية في معرض بلجيكي للابتكارات المراعية للبيئة وسرعان ما لقيت نجاحا كبيرا. وحققت في عام 2007 مبيعات بقيمة 1.7 مليون دولار في مقابل 11 مليونا هذه السنة.

عراب تويتر يهدي ثلث أسهمه إلى الموظفين

❏ **واشنطن** – أعلن جاك دورسي مدير تويتر ومؤسسها أنه سيقدم ثلث حصته في الشركة إلى الموظفين فيها، أي ما يوازي 1 بالمئة من إجمالي رأسمالها.

وكتب دورسي المبرمج ورجل الأعمال الأميركي، والمعروف بكونه مبتكر موقع تويتر، في رسالة نشرت على خدمة التواصل الاجتماعي "سوف أعطي ثلث أسهمي في الشركة تقريبا (أي تحديدا 1 بالمئة من رأسمالها) إلى الموظفين"، موضحا أنه يريد "إعادة الاستثمار مباشرة في الطاقم".

وأضاف في تغريدة ثانية "أفضل أن يكون لي حصة صغيرة في مجموعة كبيرة، بدلا من حصة كبيرة في مجموعة صغيرة". وتناهز قيمة هذه الأسهم 200 مليون دولار.

وقد عين جاك دورسي في منصب المدير العام بعد توليه هذه المهام مؤقتا لمدة ثلاثة أشهر تقريبا إثر استقالة ديك كوستولو في يونيو الماضي. وينوي عراب تويتر إنعاش نمو الشبكة، وقد أعلن أخيرا إلغاء 8 بالمئة من الوظائف فيها، أي 340 وظيفة. ويمضي دورسي وقته بين تويتر وشركة "سكوير" للدفع عبر الأجهزة المحمولة التي يتولى إدارتها العامة والتي كشفت الأسبوع الماضي عن مشروع طرح أسهمها في البورصة.

وأعلنت شبكة التواصل الاجتماعي تويتر الأربعاء تعيين الأميركي من أصل إيراني أوميد كردستاني (53 عاما) رئيسا لمجلس إدارتها.

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

طرائف انتخابية

❏ في مصر الآن انتخابات برلمانية، وفي بلادنا لا يكون الصراع السياسي بين برامج انتخابية أو لرفاهية المواطن، ولكن التنافس يكون عادة لنيل حصانة أو مميزات نقدية وعينية للنائب أو للتمسح في حزب الرئيس لتصبح من أهل الحظوة والسلطة.

ومع ذلك لا يخلو المشهد من كوميديا عفوية أشبه بالهزليات السوداء التي تدفعك للضحك وأنت تبكي دما، إما على الجهل أو السذاجة أو حسن النية.

في إحدى دوائر قنا بالصعيد وقف رجل من عائلة شهيرة يدعو لمرشح من أقاربه، أمسك ميكروفونا وصار يغني ويصيح: تنتخبوا مين.. وحبيبكم مين..

الدائرة كلها تعرف أن هذه العائلة تؤيد فلانا، وبينما هو منهمك في الدعاية خرجت زوجته من اللجنة، فسألها والميكروفون بيده: انتخبتي مين؟ فأجابته أنها انتخبت المرشح المنافس، فصرخ قائلا: يعني صماء وغبية.. ألم تسمعي صوتي وأنا أصيح انتخبوا فلانا، وردت: حصل خير.. المرة القادمة أبقى أنتخبه.

لم يمهلها زوجها وطلقها على الهواء وسمعت المدينة كلها يمين الطلاق من ميكروفون الانتخابات!

زوجة أخرى خسر زوجها في محافظة أسيوط وأرادت مواساته وهي لا تعلم الأصوات التي حصل عليها، ولما وجدت الحزن لا يفارقه سألته عن عدد الذين انتخبوه، فقال: ثلاثة أصوات فقط، هنا صرخت الزوجة وقالت له: إذن أنت تزوجت عليّ ولا بد من الطلاق.

قصة أخرى من محافظة الإسكندرية وقف شخص يعطي الناخبين الفقراء نصف ورقة بـ100 جنيه، وبعد أن ينتخب الشخص الذي يرشدونه إليه يأخذ النصف الآخر، خرج أحدهم وطلب نص ورقة الـ100 جنيه فأعطوه نصفا آخر ليس عليه نفس الأرقام المسلسلة.

اشتعلت "خنا قة"، دخل الناخب مسرعا إلى القاضي يريد تمزيق الورقة التي انتخب بها لأنهم "ضحكوا" عليه.. وشعر القاضي أنه ساذج فقال له: الصندوق قدامك فين ورقتك! وأسقط في يد الرجل.

ناخب آخر من التجار الأثرياء ذهب إلى لجنة دائرة الجمالية القريبة من حي الحسين الشهير بالقاهرة، وسأل عن سما المصري لينتخبها. بالمناسبة هي راقصة مصرية مثيرة جدا، ولكن اللجنة العليا للانتخابات شطبتها من القوائم.

رد عليه المختصون باللجنة أن سما قد تم شطبها، فترك اللجنة وصاحوا فيه: هناك غرامة 500 جنيه إذا لم تنتخب، فرد أدفع 5 آلاف جنيه ورجّعوا سما!

سيدة أخرى في الأقصر سألت أحد الواقفين عن أفضل مرشح لتنتخبه، فردوا عليها "ما ينفعش يا حاجة"، هذا توجيه وهي تهمة توجب السجن، فانصرفت قائلة "إنتخبوا إنتوا أنا معرفش حد".

وفي دائرة الدقي بالقاهرة نشب نزاع بين اثنين من المرشحين المشهورين، فسعى أحد الناخبين للصلح بينهما قائلا بحسن نيه "يا جماعه إنتوا بتتعاركوا على إيه دول كلهم ألف صوت". وكل انتخابات ونحن ومصر بخير.

منى زكي تحارب سرطان الثدي

❏ **القاهرة** – حرصت الفنانة منى زكي على حضور احتفالية الجمعية الدولية لسرطان الثدي والنساء في مصر، بمناسبة اليوم العالمي لسرطان الثدي.

وأعربت النجمة المصرية عن سعادتها الكبيرة باختيار الجمعية لشخصها كي تكون إحدى الداعمات للسيدات المصريات في مبادراتهنّ للتوقي من المرض العضال قبل استفحاله.

وأكدت بطلة فيلم "احكي يا شهرزاد" أن الفن يلعب دورا إيجابيا داخل المجتمع، وكلما ازداد رقيّ هذا المجتمع كلما كان تأثير الفن أكبر، وبالتالي تكون مسؤولية الفنانين أكبر وأعظم.

وقالت "من هنا حرصت على المشاركة في هذه المبادرة باعتباري فنانة مصرية عليها أن تشارك في دعم أبناء وسيدات هذا الوطن، من خلال المشاركة الفعالة في مثل هذه المبادرات الإنسانية".

ووضعت زكي الشريط الوردي على صدرها، وهو أبرز رموز التوعية بسرطان الثدي، ويعد شهر أكتوبر الشهر العالمي للتوعية حول سرطان الثدي.